وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بابل
كلية التربية للعلوم الإنسانية

حقوق الإنسان في مملكة غرناطة

(635 – 897هـ / 1237 – 1492م)

رسالة قدمت
إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة بابل
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي
من قبل

لمياء سالم علي عباس

بإشراف

أ. د. محمد عبد اللّه المعموري

1445هـ 2023م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ
وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ
وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا
بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ
بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾

صدق الله العلي العظيم
[البقرة: 213]

إقرار المشرف

أشهد إنَّ إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ **(حقوق الإنسان في مملكة غرناطة (635 – 897هـ / 1237 – 1492م))** التي تقدّمت بها الطالبة **(لمياء سالم علي عباس)** قد جرى تحت أشرافي في قسم التاريخ / كلية التربية للعلوم الإنسانية جامعة بابل، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي .

التوقيع:
اسم المشرف: أ. د. محمد عبد الله المعموري
التاريخ: / / 2023م

بناءً على هذه التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة

التوقيع
رئيس قسم التاريخ
الاسم: أ.م د. عطارد تقي عبود
/ / 2023م

إقرار الخبير اللغوي

أشهد إنَّ إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ **(حقوق الإنسان في مملكة غرناطة (635 – 897هـ / 1237 – 1492م))** التي تقدّمت بها الطالبة **(لمياء سالم علي عباس)** قد جرى تقويمها لغوياً، وقد وجدتها صالحةً من الناحية اللغوية.

التوقيع:
الخبير اللغوي:
/ / 2023م

إقرار الخبير العلمي

أشهد إنَّ إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ **(حقوق الإنسان في مملكة غرناطة (635 – 897هـ / 1237 – 1492م))** التي تقدّمت بها الطالبة **(لمياء سالم علي عباس)** قد جرى تقويمها علمياً، وقد وجدتها صالحةً من الناحية العلمية.

التوقيع:
الخبير العلمي:
/ / 2023م

إلى.....

- كل إنسانٍ متعاون متسامح يحب الخير للناس ممن ساهموا في تربيتي وبنائي أمي... وروح أبي .
- روح أخي الغالي وخالي الذي كان بمثابة الأب لي .
- زوجي ورفيق دربي الذي قدم لي العون في مسيرتي البحثية .
- أولادي .

الباحثة

بعد شكر الله وحمده أود أن أقدّم خالص شكري وامتناني إلى كوكبة من أساتيذي الكرام الذين ساهموا في تقديم العون لي، ورفعوا من همتي في تحقيق هذا الانجاز المتواضع، وفي مقدمتهم الدكتور محمد عبد الله المعموري والدكتور عبد الستار نصيف جاسم والدكتورة زينب فاضل مرجان والدكتور يوسف كاظم والدكتورة عطارد تقي الذين كانوا كرماء معي في تقديم الدعم المعنوي والنفسي؛ لأتمكن من إنجاز هذا العمل... وشكري وتقديري إلى موظفي كادر المكتبة المركزية في جامعة بابل والجامعة المستنصرية وجامعة بغداد وجامعة تكريت... وإلى مكتبة العتبة الحسينية لما أمدتني به من مصادر ومراجع في سبيل إكمال رسالتي المتواضعة التي أتمنى أن أكون قد وفقت في إنجازها.

الباحثة

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
الآية القرآنية	أ
إقرار المشرف	ب
إقرار الخبير اللغوي	ج
إقرار الخبير العلمي	د
إقرار لجنة المناقشة	د
الإهداء	ه
الشكر والامتنان	و
قائمة المحتويات	ز
المقدّمة	4-1
الفصل الأول: حقوق الإنسان في الحياة والمشاركة السياسية	58-5
المبحث الأول: حق المشاركة السياسية في مملكة غرناطة	21-16
المبحث الثاني: حق المشاركة في تولي المناصب الإدارية	31-22
المبحث الثالث: حقوق أهل الذمة في عصر مملكة غرناطة	41-32
المبحث الرابع: حق العدل وحرية التعبير عن الرأي	54-42
المبحث الخامس: الحقوق الأمنية	58-55
الفصل الثاني: الحقوق الاجتماعية والثقافية	137-59
المبحث الأول: حق المرأة الغرناطية	72-60
المبحث الثاني: حق التكافل والرعاية الاجتماعية والصحية	84-73
المبحث الثالث: حقوق الأسرة والطفل في غرناطة	92-85
المبحث الرابع: حقوق الأسرى في مملكة غرناطة	102-93
المبحث الخامس: الحقوق العلمية والفكرية في مملكة غرناطة	128-103
المبحث السادس: حق التسلية والترفيه في مملكة غرناطة	137-129
الفصل الثالث: الحقوق الاقتصادية	179-138
المبحث الأول: حق الخدمات العامة	145-138
المبحث الثاني: الحق في حماية الأسواق	157-146
المبحث الثالث: الحق في الملكية الخاصة والعامة	167-158
المبحث الرابع: حق العدل الضريبي	176-168
الخلاصة والاستنتاجات	179-177
المصادر والمراجع	237-205
الملخص باللغة الانكليزية	A-E

المقدّمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب تبياناً لكل شيء فبين للعباد حقوقهم ومالهم وما عليهم من أمور الدنيا والدين والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين والشكر لهُ على ما أسبغ علينا من نعم لا تعد ولا تحصى وسبحانه الذي علم الإنسان بالقلم علم الإنسان مالم يعلم، وجعله خليفة في الأرض؛ ليحكم بالحق والعدل، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأماناتِ إِلى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً**﴾ [1].

لقد رفع الإسلام مكانة الإنسان ووضع قواعد عامة لاحترام حقوقه وحرياته، إذ ان حقوق الإنسان حقوقاً وحدانية شرعية أصيلة في وجدان الأمة، وهي حقوق طبيعية وفي كل الميادين السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية تعمل على حماية الإنسان من الضياع.

إنّ مدة موضوع الدراسة (635 – 897 هـ / 1237-1492 م) هي مدة حكم آخر أسرة عربية إسلامية، وهي أسرة بني الأحمر الذي تركز حكمهم في مملكة غرناطة آخر معقل للمسلمين في الأندلس، إذ استطاعت هذه المملكة أن تصمد مدة قرنين ونصف، وكان صمودها مثيراً للجدل في كثير من الأحيان فكان لابد من رصد علاقة هذه الأسرة وسلاطينها مع الرعية ومدى توفيرها وإعطائها للحقوق الشرعية بالنسبة للمواطن الغرناطي، إذ جاء موضوع حقوق الإنسان في مملكة غرناطة (635ه-897ه) كحد زمكاني للموضوع، وواجهت في كتابة بحثي هذا صعوبات، في مقدمتها ندرة المصادر وقلة المعلومات في هذا الجانب؛ مما تطلب مني بحثاً شاقاً من أجل الوصول إلى توظيف يخدم مادة البحث بشكل ينسجم مع وحدة الموضوع ومن ثَمّ تكوين فكرة تاريخية عن هذا الموضوع الاجتماعي الذي يحظى بأهميةٍ الى مراحل تاريخية.

واقتضت طبيعة الدراسة أن تقسم على مقدّمة ومدخل وثلاث فصول وخلاصة واستنتاجات، وتضمنت المقدّمة لمحة موجزة عن الموضوع وأهميته وحدوده الزمكانية، وأهم الصعوبات التي واجهتها، فتضمن أربع نقاط: الأولى والثانية خّصت مملكة غرناطة من حيث التسمية والموقع والحدود ومؤسس المملكة، أما الثالثة فتطرقت فيها إلى تعريف الحق والإنسان اصطلاحاً، أما الأخيرة فبّينتُ فيها حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية، أما الفصل الأول فجاء بعنوان حقوق الإنسان السياسية في مملكة غرناطة، وتضمن خمسة مباحث: الأول الحق في اختيار الملك، والثاني الحق في المشاركة في الوظائف الادارية العليا، والمبحث الثالث ركز على حقوق أهل الذمة، والمبحث الرابع حق العدل وحرية الرأي والتعبير، والمبحث الخامس الحقوق الأمنية.

أما الفصل الثاني فجاء بعنوان الحقوق الاجتماعية والثقافية، وتضمن خمسة مباحث الأول حقوق المرأة الغرناطية، والمبحث الثاني حق الرعاية والتكافل الاجتماعي والصحي، والمبحث الثالث حق الأسرة والطفل، والمبحث الرابع حقوق الأسرى والمسجونين، والمبحث الخامس حق التسلية والترفيه.

---

[1] سورة النساء، الآية: 58.

أما الفصل الثالث والأخير فجاء بعنوان الحقوق الاقتصادية فتضمن في مبحثه الأول: الحق في الخدمات والبنى التحتية، وفي المبحث الثاني: الحق في حماية الأسواق، أما المبحث الثالث فتناولت فيه حقّ الملكية الخاصة والعامة، أما مبحثه الرابع والأخير فقد تطرقت فيه إلى الحق في العدل الضريبي، وأخيراً تضمن البحث مجموعة من النتائج وأهم ما توصلت إليه الدراسة.

استفدت في دراستي هذه من مجموعة من المصادر المتنوعة في التاريخ والجغرافية والتراجم والطبقات وكتب النوازل والحسبة والأدب، منها ما كان معاصراً للأحداث أو شبه معاصر. وأخرى مراجع حديثة لإنجاز هذا البحث، وهذا عرض لأهم المصادر والمراجع:

1- المصادر

كانت من أكثر الكتب أهمية، ويأتي في مقدمتها مؤلفات لسان الدين بن الخطيب (ت 776 هـ / 1374م)، إذ عدّت مصدراً هاماً وذا فائدة قصوى لمعرفة كل ما يتعلق بتاريخ مملكة غرناطة ناهيك عن أنه تولى خطة الوزارة زمن أبي الحجاج يوسف الأول وابنه محمد الخامس الغني بالله فكان الاستشهاد بمؤلفاته من الأهمية، وذلك لإطلاعه على دقائق الأمور فيما يتعلق بتاريخ مملكة غرناطة، وأهم مؤلفاته، كتاب الاحاطة في أخبار مملكة غرناطة، إذ حوى على العديد من أخبار وتراجم علماء وادباء وقادة وفقهاء بتفصيلات تاريخية هامة عن احوال المملكة، إذ أعطت اجزاءه وضوحاً على كافة الأصعدة، كما استفدت من كتابه (اللمحة البدرية في الدولة النصرية) الذي خصّ عصر دولة بني النصر، وكذلك كتابه ريحانة الكتاب، وهو من جزئين، وفيه استفدت من بعض الوثائق والرسائل المتبادلة بين سلاطين بني النصر وقوادهم والظهائر فيما بينهم، ومن المصادر المعاصرة التي استفدت منها في تغطية تراجم بعض القضاة والعلماء، هو كتاب (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا) لأبي الحسن علي بن عبد الله (ت794 هـ/1392م)، كما استفدت من كتاب (جنة الرضا) لابن عاصم (ت 857 هـ/1453م)، ومن الكتب الأخرى التي استفدت منها، كتاب لمؤلف مجهول عاش في القرن التاسع الهجري، والخامس عشر الميلادي، إذ اغنتنا معلوماته في العديد من جوانب الرسالة خاصة آخر أيام مملكة غرناطة، وكذلك استفدت من مصادر عربية أخرى. وهي شبه معاصرة استفدت منها في تغطية بعض المعلومات في رسالتي، ومنها: كتاب البيان المغرب لابن عذاري المراكشي (ت 712 هـ / 1312م) حيث تطرق فيه لأخبار بني الأحمر، وكذلك كتاب (الأنيس المطرب بروض القرطاس) لابن أبي زرع (ت في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي)، وكذلك كتاب العبر لابن خلدون (ت 808 هـ / 1405م)، إذ عد موسوعة تاريخية ضم أخبار بني الأحمر، واستفدت أيضاً من كتاب القلقشندي (ت 821 هـ / 1418م) المسمى (صبح الاعشى في صناعة الإنشاء) ، وهو عبارة عن موسوعة تاريخية ضم عشرة أجزاء استفدت من الجزء الخامس الذي خصصه للأندلس، وكذلك اعتمدت لتغطية مادة بحثي على (المعيار المعرب) للونشريسي (ت 914 هـ / 1508م) الحاوي على مجموعة من الفتاوي التي أصدرها فقهاء الأندلس والمغرب في حقبة بين الأحمر، وكذلك كتاب السقطي (ت ق السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)، وكتاب ابن عبدون (ت ق السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) آداب الحسبة، ورسالة في القضاء والحسبة، إذ امدتني هذه المصادر معلومات عدة فيما يتعلق بالملكيات والصناعات وأرباب العمل

وعلاقتهم بصناعهم، وكيفية حفظ حقوقهم وطرق التعامل بالأسواق، وكيفية حمايتها وما يقوم به المحتسب في سبيل ذلك، وغيرها من المعلومات التي كانت خير عون في تغطية مادة البحث.

2- كتب الرحلات والجغرافيا

أما كتب الجغرافيا والرحلات فكان في مقدمتها كتاب نزهة المشتاق للشريف الادريسي (ت560 هـ / 1154م)، وكتاب الجغرافيا للزهري (ت أواسط القرن 6 هـ / 12م)، وكتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (ت 626 هـ / 1229م) وكانت فائدته تكمن في التعريف بالمدن وكتاب تحفة النظار لابن بطوطة (ت 779 هـ / 1378م)، وكذلك كتاب الروض المعطار (ت 900 هـ / 1494م) وكتب أخرى أسهمت بشكل ملحوظ في اتمام بحثي هذا.

3- المراجع الحديثة

أما المراجع الحديثة فقد احتوت مادة لا يمكن اهمالها والتغاضي عنها، إذ أنها خدمت موضوع البحث بصورة واضحة خلال ما رفدتنا به تحليلات ورؤى لنصوص تأريخية، ويأتي في مقدمتها مؤلفات الأستاذ محمد عبد الله عنان (نهاية الأندلس وتاريخ العرب المستنصرين) و(دولة الاسلام في الأندلس) و(الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال)، إذ امدتنا بمعلومات عدة قيمة، وكذلك كتابي شكيب ارسلان (الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية) و(خلاصة تاريخ الأندلس)، الأول خاص بالجوانب الحضارية للأندلس، والثاني خاص بمملكة بني الأحمر فيها، ومن الكتب الهامة التي استفدت منها في بحثي هذا كتاب يوسف شكري فرحات وهو (غرناطة في ظل بني الاحمر)، إذ تضمن هذا الكتاب عرضاً لأحوال مملكة غرناطة سياسياً وادارياً وفكرياً، ولا يفوتنا أن نذكر كتب السيد عبد العزيز السالم وأحمد محمد الطوخي.

4- الرسائل والأطاريح الجامعية والبحوث

والرسائل والاطاريح التي استفدت منها، كأطروحة الدكتورة زاهده عبد الله عبد الرزاق (الحياة الاجتماعية في مملكة غرناطة)، وكذلك أطروحة الدكتور زمان عبيد وناس الموسومة بـ (النشاط الاقتصادي في مملكة غرناطة) ، واستفدت من دراسات سابقة مثل رسالة الماجستير لكاظم زبار الموسومة بـ (حقوق الإنسان في الأندلس منذ الفتح إلى نهاية عصر الطوائف) وكذلك رسالة الماجستير لرقية علي عبد الزهرة الموسومة بـ (حقوق الإنسان في عصري المرابطين والموحدين 484 – 633هـ / 1092 – 1233م) وغيرها من الرسائل والاطاريح العربية إضافة إلى الفائدة التي استفدتها من البحوث المنشورة والدوريات ذات المعلومات القيمة مثل؛ مجلة المؤرخ المصري. وختاماً نسأل الله التوفيق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق محمد الامين.

الفصل الأول

حقوق الإنسان في المشاركة السياسية

المبحث الأول: **حق المشاركة السياسية في مملكة غرناطة**

المبحث الثاني: **حق المشاركة في تولي المناصب الإدارية**

المبحث الثالث: **حقوق أهل الذمة في عصر مملكة غرناطة**

المبحث الرابع: **حق العدل وحرية التعبير عن الرأي**

المبحث الخامس: **الحقوق الأمنية**

تمهيد

تعريف الحق اصطلاحاً

تباينت الآراء في تعريف الحق ويعود هذا التباين يعود إلى تعدد المذاهب والمدارس، إذ ذهب أنصار مدرسة القانون الطبيعي إلى تعريف الحق، بأنه مكنة أو سلطة يعترف بها القانون للفرد أو مصلحة يحميها القانون[1].

والملاحظ من القانون أن الحق سلطة يعترف بها القانون ومن ثم يحميها، وتكون للحماية صور، منها اللجوء إلى القضاء بشرط أن لا يتعارض الحق مع مصلحة الجماعة[2].

أما مفهوم الإنسان:

فهو كائن له وعي ذاتي ويملك زمام نفسه، إذ أنه مسؤول عن أفعاله والإنسان في اللغة يطلق على أفراد الجنس البشري[3] وهو عكس الوحشية، والقول بوجود حق الإنسان محدد بوجود ذلك الإنسان في إطار جماعة، لأنه عاش منعزلاً لا يحتاج إلى من ينظم حقوقه لعدم وجود من ينازعه فيها إذن فالإنسان كائن منفتح على أمثاله مندمج في جماعة[4]، لأن الإنسان كما يقول العلماء كائن اجتماعي[5]، وأنه يستوجب عليه أن يتميز عن غيره من المخلوقات بمجموعة من المميزات، وأول هذه المميزات هي الاسم[6].

الحق في الشريعة الإسلامية

راعت الشريعة الإسلامية القضايا والحقوق الأساس، إذ نصّتا على ذلك آيات قرآنية كثيرة وأحاديث ومرويات، واستندت تلك الحقوق على فلسفة إسلامية ومقاصد شرعية[7] لهُ، وقد أولى الإسلام الجانب الروحي والمادي أهمية؛ سعياً منه لبناء مجتمع متماسك تحفظ فيه الحقوق، إذ نرى أن القرآن الكريم والسنة النبوية تعلن المساواة بين الناس قال تعالى: ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة...**﴾ [8]، كما جعل القرآن الكريم التراحم والتعاطف أساس العلاقة بين أفراد المجتمع الواحد، وليس المنافع الشخصية بقوله تعالى: ﴿**إنما المؤمنون أخوة**﴾[9].

وحثّ القرآن الكريم البشرية على صون الأمانة وتجنب الخيانة في الأموال والحقوق قال تعالى: ﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل**﴾[10]، فبالعدل وحفظ الأمانة يتحقق الأمن وتصان الحقوق، ويتبين من هذا أن الضامن للحق في الإسلام هو الإنسان عندما يلتزم بالواجبات الشرعية والأخلاقية التي أمر بها الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم، إذ جاءت رسالة الحقوق للإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن

---

(1) القاسم، المدخل إلى علم الحقوق، ص273 .
(2) المرجع نفسه، ص277 .
(3) سمي إنساناً، لأنه عهد إليه فنسى. للمزيد ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ص28 .
(4) الجابري، حقوق الإنسان في أفكار العرب، ص56 .
(5) ماكفير، المجتمع، ص22.
(6) المادة (31) من قانون الأحوال المدنية العراقي رقم (65) لسنة 1972.
(7) المقاصد الشرعية: الحكم التي من اجل تحقيقها وأبرزها في الوجود خلق الله تعالى الخلق وبعث الرسل وانزل الشرائع وكلف العقلاء بالعمل او الترك. للمزيد ينظر: الخادمي، علم المقاصد الشرعية، ص237.
(8) سورة النساء، الآية: 1 .
(9) سورة الحجرات، الآية: 10 .
(10) سورة النساء، الآية: 58.

أبي طالب قبل أربعة عشر قرناً، إذ اشتملت على خمسين حقاً إنسانياً، جاء فيها "واما حق ملتك اضمار السلامة والرحمة لهم والوقت بمسيئهم وتآلفهم واستصلاحهم وشكر محسنهم وكف الأذى عنهم وان تحب لهم ما تحب لنفسك وتكرهُ لهم ما تكره لنفسك"[1].

جاء الإسلام دين ودولة، عقيدة وشريعة، إذ أوجد نظاماً متكاملاً لمعالجة شؤون الدين والدنيا[2] وأوجد النظرية السياسية في الإسلام، وقد قامت هذه النظرية على خمس مبادئ: هي العدل والمساواة والشورى والتعاون بين الحاكم والمحكوم ومراعاة المجتمع وحمايته من الرذائل[3].

وقد رفع الإسلام مكانة الإنسان، إذ أوجب تقدير واحترام الإنسان واحترام حقوقه وحرياته إذ إنّ فضل الله وكرمهُ كثير من خلقه ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا** ﴾ [4] وجعل الله الإنسان خليفته في الأرض ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأرض خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [5]، وصان الإسلام حريات وحقوق الإنسان وكفلها خلال إقراره للمبادئ التالية[6]:

أ- حق الحياة:

حرمت الشريعة الإسلامية قتل النفس والاعتداء بإزهاقها قال تعالى: ﴿ **مِنْ أجل ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أو فَسَادٍ فِي الأرض فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا** ﴾ [7]، وقال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ** ﴾ [8] وفي ذلك إشارة إلى حرمة قتل النفس أو الانتحار.

ب- حرية المعتقد

أما الحق الثاني الذي كفلته الشريعة الإسلامية فهو حق العقيدة، إذ ميّز الله الإنسان بالعقل والإدراك ودعاه إلى التفكير واعتماد المنطق السليم، قال: ﴿ **قَدْ فَصَّلْنَا الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ**[9] فالإنسان حراً في اختيار عقيدته وبين ذلك في قوله: ﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾[10].

وإضافة إلى ذلك دعا الإسلام إلى اعتماد أسلوب الإقناع والحوار مع أصحاب العقائد الأخرى[11]، قال تعالى: ﴿ **ادْعُ إلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[12].

ج- حق حرية الرأي

---

(1) بلوط، معجم تاريخ التراث الإسلامي، ج3، ص2043.
(2) خالد، حقوق الإنسان، ص41 .
(3) الجرف، نظرية الدولة، ص227 .
(4) سورة الإسراء، الآية: 70 .
(5) سورة البقرة، الآية: 30 .
(6) السامرائي، حقوق الإنسان في القرآن، ص77 .
(7) سورة المائدة، الآية: 32.
(8) سورة النساء، الآية: 29.
(9) سورة الأنعام، الآية: 98 .
(10) سورة البقرة، الآية: 256 .
(11) خالد، حقوق الإنسان، ص42.
(12) سورة يونس، الآية: 99 .

والحق الثالث الذي كفلته الشريعة الإسلامية هو حق حرية الرأي، إذ دعا الإسلام إلى حق حرية إبداء الرأي وجعلها واجباً على كل فرد[1]، قال جلَّ وعلا: ﴿ **وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ [2]، وحرية الرأي في الشريعة لا تقوم إلاّ بالشورى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[3].

د- حق المساواة:

خلق الله سبحانه وتعالى جموع الناس من نفس واحدة الأصل واحد والأب واحد[4]، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [5]، إذ ساوى الإسلام بين جميع الأفراد لا فرق بين فرد وآخر بسبب الجنس أو اللون أو المال، ولا فرق بين حاكم ومحكوم، إذ يتساوى الجميع أمام القضاء ولا تميز بين البشر قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ** ﴾ [6]، ومن هذا يتبيّن أقرار الإسلام المساواة في الحقوق والواجبات[7].

هـ- حق الملكية

والحق الآخر الذي كفلته الشريعة هو حق الملكية، إذ يسر له الإسلام سبل العيش والحصول على المال، فسحت له المجال للعمل والتكسب[8]، وجعل الله سبحانه وتعالى حب المال من الفطرة، قال: ﴿ **وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا** ﴾[9].

ولذلك فقد أقرّ الإسلام بحق الإرث، إذ نظمه وحرم في الوقت نفسه عدم التكسب بالطرق غير المشروعة كالربا والغش والاحتكار[10]، وأقرّ الإسلام الزكاة وجعلها حقاً وليس منه وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (24) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ** ﴾ [10].

و- حق التعليم:

وأما الحق الآخر فهو حق التعليم، وقد أعطى القرآن والسنة مكانة عالية وخاصة للعلم والعلماء، وبين ذلك في آيات عدّة، منه قوله تعالى: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الإنسان مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الإنسان مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾[12].

---

(1) خالد، حقوق الإنسان، ص43.
(2) سورة آل عمران، الآية: 104 .
(3) البياتي، الدولة القانونية، أطروحة دكتوراه، ص196 .
(4) السامرائي، فاروق، ص82 .
(5) سورة الحجرات، الآية: 13 .
(6) سورة فصلت، الآية: 6 .
(7) متولي، مبادئ نظام الحكم في الإسلام، ص338 .
(8) الجرف، نظرية الدولة، ص337 .
(9) سورة الفجر، الآية: 20 .
(10) السامرائي ، ص92 .
(11) سورة المعارج، الآية: 24 و25 .
(12) سورة العلق، الآية: 1-5.

وقد اتضحت مكانة العلم في قوله تعالى: ﴿ **هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [1]، وقد حثّت الأحاديث النبوية على طلب العلم، قال رسولنا الكريم (ﷺ) قوله "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة"[2].

ز- حق الخصوصية:

وأخيراً وليس آخراً ضمن الإسلام حق الخصوصية، إذ للإنسان الحق في الأمن على النفس والأسرار والعورات والبيوت، ذكرهم الله سبحانه وتعالى في قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ**﴾ [3].

أولاً - غرناطة التسمية

غرناطة في اللغة مشتقة من: الكلمة الرومانية **Granata** أي الرمانة بلسان الأعجمية[4]، وسميت كذلك لجمالها وحسنها وكثرة حدائق الرمان فيها[5]، وقيل أيضاً أن الاسم يرجع إلى انقسامها إلى تلين فهي تشبه الرمانة المشقوقة إلى نصفين[6].

وقد أضاف المستشرق سمونيت[7] أن غرناطة مزيج من كلمتين (ناطة) وهو اسم قرية قديمة تقع على مقربة من البيرة[8] (غار) وهو مقطع أضافه المسلمون فصارت غرناطة[9]، وقد أشارت بعض المصادر أن البيرة هي المدينة الرئيسة قبل غرناطة ثم أصبحت منذ القرن الخامس الهجري - الحادي عشر الميلادي تعرف بغرناطة[10]، ويمكننا أن نرجح هذا الرأي وذلك لاتفاق أكثر المصادر عليه، وذكرت بعض المصادر أن التسمية راجعة إلى اسم زوجة أحد ملوك غرناطة وهو باديس بن حبوس الثالث[11]، إذ كانت تعرف بـ (ناطة Naatha) إلاّ أن ذلك غير صحيح بدليل وجود الاسم بوقت أبعد من حكم باديس بن حبوس الذي استلم الحكم حقبة ملوك الطوائف[12] (422-472هـ /1031-1083م)، كما سميت أيضاً بغرناطة اليهود؛ لأن سكانها

---

(1) سورة الزمر، الآية: 9 .
(2) الجرباني ، ص76.
(3) سورة الحجرات، الآية: 12 .
(4) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص195 .
(5) عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المستنصرين، ج4، ص22 .
(6) شكيب ، خلاصة تاريخ الأندلس، ص69.
(7) سمونيت: مستشرق أسباني عني بتاريخ غرناطة وتاريخ المستعربين الذين اعتنقوا الإسلام ولد في مالقة سنة 1826م. للمزيد ينظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، ص360 .
(8) البيرة: كورة كبيرة في الأندلس تقع شمال غرب غرناطة بينها وبين قرطبة تسعون ميلاً كثيرة الأنهار. للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص195 .
(9) عنان، نهاية الأندلس، ص22 .
(10) مجموعة من المؤلفين، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج24، ص7586.
(11) باديس حبوس: يكنى أبا مناد ولي حكم غرناطة سنة (429هـ-466هـ) بعد وفاة والده حبوس. للمزيد ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص240 .
(12) حقبة ملوك الطوائف: الحقبة التي قامت بها الدويلات والمدن بعد سقوط الخلافة الأموية في الأندلس، إذ أصبحت كل مدينة لأحد الزعماء الذين اختلفوا في قوتهم ونشاطهم وكانوا في حالة نزاع مستمر. للمزيد ينظر: ابن خاقان، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، ق3، ص18 .

كانوا يهوداً[1] ويبدو أن التسمية ارتبطت بهم في وقت زاد عددهم فيها على النصارى فقيل "أن جالية يهودية قوية النفوذ كثيرة العدد تسكن غرناطة" [2].

كما أطلق عليها دمشق الأندلس، لأنها كانت شبيهة إلى حد كبير بدمشق الشام حيث كانت مليئة بالخضراوات والفواكه والبساتين والمزارع من مختلف الأصناف، إضافة إلى ذلك أن جند الشام نزلوا بها عند الفتح فسموها باسم بلادهم[3]، وأكد ابن سعيد على تشابهها مع دمشق ووصفها بأنها أجمل بقوله: "وأنا أقول وإن سميت دمشق الأندلس أحسن من دمشق"[4].

وهناك رأي أنها سميت دمشق الأندلس وأن الجند نزلوا بها لتشابهها مع طبيعة الأندلس من حيث الأنهار وكثرة الحدائق حيث كانت تذكرهم بموطنهم الأصلي، وقد تغنى بها الشعراء، وأطال في وصفها المؤرخون والرحالة، وخشي بعضهم من أن يُتهم بالعصبية لها بقوله: "لولا خشيت أن أنسب إلى العصبية لأطلت القول في وصف غرناطة..." [5].

ثانياً- الموقع:

احتلت مملكة غرناطة الجهة الجنوبية الشرقية من الأندلس وهي منحدرة من جنوب مملكة الوادي الكبير[6] حتى ساحل البحر المتوسط وجبل طارق[7] من الشرق كانت حدود المملكة تمتد من لورقة[8] في ولاية مرسيه[9] إلى البحر المتوسط، أما موقعها بالنسبة للأقاليم فقد عدّها ابن سعيد من الإقليم الرابع ذي المناخ المعتدل فيقول: "هي متمكنة من الإقليم الرابع المعتدل" [10] .

أما ابن الخطيب[11] فعدّها من الإقليم الخامس بقوله: وأما مملكة غرناطة من معمور الإقليم الخامس، وأنها ضمت ثلاثمائة قرية حيث تركز أغلب السكان فيها.

أما المقري [12] فقد ذكر أنها تضم مائتان وسبعون قرية عامرة بالبساتين وهي تضاهي المدن من حيث ازدهارها وكثرة الحبوب والمساجد فيها وأحباسها في أعمال البر وفيرة[13].

---

(1) الحميري، الروض المعطار، ص45 .
(2) مكي، دراسات أندلسية في الأدب والفلسفة، ص55 .
(3) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، القاهرة، ج1، ص91 .
(4) المراكشي، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص103 .
(5) ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمطار (الرحلة)، ص67 ؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص177 .
(6) الوادي الكبير: هو قصبة الأندلس يسمى بالوادي الكبير من أول خروجهُ إلى وقوعهُ في البحر سمي بهذا الاسم مدة بني أمية وما قبلها كان يسمى توفير، وزعم الكثيرون أنه وادي تدمير الزهري. محمد بن أبي بكر، الجغرافية، ص97-98.
(7) جبل طارق: ترجع تسميته إلى طارق بن زياد ويسمى بجبل الفتح، إذ أن أول من حل به بعد الفتح المسلمون ويقع مقابل الجزيرة الخضراء. للمزيد ينظر: خطاب، الأندلس وما جاورها، مج38، ج2، ص104 .
(8) لورقة: مدينة بالأندلس فيها حصن ومعقل فيها عنب يكون العنقود فيه خميس رطلاً. للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص25-26 .
(9) مرسيه: بالأندلس وهي قاعدة تدمير بناها عبد الرحمن بن الحكم، واتخذت دار العمال وقرار القواد وبها جامع جليل وحمامات وأسواق عامرة رخيصة الفواكه كثيرة الشجر والأعناب وكُثر فيها التين وأصناف الثمر وفيها معادن الفضة. للمزيد ينظر: الحميري، الروض المعطار، ج1، ص539.
(10) المراكشي ، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص102 .
(11) الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص126 ؛ اللمحة البدرية، ص12 .
(12) نفح الطيب، ج1، ص177 .
(13) الإحاطة، ج1، ص132-133 .

ومملكة غرناطة قائمة على تلين، تل الحمراء وتل البيازين يشقها نهر حدرة[1] من الوسط[2] وهي قلعة حصينة واسعة تكثر فيها القصور، ويجري فيها الماء، كما يجري في المدن[3]، ولمملكة غرناطة ثلاث عشرة باباً، ومن أضخمها: باب البيرة شمال غرب مملكة غرناطة، وباب الأسد، وباب الطواطين، وباب الفخارين، وباب الرحلة، وباب الخندق، وباب الدخان، وباب البنود[4]، وباب ارسور، وباب البيازين، وباب فحص اللوز[5].

وانمازت مملكة غرناطة بوجود أنهار عدّة زادت من جمالها وخصوبتها وازدهار زراعتها، وأبرزها: نهر شنيل وهو أحد فروع نهر الوادي الكبير طوله (211كم) بمد المنطقة بكميات كبيرة من المياه صيفاً عندما تذوب الثلوج، وقد ولع الشعراء في وصف هذا النهر وذكروه في قصائدهم[6]، إذ فضلوه على النيل بزيادة الشين، وتعني ألفاً في العدد فكأنما قدره بألف نيل وفي هذا يقول ابن الخطيب: "وما لمصر تفتخر بنيلها وألف منه في شنيلها"[7].

ثالثاً- أوصافها

كان لجمال مملكة غرناطة أثرٌ في أبداع الشعراء والأدباء في وصفها، إذ وصفوا أهلها وجمال أطلالها، فذكرها ابن الخطيب[8]بالبقعة المباركة ثم ذُكرت بأنها من أحسن بلاد الأندلس[9] وتغنى بها الشعراء، إذ قيل فيها:

بلـــدٌ تحـــف بـــه الريـــاض كأنـــهُ
وجـــه جميـــل والريـــاض عـــذارهُ
وكأنمـــا واديـــه معصـــم غـــادة
ومـن الجسـور المحكمـات سـواره[10]

وقد وصف المدينة أحد قضاتها مشيراً إلى شدة برودتها، إذ قال ابن شبيرين فيها[11]:

رعـــى الله مـــن غرناطـــة متبـــوءاً
يســـير كئبـــاً أو يجيـــرُ طريـــداً
بكـــرم منهـــا صـــاحبي عنـــدما رأى
مســـآرحَها بـــالبر وَعـــدَن جليـــداً[12]

ومن معالمها التي تأثروا بها أيضاً نهر شنيل[1]الذي يشبه نهر النيل، كما وصفوا مروجها الخضراء الشاسعة المحاطة بالقصور والجنائن من كل جانب، إذ ذكروها دائماً مع حدائق دمشق[2]

---

(1) نهر حدرة: من فروع نهر الوادي الكبير وتسمى باسم هدره. للمزيد ينظر: عنان، دولة الإسلام، ج5، ص23.
(2) ابن الخطيب، اللمحة البدرية ، ص14 .
(3) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، ص216 .
(4) باب البنود: من أبواب في القصبة الجديدة بغرناطة يقع مقابل الحمراء قبالة القصبة القديمة يفصله عن قصبة الحمراء نهر حدرة. للمزيد ينظر: عنان، دولة الإسلام، ج5، ص26.
(5) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج5، ص214 .
(6) المراكشي، اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، ص2 ؛ شبانة،العرض الموجز للإحداث التاريخية ذات الصلة مما ورد في كتابه الدكان، ص17 .
(7) الإحاطة، ج1، ص118 .
(8) الإحاطة، ج1، ص14 .
(9) القزويني، آثار البلاد، ص547 .
(10) المقري، أزهار الرياض، ج1، ص3.
(11) ابن شبيرين، هو أبو بكر محمد بن أحمد الجذامي (ت747ه/1347م) وهو أحد قضاة غرناطة. للمزيد ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص16 .
(12) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1،ص118 .

الغناء التي لا يقل جمالها عنها، فهي مليئة بالزروع والمياه وكانت أرضها تجود سحراً من أشجارها وما تحويه باطناً من جواهر المعادن كالذهب والفضة والحديد والرصاص وغيرها[3].

رابعاً- مؤسس مملكة غرناطة

يعدُّ أبو عبد الله محمد بن يوسف[4] (635ه) مؤسساً لمملكة غرناطة ومملكة بني الأحمر في الأندلس، وأجمع المؤرخون على أن نسبه يرجع إلى سعد بن عباده سيد الخزرج[5]، دخلوا البلاد مع الفاتحين من المسلمين واتخذوا مهنة الفلاحة وسيلة لمعيشتهم واتخذوا من أرجونة[6] مدينة لهم خدموا الدولة الأموية في الأندلس وانخرطوا في وظائف عدّة وكانوا ميالين إلى الجانب العسكري[7].

نشأ ابن الأحمر[8] في بيت أصالة ونعمة تحول من مهنة الفلاحة إلى العسكرية، وكان جديراً بها حيث يقول ابن الخطيب: نبض له شريان طلب الملك وانطوت أفكاره على تأميل الأمر والرياسة... [9].

كانت ولادته في وقت اشتدد فيه الصراع مع الممالك الأسبانية حيث أدى هذا الجو إلى نشوء وبلورة أفكاره وطموحاته، إذ استطاع بعد ذلك من تحقيق ما يصبو إليه من التحرر وتكوين مملكته، وتعدُّ أسرته آخر أسرة عربية حكمت الأندلس ودخل غرناطة في أواخر رمضان (635ه – 1238م) بعد أن دعاه أهلها وأعلنوا الطاعة له ثم بايعوه وخلعوا ابن هود[10] فدخل ابن الأحمر غرناطة في غروب الشمس مع صلاة المغرب[11] وقد وصفه ابن الخطيب عند دخوله وهو يرتدي ثياباً خشنة ممزقة وأدى الصلاة بالناس وبذلك بسط سيطرته على غرناطة[12].

---

(1) نهر شنيل: هو نهر غرناطة الكبير ينبع من جبل شلير قورن بنهر النيل لفيضه وعطاءه ونقاء مياهه. للمزيد ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص27 .

(2) الحميري، الروض المعطار، ص46 .

(3) سلمان، الثروات الطبيعية في الأندلس واستخدامها، العدد25، ص77 .

(4) محمد بن يوسف: أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خمس بن عقيل الملقب بالأحمر بن نصر بن قيس بن سعيد بن عبادة. ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص336-337.

(5) هو سعد بن عبادة: بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمر بن يعرب بن شعيب بن قحطان بن هميسع بن يمن بن بنت إسماعيل بن إبراهيم (عليه السلام). للمزيد ينظر: النباهي، نزهة البصائر والأبصار، ص111 .

(6) ارجونه: قلعة بالأندلس ينسب إليها محمد بن يوسف بن الأحمر من متأخري سلاطين الأندلس: للمزيد ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص26.

(7) ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص92-93 .

(8) إن تسمية ابن الأحمر يعود إلى جدهم عقيل بن نصير الذي يلقب بالأحمر لشقرته، ومعنى الحمراء أو الأحمر يرجع إلى لون تربة الهضاب التي بنيت عليها التي سميت بالسبيكة وهو اسم قديم ورد ذكره أيام ثورة المولدين التي قام بها عمر بن دفصون في القرن الثالث الهجري وتيمته بني الأحمر جاء محض صدفه ليس إلاّ. انظر: العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص525-526. للمزيد ينظر: عبد الرزاق، الحياة الاجتماعية، ص66 .

(9) ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص93 .

(10) ابن هود: محمد بن يوسف بن محمد بن عبد العظيم بن أحمد بن سليمان المتعين محمد بن هود أبو عبد الله من أعقاب بني هود الجذاميين من ملوك الطوائف، كان من الأجناد مقيماً في سرقسطة ثار على الموحدين في الصخيرات لقب نفسه بالمتوكل على الله. للمزيد ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص277-278.

(11) ابن عسكر، أعلام مالقة، ص174-175؛ الزركلي، الأعلام، ج7، ص145.

(12) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ص337 .

المبحث الأول

حق المشاركة السياسية في مملكة غرناطة

الحق في اختيار الملك أو السلطان

بعد أن تخلص ابن الأحمر من منافسه ابن هود دعا لنفسه في مدينة أرجونة مسقط رأسه، وعرف ابن الأحمر منذ صغره بالشجاعة والصلابة والطموح وكان عسكرياً بارعاً[1]، طمح للظهور في موطنه ومثوى أنصاره (629هـ /1232م) وبايعهُ أهلها فدعا للأمير أبي زكريا[2] وأطاعته جيان[3] ومن ثم شريش[4] ودخل غرناطة في أواخر شهر رمضان سنة (635ه/ 1238م) بعد أن أعلن أهلها الطاعة له وكان ظهوره هذا بمساعدة أصهاره (بني أشقيلولة[5])[6].

وقد مثل محمد بن يوسف[7] في تلك المدة (663- 672ه/ 1238-1273م) بالنسبة للغرناطيين دور المنقذ لما تبقى من الدولة العربية الإسلامية، وعزم ابن الأحمر على ضم المرية[8] بعد مقتل ابن هود على يد عامله عبد الله بن الرميمي[9]، واستطاع من ضمها إليه[10].

وفي الأندلسُ عرفُ لقب السلطان بمعنى تسليط أي سلطه الله عليهم[11]، قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾** [12]، بعد ذلك توسعت وأصبحت تعني صاحب السلطنة الدنيوي وهو الحاكم أو الوالي[13]، وقال **(صلى الله عليه وآله وسلم)** السلطان ظِلُّ الله في الأرض[14].

وبرزت مؤسسة سياسية تهيمن على الأمور الدنيوية يترأسها السلطان الذي يُعدُّ صاحب السلطة في الدولة، وهو الشخص الذي يمثل الهرم الإداري، وظهر هذا اللقب في عهد هارون الرشيد[15]، وحل محل الخليفة في الدولة العربية الإسلامية، أصبح بعدها لقب الخليفة يتقلص

---

(1) ابن الخطيب، الإحاطة،ج2، ص93 .

(2) أبو زكريا: الهمنتاني المصمودي السلطان الحفصي موطد دولة بني حفص في أفريقيا ينسب إلى عمر بن الخطاب (رض) ولد بمراكش سنة 599ه بويع له بالقيروان سنة 625ه واستقل بالحكم سنة 627ه، سنة 647ه - 1249م. ينظر: الموسوعة التاريخية، مجموعة من المؤلفين، ج5، ص439.

(3) جيان: مدينة أندلسية بينها وبين بياسة عشرون ميلاً وهي كثيرة الخصب رخيصة الأسعار كثيرة اللحوم والعسل. للمزيد ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص183 .

(4) شريش: قريبة من البحر تجود زراعتها ويكثر ريعها وهي حصينة. للمزيد ينظر: الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص102 ؛ الحميري، الروض المعطار، ص340 .

(5) بني اشقيلولة: من سكان الأندلس الأصليون وقال: إنهم من المولّدين اعتنقوا الإسلام واتخذوا أسماء عربية من العوائل القوية لقبهم الأسبان Renegada، أي المرتيدين أو الخوارج، وعلي بن محمد الثجيبي (أبو الحسن) زعيمهم الأول في وادي آش الذي ثار على ابن هود. للمزيد ينظر: ابن خلدون، ج7، ص254؛عنان، دولة الإسلام، ج1، ص206.

(6) ابن خلدون، العبر ، ج4، ص218 .

(7) محمد بن يوسف: محمد بن يوسف بن نصر بن قيس الأنصاري الذي لقب بالشيخ وابن الأحمر. للمزيد ينظر: ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ص218.

(8) المرية: على الساحل الجنوبي الشرقي من إسبانيا وهي أحد الأبواب الشرقية للأندلس وتعد ميناءً تجارياً وحربياً مهماً اشتهرت بصناعة الديباج. للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص119 .

(9) عبد الله بن الرميمي: محمد بن عبد الله بن أبي يحيى المريني وزير ابن هود ونائبه على المرية قام بقتل ابن هود والاستبداد بالمرية. للمزيد ينظر: المراكشي، المغرب، ج2، ص199 .

(10) ابن عذاري، المغرب في حلى المغرب، ج3، ص337 .

(11) ابن منظور، لسان العرب ج6، ص186 .

(12) سورة هود، الآية: 96 .

(13) الطرطوشي: سراج الملوك، ص74-79 ؛ فوزي، نظام السلطنة في الدولة العباسية، ص18 .

(14) وانسك وآخرون ، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف .

(15) ابن خلدون، المقدمة، ص262 .

حيث لم يبق للخليفة سوى حراسة الدين، وفي هذا يذكر البيروني "لم يبق للخليفة من الأمر شيء اللهم إلاّ ما كان متعلقاً بالدين وحراسته" [1].

وكان هذا السلطان يمثل تبعيته للخليفة في الخطبة والسكة بِعَدّ الخليفة يمثل سلطة دينية لدى المسلمين، وكلاهما قائم على الحكم المطلق وعلى نظام الوراثة، وفي غرناطة جمع السلاطين بين السلطتين الدينية والدنيوية، وفي غرناطة بات السلطان صاحب القرار النهائي في كافة أرجاء مملكته وعلى جميع سكان المملكة إطاعته في جميع قراراته لأنه يُعدُّ ملكهم، والقائم بأمورهم والساهر على راحتهم، وقد أطاع الغرناطيون ملوكهم، إذ ذكر ابن الخطيب (وطاعتهم للأمراء محكمة)[2]، ولم ينفرد سلطان غرناطة في الحكم، بل شاركه موظفين وإداريين في الإدارة والسياسة ومن حق السلطان قبول آرائهم أو رفضها في أمور المملكة كافة[3].

ونظام الحكم في غرناطة كما ذكرنا سابقاً نظاماً وراثياً، والوراثة محصورة في أبناء وحاشية السلطان، إذ كانت محصورة في أبناء البيت النصري من أولاد أبي عبد الله محمد بن يوسف (635-671هـ / 1237-1248م)، وقد حددت سنوات حكمه من سنة حكمه إلى سنة وفاته أو خلعه[4].

وخلال التاريخ النصري وجد أن أشخاصاً أبقوا على أبناء البيت النصري مع استئثارهم بالسلطة من وراء الحجاب، إذ كان الغرناطيون مقتنعين باعتلاء أفراد البيت النصري العرش وقد ترجم هذا خلال البيعة[5].

وكانت البيعة في غرناطة تتم وفق مرحلتين، الأولى البيعة الخاصة، والثانية البيعة العامة، وقد وردت كلمة البيعة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [6] وقال **(صلى الله عليه وآله وسلم)** : "من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة الجاهلية"[7].

ولم تكن البيعة في غرناطة أقل شأن منها في المشرق الإسلامي، إذ يأخذ السلطان بيعته الخاصة من الوجهاء والوزراء وعلية القوم والقضاة والكتاب وغيرهم ممن عرفوا بأهل العلم والحل والعقد، ويقوم هؤلاء باختيار من يمثلهم في البيعة وخيرُ مثال على ذلك مبايعة محمد بن يوسف الغالب بالله (755-762هـ /1354-1359م) تمت ولم يعترض أحد ممن اجتمعوا لمبايعته، وفي هذا يقول ابن الخطيب "وبادر إلى بيعته الفقهاء والعلماء والصلحاء والفضلاء وأهل الجهاد

---

[1] أبو ريحان، الآثار الباقية عن القرون الخالية، ص100 .
[2] اللمحة البدرية، ص24 .
[3] ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، ج2، ص63 .
[4] ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص60 .
[5] ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص541 .
[6] سورة الفتح، الآية: 10.
[7] وانسك، المعجم، ج2، ص500 .

وكواف البلاد وجمعهم يومئذ موفور، وشأنهم في الخير مشهور... وكان على عهد بيعته عمه حاضراً بحال الاكتهال..." [1].

وكان أمر البيعة يوكل إلى أشخاص مقربون من السلطان الجديد وخيرُ مثال على ذلك مقتل أبي الوليد إسماعيل بن فرج (713-725هـ /1324-1333م) الذي اغتالهُ ابن عمه محمد بن إسماعيل بطعنة خنجر في غرناطة فمات في ذي الحجة سنة (726ه) بسبب جارية حصل عليها في موقعه مرتوس[2] ادعى أنه ظفر بها، وكانت فائقة الجمال وأصابه وزيره أبي الحسن بن مسعود[3] بجراح أصرّ أبي الحسن على أخذ البيعة للسلطان محمد بن إسماعيل أبي عبد الله الرابع (725-733هـ / 1324-1333م) فيقول ابن الخطيب "وزر له وزير أبيه أبي الحسن بن مسعود وأخذ له البيعة وهو مثخن بما أصابه من الجراحات يوم الفتك بأبيه"[4].

وكذلك أخذ لسان الدين بن الخطيب البيعة لمحمد الغني (797-811هـ /1394-1409م)، فيقول في كتابه أعمال الإعلام "وبيعته مشهورة، من املائي، اتصل خبرها بالسلطان أمير المسلمين أبي عنان" [5].

وللبيعة في غرناطة أهمية في إتمام الحكم، إذ لا تصح الإمامة دون أخذ البيعة، وقد وصف ابن الخطيب البيعة بأنها السياج الحامي للحكم والمحصن له[6]، وكانت من الأمور اللازمة في الدولة، إذ تؤخذ من الرعية ويعمد في بعض الأحيان إلى إجبار السلطان على خلع نفسه وتنصيب آخر بدلاً عنه وهذا ما حدث فعلاً في الثورة التي قادها الأكابر من رجال الدولة ضد السلطان المخلوع[7]، حيث أطيح به ونصب أخيه نصر أبو الجيوش (708-713هـ /1308-1313م) بدلاً منهُ، وأدركوا فداحة أمرهم، لذا أشهدوا السلطان على خلع نفسه، ويبين هذا لنا قاعدة من قواعد البيعة حيث لا يجوز بيعة لشخصين من السلاطين، إذ تنفى الأولى بموت أو بتنازل السلطان عنها[8].

وفي السنة التي تم فيها خلع السلطان محمد الخامس (755-760هـ /1354-1359م) على يد أخيه إسماعيل الثاني[9] (760-761هـ /1359م-1360م) حرص أبناؤه على أخذ البيعة

---

(1) الإحاطة، ج2، ص99 .

(2) مرتوس: معركة حدثت بين النصارى وقائدهم ردربحو لونسو الأخ غير الشرعي لفرناندو الثالث وابن الأحمر محمد بن يوسف هزمهم هزيمة شديدة، إذ قتل أحبار قلعة رباح. للمزيد ينظر: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج5، ص42.

(3) أبو الحسن بن مسعود: فقيه مالكي وأديب ينعت بغزالي عصره من بني بوسلي بالمغرب الأقصى أخذ من علماء سجلماسة. للمزيد ينظر: الزركلي ، ج2، ص223 .

(4) ابن الخطيب،اللمحة البدرية، ص81 .

(5) ابن الخطيب،أعمال الأعلام، ج2، ص306 .

(6) ابن الخطيب،الإحاطة، ج2، ص66 .

(7) السلطان المخلوع: هو أبو عبد الله محمد الثالث (701-708ه/1302م-1309م) سمي بالمخلوع لأنه خلع من منصبه ثم قتلهُ أخوه نصر. للمزيد ينظر: السيد، معجم الألقاب والأسماء المستعارة في التاريخ العربي والإسلامي، ص292.

(8) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص54 ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص553 .

(9) أحد وزراء السلطان محمد الخامس قام بتدبير الثورة (767ه /1366م). للمزيد ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص65.

في اليوم التالي، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أهمية البيعة قائلاً: "ومن الغد استقام الأمر لأولى الثورة، واستكملوا لصاحبهم أمر البيعة" [1].

وحدث الأمر نفسه عند قيام الثورة ضد السلطان محمد الخامس (767ه/1366م) في باب البنود، ولم تؤخذ البيعة في مكان محدد، لكنها غالباً ما تؤخذ في قصر السلطان ولم يكن لها ضوابط محددة، ويبدو أن سلاطين بني الأحمر قد اعتادوا على أخذ البيعة ولا تخرج من البيت النصري لأسباب تتعلق بالأمن والسيادة، إذ كانت المملكة تعيش صراعات وتمردات وثورات تؤدي بالنهاية إلى رغبة السلاطين في تعيين ولي عهد جديد، وكان منصب ولي العهد من نصيب الابن الأكبر سنا وأرجح عقلاً وباشروا بذلك وأولادهم صغار مما أدى إلى تولي حكم المملكة سلاطين صغار لم يبلغوا الحلم بعد، فالسلطان محمد بن إسماعيل تولى الحكم وعمره (سنه نحو تسع سنين)، والسلطان يوسف بن إسماعيل كان مراهقاً والسلطان محمد بن يوسف "بويع صبياً لا أثر فيه لإنبات"[2].

وخلال كتاب البيعة الذي وصلنا للسلطان محمد الخامس الغني بالله (755-760هـ / 1354- 1359م) يمكننا الوقوف على طبيعة الحكم وطبيعة العلاقة القائمة بين السلطان ورعيته ودورهم فيها:

1- إن الحكم في المملكة قائم على أساس كتاب الله وسنة نبيه (ﷺ) .

2- السلطان هو الشخص الوحيد الذي ينتخب من العوام والخواص لهذا المنصب لتوافر الصفات التي تؤهله لهذا المنصب.

3- إذ توفر الأمان والعمل لسكان المملكة (للرعية) باتباع سياسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب على الناس طاعتهُ.

4- شبهت بيعة سلاطين غرناطة بالعقد والميثاق الذي يقطفهُ الناس أمام الله، وهذه الوثيقة تحتم على الناس مناصرة السلطان في السراء والضراء ومن يعمل خلاف ذلك يكون ناقضاً للعهد.

5- طبيعة النظام الوراثي في مملكة بني النصر "وتوارثوا ملكها ولداً عن أب"[3].

إن الحال في غرناطة لم يكن كذلك طيلة حكم سلاطينها، إذ في بعض الأحيان لم يكن الناس على قناعة في المرشح الذي يختارهُ الملك بدليل وجود الكثير من حركات التمرد والثورات، منها الاختلاف الذي نشب بين كبار رجال الدولة[4].

وتبين خلال البحث أن اختيار السلطان يقع على عاتق السلطان نفسه وليس للعامة دور في ذلك سوى البيعة وأخذ تواقيع اليد إثباتاً لذلك، إذ ليس لهم الحق في اختيار سلطانهم الجديد وما عليهم سوى الإمضاء وأداء البيعة لما يراه السلطان مناسباً لولاية العهد، وأن أمر البيعة يُعدُّ مشاركة شكلية للشعب في تنصيب سلاطينهم، وتكون مراسيمها كالآتي: "بعد أن تذكر شروط البيعة والتزام الجمهور بها يؤكدوا عقد بيعتهم بأن يشهدوا الله عليها ويقسموا على الالتزام بها

---

[1] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص27 .
[2] المصدر نفسه، ج2، ص27 .
[3] ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، ج1، ص125.
[4] المصدر نفسه، ج1، ص122.

ويذكروا أنهم بايعوا السلطان على ما بُيعَ عليه رسول الله (ﷺ) وعلى السمع والطاعة وملازمة السنة والجماعة ويذكروا لهُ أن طاعتهم لهُ خالصة في يومه وغده وأهواءهم متفقة في الشدة والرخاء وعهودهم محفوظة في السراء والضراء اشهدوا عليها الله وكفى بالله شهيدا وأعطوا صفقات أيمانهم تثبيتاً للوفاء بها وتأكيداً، وجعلوا منها في أعناقهم ميثاقاً وثيقاً وعهداً شديداً والله (ﷻ) يقول: ﴿ **فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً**﴾[1] ومن اصدق من الله وعداً ووعيداً"[2].

إن صاحب ديوان الانشاء[3]، هو المسؤول عن كتابة البيعة وتكون موجهة من الرعية إلى السلطان إقراراً منهم بالطاعة وقبولاً منهم بأمرته وسلطانه وأول بيعة حدثت في مملكة غرناطة هي بيعة محمد الأول (635ه/1237م)[4].

وخلال ما تقدّم يظهر لنا أن العامة ليس لهم حق في اختيار سلطانهم الجديد وما عليهم سوى أداء البيعة إذا انتهكت حقوقهم في هذا الجانب، ولم يكن لهم أي دور سوى الإمضاء على ما يراه السلطان مناسباً لولاية العهد، إذ لم يعط السلاطين في مملكة بني الأحمر الحق للغرناطيين في الحكم والمشاركة، إذ عمدوا أن يكون الحكم وراثياً محصوراً في أبناء البيت النصري.

---

(1) سورة الفتح، الآية: 10.

(2) ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، ج1، ص125.

(3) ديوان الإنشاء: أول ديوان وضع في الإسلام تطور وازداد الاهتمام به بِعدّه من المكاتبات السلطانية والولايات تنشأ منه وفي عهد بني الأحمر كان مركزهُ قصر الحمراء وكان اداتهم للاتصال بالشعب. للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص124-125.

(4) الهروط، الرسائل الديوانية، رسالة ماجستير في اللغة العربية، ص94.

المبحث الثاني

حق المشاركة في تولي المناصب الإدارية

تنوعت طبقات المجتمع الغرناطي، ويكمن ذلك التنوع نتيجة الظروف السياسية والاجتماعية ومن جرائها ظهرت طبقة الخاصة التي انحصرت بأشراف ووزراء ومشايخ وعلماء وفقهاء[1]، وذكر ذلك ابن عاصم[2] واصفاً الأشراف بأنهم بركة المجتمع والعلماء هم المحافظون على الشريعة ووضح عمل الأشياخ واختصاصهم بالجهاد (وبجهادهم استقرت الأوضاع واستقام الواجب، وهم كالعمود يسند من حكم البلاد وبحمايتهم القواد الذين بهم تقام أحكام البلاد وتحاط أعلامها وتوفى عهودها) وأما الفرسان فقال: (هم حماتها وأنجادها وأنصارها وجنودها) وعّبر عن دور الخاصة، وقال عنهم: (بهم ترجع الأعمال ويتم المقصود)[3].

فانحصرت المناصب الرئيسة والعليا في مملكة غرناطة بين الوزراء والقضاة والفقهاء وقادة الجيوش، وأما الوزارة فكانت تؤول إلى أحد الأعلام من رجال العلم، مثل ابن الحكيم اللخمي[4] وابن الجياب[5] وابن زمرك[6] وابن الخطيب[7] هؤلاء من أقطاب الكتابة والشعر وكان الوزير أداة لتنفيذ أوامر وقرارات السلطان، وكذلك يقوم بتوزيع الأعمال والمهام على أرباب المناصب وتحرير المكاتبات وصياغة المراسيم، إذ كانوا يجدون في هذه الأعمال ما يثير براعتهم الشعرية والأدبية ويتجلى هذا في الرسائل السلطانية ذات الأسلوب البديع، ويتمتع وزراء مملكة بني النصر بمكانة عالية، إذ لقبوا بلقب الحاجب مثال الحاجب رضوان[8] وزير السلطان يوسف بن الحجاج، وكان الوزير غالباً ما يستعين بموظفين لتنفيذ المهام وهؤلاء هم الكتاب، وكان للسلطان كاتب سر وأمين وغالباً ما يرقى هذه المرتبة الوزير، ويمكن القول إن السلطة التنفيذية الحقيقية كانت للوزير[9].

---

(1) المقري، نفح الطيب، ج1، ص176 .

(2) ابن عاصم، جنة الرضا، ج2، ص292-300 .

(3) المصدر نفسه، ج2، ص292-300 .

(4) ابن الحكيم اللخمي: هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى ابن الحكيم اللقمي يكنى بإبي بكر ويلقب بذي الوزارتين وندي النشأة. للمزيد ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص176 .

(5) ابن الجياب: هو علي بن محمد بن سليمان بن علي بن سليمان بن حسن الأنصاري ولد سنة 673ه وفي غرناطة وحاز على ثقة سلاطين بني الأحمر. للمزيد ينظر: المقري، نفح الطيب، ج5، ص434 .

(6) ابن زمرك: هو محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف بن محمد الضريحي يكنى بأبي عبد الله ويعرف بابن زمرك. للمزيد ينظر: الإحاطة، ج2، ص300 ؛ المقري، نفح الطيب، ج7، ص145 .

(7) ابن الخطيب: هو محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني المعروف بلسان الدين بن الخطيب ولد في لوشة بالقرب من غرناطة في 25 رجب 713ه من أهل العلم والدين خطيباً في لوشة وكان جده الأدبي سعيد من أهل القرآن والخط والحساب والأدب، قرأ على أبي الحسن الصريحي توفى شهيداً بطريف واشتهر بمؤلفات عدة منها الإحاطة في أخبار غرناطة واللمحة البدرية في الدولة النصرية وغيرها من المؤلفات التي تنسب إليه. للمزيد ينظر: ابن الخطيب، روضة التعريف بالحب الشريف، ص19.

(8) الحاجب رضوان: رومي الأصل كان عالماً بالفقه والنزاهة وكان على دراية بالسياسة والحديث. للمزيد ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص506-53 .

(9) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج4، ص442 .

أدى الوزراء دوراً فاعلاً في تيسير عجلة الحياة في مملكة بني النصر؛ وذلك لحضوتهم لدى سلاطينهم الذين تركوا لهم ترتيب شؤون البلاد، إذ أن السلطة بأيدهم ومثال على ذلك فابن الخطيب علقت عليه الآمال وتجمع ببابه الخاصة والعامة[1].

وكان لهم النيابة عن السلطان في مرضه وغيابه وإخماد الفتن والثورات التي يثيرها الشعب ضد السلطان وهم بذلك يتقاضون ضعف استحقاقهم وذلك بسبب المهام الإضافية التي توكل إليهم فأبو النعيم رضوان كان له قيادة الجيوش وله من النفوذ ما للسلطان[2]، إضافة إلى ذلك فقد كان للوزراء مهام أخرى في جميع الجوانب السياسية والعلمية، ومما يؤكد ما ذهبنا اليه الألقاب الكبيرة التي حظي بها الوزراء أمثال ابن الخطيب الذي لقب بذي الوزارتين وبذي العمريين؛ لتألقهُ في أمور الوزارة نهاراً وابداعهُ العلمي والإداري ليلاً، وكان لهم الحق في المشاركة الفاعلة في الحكم والسيادة، وكذلك الوزير أبي الحسن الجياب الذي تولى الوزارة في عهد يوسف بن إسماعيل (733-755هـ /1333-1354م) ولقب أيضاً بذي الوزارتين. [3]

وكان أغلب هؤلاء الوزراء يتم اختيارهم من علية القوم والأشراف الذين يعود نسبهم إلى العائلات المعروفة، مثل بني المول وبنو سراج وغيرهم، وكان من بين الوزراء من هم من الموالي الذين أحسنوا تدبير شؤون البلاد، أمثال رضوان النصري السابق الذكر، إذ كان من الأرقاء النصارى، وكان من الوزراء من فئة المماليك وهم النصارى ممن أسلموا وتقربوا إلى السلاطين وهؤلاء كان لهم الحق في اعتلاء المناصب العليا، إذ لحظنا المملوك عصام وزير السلطان محمد بن إسماعيل[4] وأبو مفرج وزير محمد الثالث وعلي بن يوسف بن كماشة وزير محمد الخامس[5].

لقد حصل الوزراء في دولة بنى النصر على حقوقهم بالجاه والنفوذ فضلاً عن المرتبات العالية والضياع والعقار التي تمنح لهم وقد تولى في دولة بنى النصر هذه الوظيفة المسلمون والنصارى ولم يكن لليهود نصيباً فيها، إذ لم تكن هذه الوظيفة من نصيب عامة الناس وانحصرت في علية القوم والأشراف باستثناء ابن زمرك الذي كان من أسرة فقيرة، وهو ابن حداد من حي البيازين، وأبو بكر محمد بن محمد عاصم الذي كان من نسب وضيع، وفي المدة الأخيرة لمملكة بني الأحمر غرق وزراؤها بحياة الترف والبذخ واللهو بالملذات ومعاشرة الجواري والمغنيات وابتعدوا عن تيسير أمور البلاد وأسرفوا في الأموال، الأمر الذي انعكس على العامة وموظفي الدولة حيث قلّ العطاء وفرضت المكوس المالية على البضائع والأسواق[6]، ومن الجدير بالذكر أنه في بعض اوقات مملكة بني النصر لم يكن النسب من الضروريات؛ فتمكن ابن زمرك من

---

(1) عنان، لسان الدين ابن الخطيب حياته وتراثه، ص122-123 .
(2) شبانة، يوسف الأول بن الأحمر سلطان غرناطة 733ه - 755ه، ص95 .
(3) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص103 ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص20-54 .
(4) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص120 .
(5) ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص14 .
(6) مجهول، نبذه العصر، 492 .

منصب الوزارة على الرغم من أنّه ابن حداد كان فقير من حي البيازين الشعبي[1]، وأصبح بعد ذلك كاتب للسر في عهد الغني بالله[2].

وكان للفقهاء أيضاً إسهام في مملكة بني الأحمر، فهم رجال الدين والدنيا؛ لأنهم حفظة الدين وحملة الشريعة ووصفهم ابن الخطيب بأنهم (سراج الملة)[3] ووصفت مكانة الفقه بالجلالة والرونق[4]، وكانت غرناطة تعج بالعديد منهم، إذ يشكلون فئة كبيرة لتوجه عدداً كبيراً منهم إليها نتيجة الهجرات بعد سقوط مدن الأندلس[5].

وللفقهاء في مملكة بني النصر الحق في اعتلاء المناصب والمشاركة الفاعلة في الحكم والتأثير على الشارع الغرناطي بما يصدرونه من فتاوٍ وأحكام، فظهور المشاكل الاجتماعية نتيجة لامتزاج الثقافات أدى إلى الحاجة إلى الإفتاء، وكان تأثيرهم كبير في سياسة غرناطة، فتمثل في دعم السلطة تارة وإضعافها مرة أخرى، إذ لديهم مكانة لدى السلاطين والخواص والعوام، ونجدهم يتصفون بألقاب عندهم مثلاً معظماً عند الملوك أو جميل الشارة أو ممتثل الشارة، وكانت هذه الألقاب حقوقاً تميزها عن غيرهم من عامة الناس[6].

وخلال معارك غرناطة برز دورهم في توجيه المسلمين وحثهم على الجهاد بالأنفس والأموال، واتضح هذا جلياً في حركة (الرئيس إسماعيل)[7] الذي قام بالفتنة عام (854ه / 145م) ضد السلطان أبو عبد الله محمد بن يوسف الثالث (820-858هـ /1417-1454م) الذي كان مدفوعاً بتحريض من ملوك قشتالة، إذ ثار في وادي آش[8] وانتقل إلى مالقة[9] واحتلها وكان موقفهم واضحاً في دعم المملكة حيث بينوا للناس مدى خطورة هذه الحركة فتمكنوا من صرف الناس وإنهاء الحركة بمقتلهُ[10].

وكان لهم الحق في تمثيل دولتهم في باقي الدول لاسيما المغرب خلال البعثات والسفارات من أجل حل المنازعات وعقد الصلح، وكذلك التهاني في مناسباتهم المتنوعة[11] ومن أمثال هؤلاء الفقيه الجليل محمد بن أحمد الطنجالي[12] الذي تمتع بحكمة ودراية؛ وبسبب خصاله

---

(1) المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، ج1، ص312 .
(2) ابن الخطيب، الإحاطة، ص196.
(3) ابن الآبار ، الحلة السيراء، ج1، ص43-47 .
(4) المقري، نفح الطيب، ج1، ص221 .
(5) المصدر نفسه، ج1، ص339 .
(6) ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، ص242 .
(7) حفيد السلطان يوسف الثاني وابن عم السلطان بن الأيسر واسمه يوسف بن أحمد وينتهي نسبه إلى الوليد إسماعيل. للمزيد ينظر: عنان، نهاية الإسلام، ص163 .
(8) وادي آش: أو ياش: وهي بلدة بديعة حسنة منيعة جداً كثيرة الفواكه والمزارع والمياه تشق من أبوابها. للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص221.
(9) مالقة: مدينة تقع جنوب الأندلس وهي بين أشبيلية وغرناطة وتطل على البحر من جهة شرقي غرناطة وعرفت سابقاً برية؛ لأنها جزء من كورة ريه، أسسها الفينيقيون عام 12 ق.م واعطوها اسم MALACA ومعناها المملح؛ وذلك نسبة إلى مستودعات الأسماك المملحة التي كانت تحفظ فيها واشتهرت بزراعة التين، كما اشتهرت بصناعة الفخار، ومن الناحية السياسية كانت عاصمة الحموديين الادارسة أيام ملوك الطوائف. للمزيد ينظر: ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص76.
(10) ابن عاصم، جنة الرضا، ج1، ص191 .
(11) السامرائي، السفارات في التاريخ الإسلامي حتى قيام الدولة العباسية، ص21-55 .
(12) ابا عبد الله الطنجالي: هو محمد بن أحمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي، وهو أحد علماء مالقه، أصله من لوشه، وتولى القضاء بمالقه. للمزيد ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص186.

الحميدة عين سفيراً لدى ملوك العدوة والأندلس فيذكر أن ابن الخطيب كان سهل اللقاء رفيقاً بالخلق[1].

واستقبلوا الشخصيات السياسية والقادة القادمين إلى بلاط غرناطة أمثال أحمد بن الحسن الكلاعي[2] لما ذكر عنه من حسن الخلق، ومنهم من اعمل في الرسائل وذلك لشهرته بفصاحة اللسان وسهول الألفاظ، أمثال إبراهيم بن عبد الرحمن التسولي[3]، إذ كان وجيهاً عند الملوك، فصحبهم وحضر مجالسهم وعمل في السفارة[4]، وقد حظوا بمكانة مرموقة في المجتمع الغرناطي والحظوة الغرناطية فلا تتم بيعة ولا خلع إلاّ بحضورهم فهم رجال الشريعة وأعلامها المعروفين[5].

وذكر ابن الخطيب لنا حادثة خلع محمد بن يوسف سنة (708ه/1309م) التي لم تتم إلاّ بحضورهم[6]، وكانت مجالس الشورى لا تعقد ولا تقلد إلاّ لكبارهم، مثال ذلك عثمان بن علي بن دعموق[7] المتوفى (709ه/1310م) الذي كان من الفقهاء الأجلاء ذاكراً للفقه مستمداً عليه في الشورى عرض عليه القضاء فلم يقبله وكان سلاطين بني الأحمر يتعضموهم ولا يستطيعون البطش بهم مهما بلغوا من القوة والسلطان، فهم يحسبون لهم الحساب، إذ كان اتهامهم بالعناد والإلحاد أمر يتحاشاه جميع السلاطين[8].

حادثة مقتل الوزير ابن الخطيب واحراق كتبهُ في باحة غرناطة، خير مثال على تأثيرهم في الشارع الغرناطي، إذ كانت بتدبير وقيادة منهم حادثة مقتل الوزير ابن الخطيب وإحراق كتبه في باحة غرناطة، إذ كانت بتدبير وقيادة منهم وعلى الأخص الفقيه أبو الحسن النباهي[9]، إذ دفع السلطان الغني بالله (762-794هـ /1361-1392م) على مصادقة حكمه وهو في المغرب فأعدم بحضور الفقهاء سنة (733ه/1371م)[10].

ومن الحقوق التي حصل عليها الفقهاء في مملكة بني الأحمر تولية بعضهم إمامة الجوامع ممن حظي بمرتبة عالية في المملكة لدى سلاطينهم، وكذلك لقوة العلاقة بينهم إذ قاموا بالدعاء للسلطان والجيش وحث الناس على الجهاد وكان دورهم واضحاً في الحياة السياسية

---

(1) بن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص186.

(2) أحمد بن الحسن الكلاعي: من أهل بلش يكنى أبي جعفر ويعرف بابن الزيات، الخطيب المتصوف الشهير جليل القدر عظيم الوقار توفى ببلش سنة 728ه. للمزيد ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، مج 1، ص145 .

(3) إبراهيم بن عبد الرحمن التسولي: أبو إسحاق التازي تولى خطة القضاء وعمل في السفارة فحمدت سيرته وشكرت حالته. للمزيد ينظر: النباهي، المرقبة العليا، ص136 .

(4) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص179 .

(5) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص294-295 .

(6) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص54 .

(7) عثمان بن علي بن دعموق: غرناطي يكنى بأبي عمر ويعرف بابن دعموق فقيهاً جليلا ذاكراً للفقه مستحضراً للأحكام معتمداً عليه في الشورى. للمزيد ينظر: ابن فرحون، الديباج المذهب، ج2، ص90.

(8) المصدر نفسه، ج2، ص90 .

(9) أبو الحسن النباهي: هو علي بن عبد الله بن الحسن الجذامي النباهي ولد سنة 713ه وكان من أصدقاء لسان الدين بن الخطيب لكنه انقلب عليه وأفتى بزندقته، قاضي الجماعة بغرناطة، وهو من الأعلام المعدومين فيها أثنى عليه ابن الخطيب بالإحاطة ثم لقبه بعد ذلك بالجعسوس، ألف فيه كتاب اسمان خلع الرسن في وصف القاضي أبو الحسن كان حياً عام 792ه صاحب كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا. للمزيد ينظر: الإحاطة، ج4، ص88 .

(10) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص319 .

والاجتماعية، وكان الاهتمام بخطيب الحمراء أمراً هاماً بالنسبة للعامة[1]، وبرز دور الفقهاء في أحداث عام (887ه/1482م) حينما رفضوا نقض العهد الذي قطعوه للسلطان أبي الحسن علي الذي نقضه العامة بتحريض من بني سراج[2].

وقد عهد للفقهاء حق المشاركة في العديد من الأحداث والمعارك، فكان لهم دور في معركة طريف[3] مما أدى إلى استشهاد ثلة كبيرة منهم، أمثال الفقيه محمد بن بكر الأشعري[4] حيث كتف دابته التي كان راكباً عليها وهو رابط الجأش مجتمع القوى، حيث قال له انصرف هذا يوم الفرح[5]، كذلك الفقيه محمد بن جزى الكلبي[6]، وكان يحرض الناس ويشحذ بصائرهم ويثبتهم، وأسهم الفقهاء أيضاً في بناء الجندي النصري خلال حثهم على الثبات والشجاعة، ومثال ذلك الفقيه رضوان النصري الذي أصابه سهم العدو وهو ساجد فلم يمنعه من تأدية صلاته، ويقول فيه ابن الخطيب: أصابه سهم في ذراعه وهو يصلي فلم يشغله عن صلاته ولا حمله توقع الإغارة على إبطال عمله[7].

أما منصب قيادة الجيوش فكان من أهم المناصب في مملكة بني الأحمر، وذلك بسبب مواجهة المملكة للعديد من الغارات على أراضيها من قبل القشتالين[8]، وأفضل من اختص في هذا الجانب، هم أسرة أبي العلاء من بطون مرين ملوك العدوة فكانوا مشهورين بالشجاعة والقوة والبراعة، وكان المتولي لمنصب قيادة الجيش يسمى بشيخ الغزاة، وكان المغاربة قد شغلوا قسماً كبيراً من الجيش النصري[9] حيث أهلتهم طبيعتهم البداوة إلى الحياة العسكرية إلاّ أنهم أحياناً شكلوا خطراً على المملكة نتيجة أطماعهم السياسية وقاموا بالعديد من الانقلابات وكانت قيادة الجيوش غالباً ما يعهد بها إلى السلطان نفسه، وكان من الواجب عليه أن يكون في قمة القيادة العسكرية، وقد بدأ ذلك محمد بن يوسف، إذ وصف ابن الخطيب بأنه جندياً ثغرياً... مباشراً للحرب بنفسه[10]، وكذلك ثاني ملوك النصريّن الذي باشر حملاته الجهادية بنفسه[11] وشنَّ السلطان محمد الرابع حملة ليحتل بها حصن قشرة[12] وكاد أن يخسر لولا وصول الإمدادات[13] وفي عهد السلطان أبي الحجاج يوسف قاد الجيش الأندلسي في واقعة طريف سنة (741ه/

---

(1) ابن فركون، ديوان ابن فركون، ص27 .

(2) بني سراج: وهم من أعرق الأنساب العربية يرجع نسبهم إلى مذحج وطي من البطون العربية وفدوا بنوها إلى الأندلس أثروا في الأحداث السياسية في غرناطة. للمزيد ينظر: عنان، الآثار الأندلسية، ص118 .

(3) وقيعة بني طريف: سماها ابن الخطيب الوقيعة العظيمة والشنيعة شارك فيها بنو الأحمر وبنو حمرين بقيادة أبي الحسن انتهت بهزيمة المسلمين، وكانت مشجعة للنصارى على استرجاع ما تبقي من مدنهم وذكرتهم بموقعة العقاب. للمزيد ينظر: ابن خلدون، العبر، ج7، ص310 .

(4) محمد بن بكر الأشعري: من ذرية بلج بن يحيى جمع بين الدراية والرواية مالقي أندلسي. للمزيد ينظر: النباهي؛ المرقبة العليا، ص141 .

(5) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص146-147 .

(6) محمد بن جزي الكلبي: هو محمد بن محمد بن أحمد بن جزي الكلبي ولد سنة 693ه تقدم خطيباً بالجامع الأعظم وإماماً له، وكان كاتباً في ديوان الإنشاء اشتهر بطريف سنة 741ه. للمزيد ينظر: ابن فرحون، الديباج المذهب، ص295-296 .

(7) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص291 .

(8) ابن عاصم، جنة الرضا، ج2، ص301 .

(9) المقري، نفح الطيب، ج2، ص538 ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج4، ص444 .

(10) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص30 .

(11) المصدر نفسه، ص41 .

(12) مدينة قشرة: ذكرها الحموي انه من إقليم لبلة. للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص297.

(13) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص535 .

1344م) التي أدّت بحياة الكثير من العلماء والفقهاء، ولم تشهد الأندلس مثيلاً لها منذ واقعة العقاب (609ه/1212م)[1].

وقد كانت قوة غرناطة العسكرية هي السبب الرئيس في صمودها أمام الإسبان لمدة قرنين ونصف، إذ ضم العديد من البربر الذين أتقنوا حرب العصابات، أما القضاء فكان من أرفع المناصب القضائية، ويمثل قاضي الجماعة في غرناطة منصب قاضي القضاة في مصر الإسلامية وسار القضاء في غرناطة على مذهب مالك[1] وهو المذهب السائد في الأندلس منذ القرن الثامن الهجري، وكان القاضي يُعين بظهير ملكي، وكان لكل مدينة قاضيها وخطيبها، ولم يشغل هذا المنصب في غرناطة سوى الأكابر والفقهاء[2].

أما القضاة فكانت لهم مكانة مرموقة، إذ استعملهم سلاطين بني الأحمر في الوظائف العليا كالسفارة، وبعث السلطان محمد بن إسماعيل بن فرح (725-730هـ /1320-1333م) القاضي أبي بكر بن مسعود[3] عام (727ه/1327م) مبعوثاً له إلى المغرب، وأرسل السلطان أبو عبد الله الزغل (890-892هـ / 1485-1487م)، أبو عبد الله بن محمد بن علي المعروف بابن الأزرق[4] بسفارة إلى مصر طالباً الغوث والإسناد من المماليك[5].

ومن واجبات القاضي أيضاً عيادة المرضى وشهود الجنائز وتفقد المحتاجين والمنكوبين والأشراف على بيت المال وتعيين من يتولى بأموره بعد مشاورة الفقهاء[6]، وكذلك أسهم القضاة مساهمة فعالة في افتكاك أسرى المسلمين خلال جمع الأموال لافتداء الأسرى حيث يذكر ابن بطوطة عند زيارته مالقة وجد القاضي أبا عبد الله محمد بن أحمد الطنجالي جالساً مع الفقهاء ومعه مجموعة من الناس لجمع الأموال لنداء الأسرى[7].

وكان إلى جانب قاضي الجماعة في غرناطة قاضي يعرف بقاضي الأنكحة وهذا القاضي مختص بقضايا الزواج والطلاق وما له علاقة بهما، ومن صفاته الورع والفقه وأن لا يكون شاباً[2]، إذ تولى القاضي أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي[3] (ت708ه/1308م) قضاء المناكح في غرناطة وكان عمره أربعة وأربعون، وكذلك يوجد في غرناطة قاضي أهل

---

(1) ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص322 ؛ عنان، دولة الإسلام، ج4، ص128 .

(1) مالك بن أنس: إمام دار الهجرة، أبو عبد الله مالم بن غيمان بن خيشيل بن عمر بن الحارث ولد سنة (93ه/711م) وهو فقيه ومحدث مسلم وصاحب المذهب المالكي (ت 197ه/795م). للمزيد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج8، ص49 .

(2) الظهير: منشور سلطاني يعبر عن قوانين سلطانية وهو مازال يستخدم في المغرب حتى يومنا هذا .

(3) أبو بكر يحيى بن مسعود: اسمه أحمد بن معاوية ت729ه حظياً بليغاً بصيراً بعقود الشروط سابقاً في علم الفرائض قضي وطراً في رندة ومالقة والمرية. للمزيد ينظر: النباهي، المرقبة العليا، ص139 .

(4) أبو عبد الله الأزرق: محمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي، أبو عبد الله شمس الدين الغرناطي عالم اجتماعي سلك طريق ابن خلدون تولى القضاء فيها إلى أن استولى عليها الإفرنج، إذ انتقل إلى تلمسان. للمزيد ينظر: الزركلي، الأعلام، ج6، 289 .

(5) السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج9، ص21 .

(6) السمناني، روضة القضاة وطريق النجاة، ج1، ص111-160 .

(7) ابن بطوطة، رحلة النظار في غرائب الأمصار وعصائب الأسفار، المعروفة برحلة ابن بطوطة، ص670

(1) الونشريسي، المعيار المغرب، ج3، ص111.

(3) هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسين بن الزبير بن عاصم بن مسلم بن كعب الثقفي يكنى بأبي جعفر من جيان، كان معظماً عند الخاصة والعامة عذب الفكاهة طيب المجالسة. للمزيد ينظر: كحالة، معجم المؤلفين، ج1، ص88.

الذمة[1] الذين عاشوا جنباً إلى جنب مع المسلمين وتحت حمايتهم، وأشار ابن القوطية إلى أن أكثر أهل الذمة لم يغادروا المناطق التي فتحها العرب المسلمون[2].

ويأتي دور المحتسبة في المشاركة خلال الدور الذي يكلفون به، والحسبة من الوظائف العليا في مملكة بني الأحمر اعتلاها العديد من الأشخاص، ولها أهمية في غرناطة؛ وذلك بسبب الحوادث المتمثلة بالحروب والأوبئة والمجاعة التي أدت إلى الغلاء المفرط ومن ثَمَّ وقوع الفوضى[3]، ولتامين حاجات الناس والقضاء على الفساد لكل أشكاله وأنواعه زاد الاهتمام بها، وكان للحسبة في غرناطة تعبيرات تختلف عما كانت عليه سابقاً، فسمي المحتسب بالحافز[4]، إذ يقف في باب المدينة، لمراقبة دخول السلع والبضائع إلى البلد وكان عملهُ مؤثراً في الحياة الأندلسية أيام بني الأحمر ولم تكن هذه المهنة سهلة، إذ كان على من يتولاها ان يتمتع بخصال كالإسلام والعقل والقدرة والكفاءة، فلم تولى لذمي، خوفاً من قهر المسلم والاستعلاء عليه من قبلهُ[5]، والقدرة لكي يتمكن من تغير المنكر أما باليد أو باللسان[6]، ولم يكن للنساء نصيب فيها في مملكة بني الأحمر على الرغم من النصوص الشرعية الواردة التي لا توجد فيها منع المرأة من تأدية هذه المهنة بدليل ان العديد من الصحابيات عملن فيها ومثال على ذلك سمراء بنت نهيك الاسدية[7]، التي كانت تمر بالأسواق تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتضرب بالسوط

من تراه مخالفاً، وقد اختلف الفقهاء في اشتراط الذكورة بالنسبة للمحتسب، ومن القائلين بوجوب الاشتراط ابن عبدون وابن العربي والقرطبي والمجيلدي، إذ ذكر المجيلدي أن من شروط المحتسب ان يكون ذكراً لأسباب لا تحصى وامور تستقصى[8]، ومن أشهر المحتسبين في غرناطة ابو بكر محمد بن فتح بن علي الأنصاري الأشبيلي المشهور بالأشبرون (ت698 ه)[9].

ووظيفة الحسبة، هي وظيفة دينية يختص صاحبها بمطاردة المنكرات ومنع الغش والاختلاس والحفاظ على الأحكام الشرعية، كما يعهد لصاحب الشرطة بحفظ النظام ويُنتخب صاحب الشرطة من كبار القادة والخاصة ومن حقه أن يتمتع بسلطات واسعة، إذ يقوم في بعض الأحيان بالإمضاء على العقوبة دون الرجوع إلى القاضي، ويعاونه في مهمته هذه مجموعة من الحرس تشرف على الطرق تقوم بحراستها وتتعقب الجناة[10].

---

(1) ابن الخطيب، الإحاطة، ص100-107 .
(2) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص114
(3) المراكشي، البيان المغرب، ص435.
(4) ابن عاصم، جنة الرضا، ج1، ص178.
(5) ابن النقاش، المذمة في استعمال أهل الذمة، ص266-268.
(6) ابن المناصف، تنبيه الأحكام، ج2، ص748-749.
(7) سمراء بنت نهيك: ادركت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) واعّتمرت جارية ابن بلج، روى عنها ابن بلج كانت تلبس الدرع والخمار. للمزيد ينظر: الهيثمي، بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد، ص428.
(8) المجيلدي، التيسير في أحكام التسعير، ص42-43.
(9) ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص138؛ اللمحة البدرية، ص40-41.
(10) المقري: نفح الطيب، ج3، ص70-74 و197 .

ويأتي بعد هؤلاء فئة التجار الذين لم يكن لهم نصيب في الوظائف السياسية والرئاسةِ وهم إلى الخاصة أقرب، إذ انحصرت مطالبيهم على توفير الأمن والنظام والعدالة ليتمكنوا من مزاولة أعمالهم التجارية بأمان ولكي تزداد أرباحهم فيها[1].

أما طبقة العامة فكانت بعيدة عن المناصب السياسية العليا، ونعتهم الرحالة عبد الباسط عند زيارته لغرناطة بأنهم من أفاضل أهل البلاد وأشجع الناس[2]، وهم ذوي الحرف والإجراء والباعة والعاطلون وجميع من يستخدم يده للحصول على لقمة العيش، وكانوا يتميزون بمستوى معاشي منخفض، لذا فهم أكثر عرضة للتأثر بالأزمات السياسية والاقتصادية التي كثر مثليها في غرناطة[3].

---

[1] خالص، أشبيلية في القرن الخامس الهجري، ص51 .
[2] عنان، رحلة عبد الباسط، ص107 .
[3] خالص، العامة في المجتمع الأندلسي ج5، ص338 .

المبحث الثالث

حقوق أهل الذمة في عصر مملكة غرناطة

الذمة: العهد أو الأمان أو الكفالة[1]، وسمي ذمي لأنه يدخل في أمان المسلمين، وأهل الذمة هم اليهود والنصارى، أهل الكتاب والديانات ممن يعيشون تحت الحكم الإسلامي أو في البلاد ذات الأغلبية المسلمة، وسموا بذلك لأنهم يعيشون تحت حماية الدولة الإسلامية فلا يجوز الاعتداء أو الإساءة لهم تحت أي عذر أو حجة، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وأن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما"[2].

لذلك يتمتع أهل الذمة في دولة الإسلام بالحقوق نفسها التي تمتع بها المسلمون، وقد ضمنت لهم الشريعة حقوق المواطنة الكاملة، فلم يظلم الإسلام الناس من لوناً أودين أو نسب، وإنما جاء الإسلام بالتسامح والعدل، وعامل جميع البشر بالإحسان، لقوله تعالى: ﴿**و إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[3].

وأول هذه الحقوق هو حق الحياة بشرط أداء الجزية، فكانت أرواحهم مصونة بها، وكانت تؤخذ من أجل المحافظة على أرواحهم وممتلكاتهم، ولا تسبى ذرياتهم من قبل اعتداء خارجي قال الإمام علي (عليه السلام): "إنما بذلوا الجزية لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا"[4].

وأعفيت المرأة عن الجزية والصبيان والمساكين والرهبان والمرضى[5]، فكان لأهل الذمة في الإسلام حقوق وعليهم واجبات حالهم في ذلك حال المسلم، وترك لهم الإسلام حرية العقيدة وممارسة الشعائر والمناسبات الدينية والاجتماعية، وضمنت هذه الحقوق بنص شرعي نصّ عليه القران الكريم في قوله تعالى: ﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾[6].

وفي مملكة بني النصر عاشت أصناف كثيرة من أهل الذمة في غرناطة لاسيما الإسبان الذين ظلوا في البلاد المفتوحة، وأطلق عليهم بعد ذلك اسم المستعربين، وتمتع هؤلاء بكامل حقوقهم حيث سُمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية ومناسباتهم الاجتماعية بكل حرية، ومن الجدير بالذكر أن المسلمين كانوا يشاركونهم الفرحة وكان الاحتفال بأعيادهم كبير جداً في منازل وشوارع غرناطة، فكانت تقام الموائد التي تحوي ما لذ وطاب من الحلويات والمأكولات والفواكه التي تصرف عليها الأموال، وكانوا ينتشرون في أماكن الأنهار والجبال يرقصون ويحتفلون يشاركهم المسلمون في ذلك، ونتيجة لحقهم في ممارسة ذلك بحرية وتسامح؛ ازداد عدد اللاجئين إلى غرناطة من الهاربين من هجمات الإسبان[7].

---

(1) الزبيدي، تاج العروس ، ج32، ص206.
(2) السندي ، كفاية الحاجة، ج2، ص152.
(3) سورة النحل، الآية: 91 .
(4) مجموعة من المؤلفين، الموسوعة الفقهية الكويتية، ج7، ص108.
(5) شوقي، الإسلام في قفص الاتهام، ص149.
(6) سورة البقرة، الآية: 256 .
(7) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص138 .

وكان الذمي في غرناطة يدفع الضرائب مقابل خدمات تقدّم له مثل بناء الكنائس والحمامات الخاصة بهم، حيث كانت هنالك مناطق تخصص لهم من ضمن مناطق الفحص لبناء الكنائس، وفي عهد بني النصر ازداد بناء الكنائس، وكان من حقهم في غرناطة ضرب الأجراس يوم الخميس، "إذ كان من الأيام المقدسة لديهم وكان عددها يزداد لزيادة أعداد اللاجئين إليها"[1].

وكانت لهم حماماتهم الخاصة بهم أيضاً، وكانوا يلبسون ملابس خاصة بهم تميزهم عن المسلمين لكي يأخذوا حقهم في التعامل والبيع والشراء[2]، وفي مجال الوظائف نجد أن أهل الذمة كانوا قد تسللوا في الوظائف العليا وكانوا قريبين من السلاطين والحكام حتى أن بعض سلاطين بني الأحمر اتخذوا حراساً من أهل الذمة من النصرانيين، وكانوا شديدي الولاء للحكام، فكان ولائهم لحكامهم ولاءً مطلقاً، وسموا أولئك بالمماليك وقام التجار الذميون بدور في اقتصاد غرناطة، إذ كان ساحل مالقة مرفأ للمسلمين والنصارى[3]، وكان (بطريف) الأسواق والفنادق[4].

وكانت المنكب[5] "مرفأ السفن ومحطها، ومنزل عباد الصليب ومختطها" [6]، وغرناطة ملاذً للنبلاء والقشتاليين، فنجدهم يلجئون إلى غرناطة عند حدوث الخصومات الداخلية، ومثالنا على ذلك الحكم بالإدانة الذي تلقاه مارق فرنشسكي في القرن التاسع عشر من قبل رجال الدين النصارى؛ بسبب تفسير جريء من قبله للإنجيل حيث لاذ إلى غرناطة ثم أرسل لملكه رسالة، بيّن فيها أنه لجأ إلى بلد أمين في قلب أمة متسامحة[7].

وكان أهل الذمة من اليهود والنصارى يعاملون معاملة طيبة حسنة، وأصبح بعضهم مسلمون لما لاقوه من معاملة حسنة، وانخرط قسماً كبيراً منهم في مختلف الوظائف العليا، وكانوا يتمتعون باحترام كبير يسيّرون أمورهم من قبل شيوخ منتخبين من جلدتهم ذوي حنكة ودهاء بالاتفاق مع السلطات الإسلامية، وكان الشيخ أو الرئيس يعرف (بالقومس)[8]، وفيما يتعلق بالخلافات التي تنشب بينهم فإنها إما تعرض على قاضي المسلمين أو تعرض على محاكم مختلطة من قضاة الديانتين، إذ كان لهم قاضي يدعى (قاضي العجم[9])[10].

---

(1) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص50 .
(2) المقري، نفح الطيب، ج9، ص197-198 ؛ الطوخي، مظاهر الحضارة، ص135 .
(3) المقري، نفح الطيب، ج4، ص206 .
(4) الإدريسي، صفة المغرب، ص179 .
(5) المنكب: بالأندلس مرسى صيفي يكن بشرقيه وله نهر يريق في البحر وعليه حصن كبير لا يرام به ريض وأسواق وجامع، والمنكب مدينة حسنة متوسطة كثيرة مصايد السمك وبها فواكه جمه. للمزيد ينظر: ابن الخطيب، معيار الاختبارات في مشاهدات، ص79
(6) الطوخي، مظاهر الحضارة، ص282 .
(7) المصدر نفسه، ص138 .
(8) القومس: رجل يعرف بزعيم عجم الذمة ينتخبه النصارى ليكون ممثلاً عنهم في جميع قضاياهم وأمورهم، وكذلك جمع الجزية. للمزيد ينظر: ابن عذاري، ج4، ص71 .
(9) قاضي العجم: وهو قاضي خاص بأهل الذمة في غرناطة. ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص100-105.
(10) دراسات أندلسية، دار المدار الإسلامي، ص90-91 .

وقد عرِفت شبه الجزيرة الإيبرية (الأندلس) وظيفة القماسة، فكان المجلس الملكي فيها يضم (ستة قوامس)، إضافة إلى ذلك الأساقفة والنبلاء ست قواميس، كان منهم قومس العاصمة وقومس الإقليم وآخرون[1].

وعلى القومس تنظيم القضايا الدينية وجباية الضرائب والسفارة، فكانوا يساعدون المسلمين في استقبال ملوك إسبانيا وينظر للقومس نظرة إجلال، ولم يتدخل المسلمون في تنظيمات النصارى ولا في عقائدهم ولا في شعائرهم الدينية، وخير دليل على ذلك، هو بقاء الكنائس في مناطق المسلمين ومجاورتها للمسجد الجامع في غرناطة[2].

وكان لهم دور كبير في إدارة الدولة كما ذكرنا سابقاً حيث تقلد أحد النصارى وزارة الدولة التنفيذية وهو أبو الحاجب رضوان كما سمح أن يكون العامل ذمي، فكانت معاملاته مع أبناء جلدته[3].

وقد ارتبط المسلمون مع النصارى بعلاقات، وكانوا كرماء فيما بينهم يتبادلون الهدايا والعطايا، كما ذكرت كتب الأدب والتاريخ الحب بين المسلمين والنصرانيات التي غالباً ما تنتهي بالزواج[4].

وعجم الذمة، هو لقبٌ يطلق على نصارى الإسبان الذي تعايشوا مع المسلمين واستمروا على دينهم، إذ كان لهؤلاء حرية ممارسة حقوقهم وشعائرهم الدينية[5].

أما بالنسبة لنسائهم فكان بعض نساء النصارى حظيات عند السلاطين والأمراء وقد جعلوهن سلاطين بني الأحمر أمهات ولد لأولادهم والشواهد في ذلك كثيرة، أمثال محمد الفقيه الذي تزوج شمس الضحى الرومية الأصل وأنجب منها، كما أن والدة محمد بن إسماعيل (علوة) كانت حظية عند أبيه الذي تزوج بها وكانت مملوكة لديه أيضاً[6] والحجاج يوسف الأول (733-755هـ /1333م-1354م) الذي اقترن بمملوكة تدعى بثينة كانت أم ولد لابنه محمد الخامس (755-760هـ /1354-1359م) كما تزوج السلطان علي بن سعد (868-887هـ /1463-1482م) من روميه كان يستشيرها في كل قضاياه[7]، وأصبح هذا تقليداً لأبناء غرناطة من وزراء وحاشية وكتاب وعامة الناس فعلى سبيل المثال كان ابن خلدون المؤرخ المشهور قد ارتبط بجارية من أصل رومي اسمها هند[8].

وفي مجال الصناعة فقد مارس النصارى العديد من الصناعات وأهمها الدباغة والحياكة وصناعة الأحذية، وكان لهم الحق في ممارسة كافة الأعمال، إذ مارس عدد كبير منهم الزراعة وتربية المواشي وصيد الأسماك، وكان مكان استقرارهم في الأماكن الحدودية من المرية ومالقة [9].

---

(1) عبادة، تاريخ النصارى في الأندلس، ص85 .
(2) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1 ص18 .
(3) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص28 .
(4) المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص164 ؛ المقريزي، الخطط،ج1، ص265 -269
(5) سالم، تاريخ المسلمين، ص130 .
(6) الطوخي، مظاهر الحضارة، ص136 .
(7) المقري، نفح الطيب، ج6، ص260 .
(8) المصدر نفسه، ج8، ص280 .
(9) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص158 .

ومن الحقوق التي حصل عليها أهل الذمة في غرناطة التسهيلات التي قدّمت لرعاياهم من التجار، إذ قام السلطان يوسف الأول (733-755هـ /1333-1354م) بعقد معاهدة مع بطرس الرابع ملك ارغوان (1336-1387م) من أجل السماح لهم بالتنقل لمزاولة أعمالهم التجارية بحرية، الأمر الذي أدى الى تطور تجارتهم وخاصة مع جنوة، وكذلك المرية، إذ كان النصارى تربطهم علاقات ودية طيبة مع سلاطين بني الأحمر ومن ذلك ما رواه ابن الخطيب عندما أهدوا للسلطان المذكور مظلة من الساج ليمر من تحتها الموكب السلطاني[1].

ولأهل الذمة الحق في أن يكون لهم فنادق وخانات خاصة بهم لتسهيل عملية التبادل التجاري داخلياً وخارجياً، ولهم أسواق وقساريات ومدن خاصة بهم يعيشون فيها، وأشار ابن العذاري إلى أن لهم قيساريات مرتبة حسب الصناعة التي تشهر بها، فكان التجار يقصدونها من كل حدب وصوب حتى أن تجارتهم وصلت إلى الإسكندرية[2].

وفي زمن الفتح الإسلامي (92هـ - 711م) لإسبانيا انتشروا أهل الذمة في معظم أرجائها ونواحيها، حيث ضمهم المسلمون إلى قصبات المدن بعد أن كانوا خارج المدن بإجبار من القوط الذين اضطهدوهم، فجاء الإسلام لهم بمثابة المنقذ، إذ كان لهم دورٌ بارزٌ في المجتمع الغرناطي، واليسانة[3] هي مدينة اليهود وسُمِح لهم فيها ممارسة شعائرهم الدينية وأعيادهم[4]، وشغلوا المناصب العليا ما عدا الوزارة، وعملوا كمستشارين وسفراء بين غرناطة وباقي دويلات الشرق، وسُمِح لليهود امتلاك الأراضي، وأصبح لهم شأن في التجارة والصناعة وغيرها من الأعمال[5].

وعمل اليهود الغرناطيون بالصيرفة التي اقترن ظهورها مع التجارة، إذ عملوا على تسليف التجار بفائدة كبيرة وكان لهم دور مؤثر في الأسواق الغرناطية، وكان منهم من فئة التجار المسافرون، ويعتمد عمل هؤلاء على السفر للمتاجرة لنفسه أو يعمل في خدمة تاجر آخر مستفيد من تناقض الأسعار، وذلك من أجل تنمية رؤوس الأموال[6].

ولليهود أيضاً حرية في مزاولة كافة الأعمال، إذ عملوا في استخراج الأحجار الكريمة وصياغتها، وسُمِح لهم باستخراج اللؤلؤ من البحر، فكانوا مبدعين بالصياغة[7].

وبرع اليهود كذلك في الطب وسُمِح لهم بمزاولته إذ كانوا على علم ودراية بالأعشاب، وأشهر من لمع اسمه بهذا الجانب إبراهام بن زرزر طبيب السلطان محمد الخامس (755-

---

(1) المصدر نفسه، ج1، 158 .
(2) المصدر نفسه، ج1، ص158 .
(3) اليسانة: شمال غرب لوشة أغلب سكانها من اليهود ولها ربض يسكن به مسلمون وأغلب سكانها من الميسورين. للمزيد ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص627 .
(4) أعيادهم: عيد النوروز، عيد الفصح، عيد العصير، عيد القطاف، عيد العنصرة، عيد السبت، عيد الفطرة، عيد المظلة وعيد خمس العدس أو العهد. للمزيد ينظر: المعموري، المستعربون، ص42-60.
(5) فرحات، غرناطة، ص98 .
(6) وناس، النشاط الاقتصادي في سلطنة غرناطة، ص168 – 169 .
(7) الخالدي، اليهود في الدولة العربية الإسلامية، ص293 .

760هـ /1354-1359م)[1]، وشكل طبقة من اليهود الميسورة في غرناطة، أما طبقة العامة فكانوا يعملون بالأيدي العاملة الرخيصة، أي الأعمال الصغيرة[2].

وكان لهم دور بارز في المملكة وعملوا في السفارات والترجمة؛ وذلك لمعرفتهم باللغة العربية والعبرية، وعملوا كمترجمين لدى ملوك الإسبان، ومثال على ذلك يسرائيل الرندي الذي قام بدور المترجم في عهد السلطان أبو عبد الله محمد بن سعد الملقب بالزغل في المفاوضات التي أدت إلى التنازل عن رندة (890ه/ 1485م)[3]، وكان هؤلاء اليهود من علماء وأطباء ومترجمين يتمتعون بمكانة عالية لدى السلاطين المسلمين[4].

وكان اليهود يجتمعون في أحياء خاصة بهم والصفة الغالبة على مساكنهم الصغر، حيث يتجمعون في شوارع وأزقة ضيقة وعملوا في مهنة الفلاحة، وسُمِح لهم امتلاك الأراضي الزراعية[5].

وكان لليهود شنوعات وهي كنيسة العبادة الخاصة بهم، وكذلك ناجيد وهو رئيسهم الذي يتولى أمورهم ويكون مسؤولاً عن جباية الجزية عنهم، ويقوم بتمثيلهم لدى الحكومة العليا في غرناطة[6].

وتمتع الذمي اليهودي بحق العلاقة مثلما للنصارى من مودة وصداقة بينهم وبين المسلمين مع أهل الذمة امام القضاء، وكان للذمي اليهودي حاله حال النصراني علاقات مودة وصداقة بينه وبين المسلمين، ولم يقتصر تعايش وتسامح المسلمين مع أهل الذمة أمام القضاء فحسب، بل تعداه إلى المقابر فكانت لهم مقابرهم الخاصة، واشهرها في قرطبة إضافة إلى المقابر الأخرى[7].

إذ لم يستطيع أي فرد المساس بحقوق أهل الذمة الدينية والمدنية، حتى أن السلطات في السلطات في مملكة غرناطة كانت تعاقب كل متعدي على تلك الحقوق من عامة الشعب، أو من قبل موظفي الدولة الكبار، وتشير النوازل[8] إلى طابع منح الحقوق الموجود في التعامل مع أهل الذمة[9]، ومن الجدير بالذكر أن السلطات العليا في مملكة غرناطة منحت موظفيها من أهل الذمة حق الإجازة في أيام أعيادهم ومناسباتهم، وكان لهم الحق في تقلد الوظائف العليا في المملكة كالسفارة والكتابة وولاية المدن، وكان موقف اليهود تجاه منحهم تلك الحقوق بأن جعلوا قسماً من أملاكهم لمساجد المسلمين[10] ، وكان لليهود الحق في الدراسة إلى جانب المسلمين في حلقاتهم

---

(1) ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ص19 .
(2) الخالدي، اليهود في الدولة العربية الإسلامية، ص293 .
(3) الطوخي، مظاهر الحضارة، ص148 .
(4) الطوخي، مظاهر الحضارة، ص147 .
(5) ابن سهل، وثائق في أحكام أهل الذمة، ص26 ؛ الخالدي، اليهود في الدولة العربية في الأندلس؛ وناس، النشاط الاقتصادي في سلطنة غرناطة، ص64 .
(6) الطوخي، مظاهر الحضارة، ص146 .
(7) القرطبي، المقتبس في أخبار بلاد الأندلس، ص92 .
(8) النوازل: جمع نازلة وهي المسائل المستجدة التي تنزل بالعالم الفقيه فيستخرج لها حكمً شرعياً، وهذا المصطلح خاص بالمغرب الإسلامي وهي مؤلفات حرر مادتها قضاة ومعنيون. للمزيد ينظر: محمد بن شريعه، وقائع أندلسية في نوازل القاضي عياض، مجلة دعوة الحق، ص29 .
(9) ابن حيان، السفر الثاني، ص138 .
(10) البرزلي، جامع مسائل الأحكام، ج5، ص443 – 445 .

الدراسية، إذ كانت المدرسة التي بناها محمد بن أحمد بن أبي بكر المرسي[1]، تستقبل طلبة العلم المسلمون والنصارى واليهود[2].

يتتلمذون على أيدي معلمين مسلمين، ونعموا بالتسامح والعدل وكانوا في رخاء من العيش ومارسوا الأنشطة المتعددة ودخل أكثرهم الإسلام وزاد عددهم حتى سميت غرناطة بغرناطة اليهود كما ذكرنا سابقاً، وأتاحت لهم السلطات المشاركة الثقافية والفكرية والعلمية وبرز منهم العديد من الأطباء والشعراء والأدباء، وسُمِح لأهل الذمة بامتلاك العبيد، وتشير الوثائق الأندلسية إلى أن يهودياً أدعى بمملوكية غلام خدمه، وكان الغلام يدعي الحرية وأنه من أبويين حربيين فكان الحكم لليهودي في هذه القضية، شرط أداء اليمين حيث قام القاضي ببيعه وإعطاء ثمنه لليهودي[3].

وألغيت العديد من الضرائب عن أهل الذمة في ظل المساواة في الحقوق، أما بخصوص الجزية فكان الطريق التخلص منها يعيدٌ عنهم؛ لاعتناقهم الإسلام الذي كان في حقيقته حماية لهم، فالحقوق التي نَعمّ بها أهل الذمة جعلت بعضهم يلجئون إلى الإسلام، بل ويفخرون بنسبهم العربي وأصوله العربية، ومثالنا في ذلك المستعربون. ومن بين الحقوق التي تمتع بها أهل الذمة في الأندلس عامة وفي غرناطة خاصة، حق الحضانة للأم النصرانية ومثال ذلك احتكام المرأة عند أحد الفقهاء ليتيم من أب مسلم وأم نصرانية وأم الأب مسلمة وأم الأم نصرانية فتكون الحضانة للجدة النصرانية[4].

وفي أمر الزواج من اليهودية أجاز مذهب مالك الزواج باليهودية والنصرانية، إلاّ أن المسلمين كانوا قليلي الارتباط باليهوديات، وذلك بسبب طبيعة اليهود الذين هم أكثر ميلاً للحفاظ على الجنس اليهودي، فكان لاختلاط أصناف السكان في مملكة غرناطة أثره في تغيير بعض المفاهيم والمعتقدات ولاسيما المرأة، فقد كان اليهود يمنعون النساء من التعليم ويرونَّ أنها وجدت للبيت وتربية الأولاد فقط، لكن الإسلام والمجتمع الإسلامي الغرناطي غيّر هذه المفاهيم، ومن الجدير بالذكر أن اليهود جحدوا حق المرأة حتى في مجال الإرث، إذ كانت المرأة اليهودية لا تورث، وكان الميراث اليهودي مبني على أربعة أوجه البنوة والأخوة والعمومة والأقارب، فأما الزوجة فلا ترث زوجها إذا توفى في حين يرثها هو، وإذا ترك الأب تركة كانت من حق الأولاد البنين فقط دون البنات، وكذلك الحق للرجل اليهودي ما تكسبه زوجته من كّدها، وفي الأندلس عندما دخل الإسلام أنصف هذه الشريحة وكان هذا مدعاة لدخول العديد من اليهوديات في الإسلام والزواج من المسلمين[5].

أما بالنسبة لنصيب المرأة في التعليم في العقيدة اليهودية فكان قليلاً جداً حيث أعتدن على التعليم في المنازل، وكان مقصوراً على القراءة والكتابة وبعض تعاليم الشريعة الضرورية في حياتهن اليومية،

---

(1) المرسي: هو أبو بكر محمد بن أغلب بن أبي الدوس بن أحمد المرسي، يكنى بأبي بكر، كان عالماً في المعرفة بالفنون القديمة كالمنطق والحساب والعدد والموسيقى والطب والفلسفة، طبيباً ماهراً وآية في المعرفة بالالسن، بنى لهُ ملك الروم مدرسة يقرئ فيها المسلمين والنصارى واليهود. للمزيد ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص48.

(2) المصدر نفسه ، ج1، ص97 – 98 .

(3) ابن سهل، وثائق في أحكام أهل الذمة، ص22 .

(4) المصدر نفسه، ص33 .

(5) الياسري، الحقوق المتعلقة بالتركة بين الفقه الإسلامي والقانون المقارن، ص28 – 29 .

أكدت المصادر على حصول الذميات على التعليم العالي في الأراضي التي كانت تحت السيطرة الإسلامية، وفي هذا المجال نذكر تصريح حاخام يهودي حيث يذكر "أنه من الأفضل أن يحترق كتاب التوراة عن أن تقرأهُ امرأة، وأنه لا يحق لرجل أن يعلم ابنتهُ التوراة"[1].

وتعدّت الديانة اليهودية إلى منع المرأة من التكلم أيضاً وخاصة في الكنائس، وعندما جاء الإسلام ودخل إلى الأندلس تغّير الوضع، وأصبح التأثير ملموساً في تغيير هذه المعتقدات، إذ سمح الإسلام للمرأة أن تتكلم وتجادل ولا تسكت عن أي حق لها وهي غير ملزمة بأن يكون زوجها هو مرجعها الوحيد، وفي العلم أمثلة كثيرة نذكر منها، مساهمة المرأة الذمية في الحركة الفكرية والأدبية، ومثالنا في ذلك الشاعرة قسمونة وهذا جانب من شعرها:

أرى روضة قد حان منها قطافها
ولـيس يـرى جـانٍ يمـد لهـا يـدا
فوا أسفي يمضي الشباب مضيعاً
ويبقـى الـذي مـا أن أسـميه مغـرداً

نستنتج مما تقدّم أن الإسلام دين سلام ووئام، واعترف كثير من المستشرقين بأن المسلمين واليهود والنصارى عاشوا جنباً إلى جنب بمودة ومثال على ذلك ما قاله (جولد تيسهر)[2] "إن ما يشاهد من تسامح الحكومات الإسلامية يرجع إلى ما كان في النصف الأول من القرن السابع الميلادي من مبادئ الحرية الدينية التي منحت أهل الكتاب حق مباشرة شعائرهم الدينية، فإن روح التسامح الإسلامي قديمة وهي روح اعترف بها المعاصرون"[3].

لذا فقد أحب الإسبان في مملكة غرناطة المسلمون، ووجدوا فيهم ما يريح القلب، وقارنوا بينهم وبين حكم القوط الهمجي، فازدهرت تجارتهم وصناعتهم وزراعتهم فيها، ومن نتائج ذلك أنهم تأثروا وأثروا في كافة الأبعاد، إذ مارسوا أفكار وتقاليد وعادات المسلمون في الملبس والمأكل والمشرب وتلقب كثيرٌ منهم بألقاب عربية حتى نبغ منهم الكثير وظهر ما يعرف بالاستعراب والمستعربون[4].

---

[1] عبد العظيم، المرأة في الإسلام والمرأة في العقيدة اليهودية والمسيحية بين الأسطورة والحقيقة، ص15

[2] جولد سيهر، مُستشرق يهودي ولد سنة 1850م في بلاد المجر من أسرة يهودية ارتحل إلى الشرق فأقام بالقاهرة مدة ثم سافر إلى سوريا وفلسطين. للمزيد ينظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، ص200-201.

[3] الخربوطلي، ع العرب واليهود في العصور القديمة الإسلامية، ص102 .

[4] محمد، الإسلام والحضارة العربية، ج1، ص256 .

المبحث الرابع

حق العدل وحرية التعبير عن الرأي

حرص السلاطين في غرناطة على إقامة العدل والمساواة بين أصناف المجتمع الغرناطي وحماية المظلومين وتقدير واحترام أصحاب الديانات من أهل الذمة قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى إِلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [1].

فالعدلُ ذكر في القرآن الكريم مرات عدة وهو أهم ركيزة حضارية وأقوى أساس تبنى عليه الدول، وقد وَرَدَ في القرآن بمفاهيم وهي الحرية والحقوق والمساواة وغيرها وقد جعله الله ضرورة اجتماعية قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ [2].

العدل لغة:

العدل: ما قام في النفوس أنه مستقيم وهو ضد الجور، عدل الحاكم في الحكم فهو عادل، وفي أسماء الله سبحانه وتعالى العدل هو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم، وهو في الأصل مصدر سمي به فوضع موضع العادل وهو أبلغ منه؛ لأنه جعل المسمى عدلاً، والعدل من الناس المرضي قوله وحكمه، ويقال رجلٌ عدلٌ ورجلان عَدْلٌ ورجالٌ عَدْلٌ وامرأَةٌ عَدْلٌ ونسوة عَدْلٌ[3].

العدل اصطلاحاً:

العدل في الوزن حتى تراه ظاهرًا، وقد يكون من العدل ما يخفى. هو الذي يتبع أمر الله بوضع كل شيء في موضعه من غير زيادة أو نقص، والعدل ضد الجور، والعدل هو أن تعطي من نفسك الواجب وتأخذه[4].

عاش في مملكة بني النصر أصنافاً بشرية كثيرة وشهدت هذه الفترة زيادة في الأعداد والأصناف السكانية، وذلك بسبب ازدياد الهجرة من أصناف شتى بسبب سقوط القواعد الأندلسية، فأصبحت غرناطة الملاذ الوحيد للعرب والمسلمون والبربر والنصارى واليهود.

ونِعمتْ هذه الأصناف البشرية المتعددة بالعدل، فالعدل والمساواة هي من الحقوق الأساسية التي لا يجوز انتهاكها وشرطاً جوهرياً للتمتع بكافة الحقوق، كحق الحرية وحق التعبير عن الرأي، وتبلور العدل في القرآن لقوله تعالى: ﴿ **وجادلهم بالتي هي أحسن** ﴾ [5].

لقد حارب القرآن أنواع الرق والعبودية جميعها، ووضع مشروعاً للحد مما كان موجود في الجاهلية والإمبراطوريات من رق وعبودية وظلم وطغيان، وقد أمر الله تعالى بالحق والعدل

---

[1] سورة المائدة، الآية: 8 .
[2] سورة النحل، الآية: 90.
[3] ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص430 ؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص1030.
[4] ابن حزم ، الأخلاق والسير، ص81 .
[5] النحل، الآية: 125.

في جوانب الحياة كلها اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، ونزلت آيات في الترغيب لفاعله والترهيب لمن حاد عنه، ومنع أن يكون اختلاف الدين ذريعة لحيف أو ظلم أو جور أو أية خروقات مادام غير مسلم بعيداً عن العدوان فجاء في قوله تعالى: ﴿ **لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ [1].

عرف سلاطين بني الأحمر بالعدل ومنح الحقوق، إذ وظفوا عبارات العدل في مراسيمهم واحتفالاتهم، وكان شعار الدولة النصرية (لا غالب إلاّ الله) يزين أرجاء المملكة، وحكم سلاطين بني النصر الناس بكتاب الله وسنة نبيه وأئمة المالكية، إذ كان أغلبهم على مذهب الإمام مالك بن أنس، وكانوا حريصين دائماً على إعانة المظلومين وإنصافهم من الظلم وتقوية الضعيف وعمل ابن الأحمر منذ استلامه عرش غرناطة على توطيد شؤون المملكة في أيام السلم، وقام بسلسة من الإصلاحات، إذ نظم الشرطة والقضاء، وكان يحترم الفقهاء الذين كان لهم مكانة في دولته، فشعر الضعيف بالأمان، وانماز ببساطته وقربه من شعبه فاتحاً بابه دائماً لتلقي مظالم العباد، راعياً حقوقهم، إذ أنشأ داراً للعميان وداراً للعجزة، وبنى المدارس والمنازل للغرباء دون تميز بين الأديان والقوميات، ومما يذكر عنه أنه كان يتفقد أحوال رعيته، وهو متخفي بزي لكي لا يعرفه أحد[2] ولأجل ضبط أمور حكمه التزم السلطان الجديد محمد بن نصر قاعدة حكمه لغرناطة هي: "لا حكم إلاّ بالرجال ولا رجال إلاّ بمال ولا مال إلاّ بالعمارة ولا عمارة إلاّ بالعدل والسياسة"[3]، وتعتبر مؤسسة القضاء من أعظم الخطط، لاتصالها بأمور الدين، وحرص المذهب المالكي على ضرورة حضور ذو العلم في مجلس قضائهم ضماناً للعدل وحرم على هؤلاء القضاة إبداء رأيهم في منازلهم، إذ كان القضاء يتم في المسجد[4].

وكان السلطان الغرناطي يراقب العمال بنفسه ويشتد عليهم في النكال ضماناً للعدل، وكان حريصاً على محاسبة المقصرين وعقوبة الحبس هي العقوبة السائدة إذا ثبت عليهم التقصير[5].

ويُفهم من النصوص أنه كان هناك مجلس شورى يستعين به السلاطين، إذ عدت المشورة من أسس المملكة وقواعد السلطنة[6] وكانت من الخطط التي يتولاها جماعة من الفقهاء والعلماء، يستشيرهم القاضي في جميع المسائل ولاسيما أن في القضاء قضايا مستجدة، وهم بحاجة إلى معرفة كل صغيرة وكبيرة فيما يخص أحوال الناس وهذا العمل يتطلب الاستشارة[7].

وذكر لنا ابن الخطيب في الإحاطة أسماء بعض منهم، أمثال محمد بن أحمد الدوسي المعروف بابن قطب[8] (ت651ه / 1253م)، إذ عدّه شيخ الفقهاء والموثقين، ونذكر من فقهاء

---

[1] الممتحنة، الآية: 8.
[2] ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص31 ؛ فرحات، غرناطة، ص325 .
[3] الدنيوري، عيون الأخبار، ج1، ص120 .
[4] الطوخي، أحمد محمد، مظاهر الحضارة، ص164 .
[5] الآزدي، تحفة المغترب في بلاد المغرب، ص67 .
[6] ابن الأزرقي، بدائع السالك، ج1، ص302 .
[7] وكيع، أخبار القضاة، ج1، ص77 .
[8] محمد بن أحمد الدوسي (ت738ه): من أهل غرناطة يكنى بأبي عبد الله، ويعرف بابن قطبة كان من علماء وأشياخ غرناطة، ولد سنة 669ه قرأ فيها على الاستاذ أبو جعفر بن الزبير وأبو الحسن بن فضيلة توفى 738ه. للمزيد ينظر: ابن الحطيب، الإحاطة، ج3، ص159-160.

غرناطة ممن اشتهروا بالعدل، القاضي أحمد بن محمد الغرناطي المكنى بأبي جعفر[1] حيث أدان هذا القاضي شخصاً من الشطار[2] في استخلاص مال يتيم، ونتيجة لذلك ولعدله وإنصافه لقي حتفه على يدهم وإحلالاً للعدل أيضاً قبض على قاتله ونفذ فيه القصاص في المكان نفسه الذي نفذ فيه القاتل جريمته[3].

كان محمد الأول (635- 671 ه /1238-1272م) يعقد المجالس للنظر في مظالم الناس وحاجاتهم، وكان مجلسه يقام في دار العدل بمنطقة السبيكة[4] يومين من كل أسبوع، وكان السلطان يفتتح مجلسه بقراءة القرآن ثم تقدم إليه الظلامات ويقوم هو بعرضها في مجلسه الخاص على من له حق التصرف فيها ويجالس طلبة الحاجة لمعرفة حوائجهم وتوفيرها لهم[5].

وسار محمد الفقيه على مسيرة والده في الحفاظ على أمن وسلامة وطمأنينة الرعية، إذ اهتم بالأمور الداخلية ووطد الأمن وقضى على الاضطرابات والفتن وقرب العلماء واهتم بالعلم[6].

ومن مظاهر عدله تقربه للعامة وكان يتفقد أحوال خواصه وحماته حرصاً منه على مصالح أبناء شعبه[7] وكان السلطان النصري يوجه سياسة مملكته بما يخدم مصلحة الرعية، فكانوا يقودون الجيوش بأنفسهم ويشاركون في أعمال الحفريات، إذ يذكر عن محمد الفقيه عند غزوه لقيجاطة أنه باشر العمل بيده في خندقها[8].

ومن مظاهر عدل الفقيه يروى أنه تظلم شخص عنده من جندي آوى إلى بيته وحاول اغتصاب زوجته، فكتب الفقيه في الإمضاء الخاص به أن يخرج هذا النازل ولا يعوض باي شيء من المنازل[9].

أما محمد الثالث المخلوع (701-708هـ / 1302-1308م) فقد اتصف بالفضاضة والقسوة في التعامل مع كبار الدولة والرعية، وكان مصاباً بمرض في عينه، إذ دخلوا عليه وأشهدوه بخلع نفسه إلاّ أنه على الرغم من ذلك كتب على قبره "المتوسل بما أسلفوه من أعمال البر والجهاد ورعاية البلاد والعباد"[10]، ثم بايعوا مكانه أخيه نصر[11] الذي اتسمت فترة حكمه بأنها أيام نحس، ونشبت في عهده الفتنة بينه وبين ابن عمه محمد بن إسماعيل الذي حقد عليه

---

(1) هو أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن محمد بن مصادف بن عبد الله، يكنى بأبي جعفر، وعرف بابن مصادف. للمزيد ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص80.

(2) الشطار: طائفة من أصل الدعارة والنهب واللصوصية كانوا يمتازون بملابس خاصة بهم لا يعدون اللصوصية جريمة، وإنما يعدونها صناعة، وإذا كبر أحدهم تاب، وتقوم الحكومة باستخدامه للكشف عن السراق واللصوص. للمزيد ينظر: قصي ، العيارون والشطار في العصر العباسي، ص15-20 .

(3) ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص18 .

(4) السبيكة: تقع جنوب شرق الحمراء وهو الاسم الذي يطلق على البسيط الأخضر الشاسع. للمزيد ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص116؛ مجهول، آخر أيام غرناطة، ص39.

(5) الطوخي، مظاهر الحضارة، ص166 .

(6) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج7، ص204 .

(7) الطوخي، مظاهر الحضارة، ص165 .

(8) عنان، ج1، ص570 .

(9) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص39 ؛ الطوخي، مظاهر الحضارة، ص159 .

(10) ابن الخطيب، الإحاطة،ج1، ص94 .

(11) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص93 ؛ فرحات، غرناطة، ص35 .

بسبب امرأة ادعت أنه ظفر بها في موقعة من المواقع مع العدو، هي موقعة مرتوس، وعُرِف إسماعيل بن فرج (713-725هـ / 1314-1325م) بالعدل وحسن الخلق، وكان يعقد المجالس العامة للناس، للنظر في مظالمهم وكان السلاطين يتيحون للعامة من أبناء شعبهم حرية التعبير عن الرأي خلال هيئة للمظالم، إذ يقومون بعرض الشكاوي، ثم يقوم السلطان باستلامها ويعطيها إلى من لهم حق التصرف والبت فيها ضماناً للعدل وكان إسماعيل بن فرج يجلس لمباشرة المظالم وشاهد كلامنا أنه قتل وهو يجلس في الناس في رجب (725ه /1325م)[1] وكان لهذه الفجيعة صدى لدى الشعب، إذ كثرت المراثي فيه[2].

وكان محمد الخامس يجلس للنظر في مظالم الناس ستة عشر يوماً من كل شهر، ويرسل المخبرين السريين والجواسيس من أهل العلم والوجاهة ليتفقد أحوال شعبه، وكذلك معرفة سير الحكام ومدى عدلهم وإنصافهم للعامة من الشعب، يصل فيها اليتيم والأرملة فيخرج الضعيف ويتأثر بشكوى المصائب ويعاقب الوزعة على الأغلاط[3].

أما محمد السادس (761-763هـ /1360-1362م) الغني بالله فقد كان قريباً من الرعية يعين الصدقات في أوقات معينة، ويقصد لمباشرة المظالم ستة عشر يوماً من كل شهر من شهور الأهلة يصل فيها اليتيم والأرملة، فيخرج الضعيف وينتظر الوقت في سبيل اللقاء به[4].

أما أبو الحجاج يوسف الأول (733-755هـ /1333-1354م) فقد اتصف بالعدل والإحسان للرعية عذب الكلام، وافر العقل، أحسن التعامل مع موظفيه ومع الرعية، وكان يرسل الرجال إلى الأقاليم من أهل العلم والعدالة لينقلوا له أخبار شعبه، وكان يراقب أخلاق وسير قواده وأحوال رعاياه، ويتفقد المساجد ويحارب أهل البدع ومدعي التصوف[5].

وكان من عدله يقوم بالرحلات التفتيشية ومثالنا على ذلك ما ذكره ابن الخطيب في خطرة الطيف، إذ قام أبو الحجاج يوسف (748ه/1347م) برحلة لتفقد أحوال الرعية[6].

وهنا نطرح سؤالاً ما هو دور هذه المجالس التي تعقد؟ والجواب أن دور هذه المجالس يتمحور في عدم انفراد السلطان برأيه، واعتماد النصح في المشورة في اصدار قراراته، والاعتماد على بعض الآراء التي يعتقد رجحانها وهو صاحب الحق في رفضها وقبولها ومثال ما ذهبنا إليه اذعان السلطان أبو الحجاج يوسف الأول (733-755هـ / 1333-1354م)، أمام طلبات القوم بعزل الوزير إبراهيم بن فرج الخولاني[7] وتعين الحاجب رضوان مكانهُ[8]، يرجع اتخاذ القرارات إلى ظروف البلاد السياسية ومدى قوة وضعف السلطان[9]، ومن الجدير بالذكر

---

(1) عنان، دولة الإسلام، ج1، ص400 .
(2) التميمي، رسالة مسلمي الأندلس إلى السلطان سليمان القانوني، مجلة الأصالة، ص73-75 .
(3) ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص35 ؛ اللمحة البدرية، ص31-35 .
(4) ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص32 .
(5) المقري، نفح الطيب، ج9، ص109 .
(6) الطوخي، مظاهر الحضارة، ص166 .
(7) إبراهيم بن فرج بن عبد البر الحولاي: ولد سنة 675هـ من أهل قرطبة يكنى بأبي اسحاق، ويُعرف بابن حُرّة من أهل البيوتات بالحفرة كان ذو مالاً ونباهة، توفى سنة 775 هـ. للمزيد ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص166.
(8) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص324.
(9) ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، ج2، ص58-61.

أن السلطان محمد الخامس الغني بالله (755-760هـ / 1354-1359م) أصدار ظهيرين الأول ارسال من ينوب عنه في جهات السلطة من أهل العلم والعدل والدين، ولمعرفة حاجات هذه الثغور ومعرفة ظلامات الناس والظهير يبين حق هؤلاء في اصدار الأحكام مباشرة ضد مرتكبي هذه المعاصي دون الرجوع إلى السلطان، إضافة إلى ان الظهير كشف أن هذا المرسل عند وصوله إلى البلدة المعنية يقوم بالاجتماع مع الناس لمعرفة حاجاتهم ومظالمهم ثم إيصالها للسلطان.

عاشت المملكة في عهده عهداً ذهبياً، إذ أحسن مداراة الرعية وقرب العلماء وبنى المدارس وأنشأت المدرسة اليوسفية (750ه) وأصلح الحصون[1] وعمد محمد الخامس (755-760هـ /1354-1359م) للنظر في المظالم، فمجلس للمظالم ستة عشر يوماً من كل شهر[2].

ومن مظاهر عدل السلطان مع الرعية قيادته لجيوشه بنفسه، إذ قام محمد بن إسماعيل بقيادة جيشه وكان "لا تقع العين وإن غصت الميادين على أدرب بركض الجياد منه"[3].

كما قاد يوسف الأول جيشه في موقعة طريف، وكذلك محمد الخامس في الإغارة على العدو في جيان وحصن آشر وكانوا يشتركون مع الجيوش حتى في أعمال التحصينات التي يأمر بعملها السلطان، إذ قام أبو الوليد إسماعيل بن فرج (760-761هـ / 1359-1360م) عند منازلته آشكر بتحصين خندقها بيده وعمّقهُ وعمل فيه بيده)[4].

وضماناً للعدل حرص الحكام على أن يتمتع الرعية بحرية الرأي والتعبير باختلاف انتمائهم ومللهم، إذ كفلت لهم حق البقاء على دينهم وحفظت لهم أماكن عباداتهم وضمنت مصالحهم في كافة الجوانب والميادين دون تفرقة أو تمييز، إذ كان لهم من يطالب بحقوقهم ومن ينقل آراءهم ومطاليبهم إلى السلطان[5].

وكان للغرناطيين الحق في نقد أساليب الحكم، إذ أكرهوا عادة تقبيل يد السلطان التي رفضها مذهبهم المالكي وعدّوها من فعل الأعاجم[6].

وقد خصّ هذا التقبيل فقهاء غرناطة من باب الاحترام والتقدير لمكانتهم المتميزة عند الغرناطيين[7] وكان السلطان الغرناطي كثير الاستشارة لأهل الرأي والعلم قبل اتخاذه أي قرار، إذ كان مقرباً للفقهاء والعلماء في مجلسه فشعر الضعيف بالأمان وضماناً لحرية الرأي والتنظيم كان هناك هيئة للمظالم تعقد بحضور الحماة والأعوان والقضاة لاستعلام ما يثبت من حقوق بحضور الفقهاء، للتشاور، والكتاب؛ للتدوين والشهود[8]، إذ تصرف كل قصة إلى ما يليق النظر فيها[9].

---

(1) رمضان، تاريخ المغرب والأندلس حتى سقوط غرناطة، ص578 .
(2) الطوخي، مظاهر الحضارة، ص168 .
(3) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص77 .
(4) الطوخي، مظاهر الحضارة، ص168 .
(5) ولدان، تاريخ اليهود في الأندلس، ص27 .
(6) الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص142 .
(7) ابن بسام، الذخيرة، مج1، ص50 ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص199-200 .
(8) الحنبلي، الأحكام السلطانية، ص70 .
(9) ابن الخطيب، مقامه السياسة، ص32 .

وفي غرناطة وجدت هيئة تنظم القضايا بعد ردها من الفقهاء لإنصاف الناس من الظلم الذي يقع عليهم تسمى هذه بخطة الرد[1] (وهذا يطلق عليه اليوم القرار التمييزي).

ومن روائع الحق والحرية واحترام الرأي والتعبير ذلك الموقف الذي اتخذه أمام دار الهجرة مالك بن أنس حينما أراد أبو جعفر المنصور أن ينسخ نسخاً من كتابه الموطأ ليعممها على المسلمين في الأقاليم ويلزم الأخذ بما فيه وعدم مخالفته، ولما عرض فكرته هذه على الإمام مالك قال: له يا أمير المؤمنين لا تفعل فإن أصحاب رسول الله (ﷺ) تفرقوا في البلاد فأفتى كل في عصره بما رأى، وأن الناس قد سبقت لهم أقاويل وسمعوا أحاديث ورددوا روايات وأخذ كل قوم بما سبق إليهم وعملوا به فدع الناس وما هم عليه[2].

ومن مظاهر حق حرية التعبير عن الرأي رفض الغرناطيون للظلم ورفضهم لأساليب وشخصيات حكامهم التي امتازت في بعض الأحيان بالضعف، ومثال ذلك نذكر الثورات والانقلابات التي قام بها الشعب ضد محمد الثالث (المخلوع) (701-708هـ / 1302-1308م) عندما استأثر وزيره أبا الحكيم الرندي[3] بالسلطة، إذ ثار الشعب بقيادة أبي الجيوش نصر (708-713هـ / 1208-1313م) ونهبوا دار الوزير، ثم اعتقلوا السلطان وأجبروه على التنازل عن العرش ونفوه إلى المنكب وبايعوا مكانه أبا الجيوش، نصر الذي كان ولعاً بظاهر الآلهة ولم يحسن تدبير شؤون البلاد، مما أدى إلى القيام بالثورة ضده أيضاً، وكانت القشة التي قصمت ظهر البعير تحالفه مع فرناندو الرابع والتعهد له بدفع الجزية، وثار العامة في غرناطة بسبب سوء أحوالهم الاقتصادية، إذ كانوا بين حرب وحصار ولم يكترث السلاطين بهم الأمر الذي أثاروه في حي البيازين فانتشر النهب والسلب والقتل وراح ضحية ذلك خلق كثير، ومن الأدلة التي تثبت حرية الرأي والنقد ما قيل عن أهل غرناطة "من كانت العامة من أهل غرناطة معه من ملوك راج أمرهُ ومن شاؤا سلطته أبقوه ومن أبوه أخرجوه"[4].

إذ كان رأي العامة ذو وقع على سلاطين بني الأحمر، وعزل السلطان أبو الحجاج يوسف الأول (733-755هـ / 1333-1354م) والوزير إبراهيم بن عبد البر لأنه لم يكن محبوباً عند العامة والخاصة وطلبوا من السلطان إعاضته فاستبدله بأبي النعيم رضوان[5].

وقد أشار ابن الخطيب إلى دورهم في الدفاع عن الوزير أبي الحاجب رضوان، ورفضوا اعتقاله من قبل السلطان محمد بن أبي الوليد قائلاً: "وارتكب فيه أُشنوعة أساءت به العامة

---

(1) خطة الرد: أي حق الاستئناف فالخصم الذي لا يرضيه حكم القاضي يتظلم عند قاضي آخر يسمى صاحب الرد فإذا وجد فيها ظلم يرفعها إلى القاضي الآخر أو إلى السلطان كي يصدر فيها حكمه بعد استشارة مجلس الشورى. للمزيد ينظر: ابن سهل، الأعلام بنوازل الأحكام، ج1، ص28 .

(2) القاضي عياض، ترتيب المدارس، ج1، ص191 .

(3) أبي الحكيم الرندي، رندي النشأة أشبيلي الأصل قدم حضرة غرناطة أيام السلطان محمد فالحقه بكتابة إلى أن توفى في ولاية محمد المخلوع الذي لحقه بالوزارة ولقبه بذي الوزارتين. للمزيد ينظر: الونشريسي، المعيار المغرب، ص99 .

(4) عنان، رحلة عبد الباسط، ص106-107 .

(5) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص90 .

ونذرت باختلال عام" [1] ولما أعاده إلى منصبه قال "فرضى الكل به وفرحت العامة والخاصة"[2].

وكان الأهالي غالباً ما يثورون من أجل تغيير واقعهم "إذ يثورون بالقاضي إن جانب العدل وبالحاكم إن ولج في معصية ظاهرة، حتى أنهم يدخلون عليه قصره، حتى يخرجوه من بلدهم"[3].

ومن مظاهر حق حرية الرأي والتعبير السماح لأهل الذمة من يهود ونصارى من تَمّف في شرائعهم وأحكامهم وجمعوا الكتب والمؤلفات من كافة البقاع وكانت لهم، إضافة إلى ذلك محاكمهم القضائية، ويعمل الموظفين وفق تشريعاتهم[4]، وكذلك كانت لهم مقابرهم الخاصة، وبلغ من احترام السلاطين لأهل الذمة منع موظفيهم الإجازات في أعيادهم ومناسباتهم[5].

ومن الأمثلة على حق حرية الرأي والتعبير، عبر الأندلسيون الغرناطيون عن احتفالاتهم بأسلوبهم، إذ ساروا في الشوارع إلى ساعات متأخرة يتناثرون الماء المعطر ويتبادلون رمي الفاكهة والزهور على بعضهم ولم تسير هذه الاحتفالات وفق نظام مرتب[6] وفي الاحتفال بالانتصارات العسكرية كانوا يظهرون بأجمل الصور، إذ تظهر عليهم معالم الزينة والفرح بالنصر يتزينون بالزهور احتراماً وتقديساً لهذا النصر[7].

وتمتع الغرناطيون بحق الحرية التامة في مأكلهم وملبسهم، فكانت لكل طائفة لباسها الخاص بها، تمتعت المرأة بالنسبة للحجاب بحرية في ارتدائه أو عدمه، وكان النسوة في الأحياء الشعبية يقفن على أبواب المنازل سافرات الوجه[8]، إذ ذكر ابن الخطيب ذلك في رحلته التي قام بها مع أبي الحجاج يوسف الأول إلى وادي آش، فيصف لنا ترك النسوة للنقاب وتزاحمهن لمشاهدة الركب السلطاني، إذ اختلط الرجال بالنساء لمشاهدة السلطان[9].

إلا أن ذلك لم ينفِ وجود نساء كن يستخدمن الحجاب ويبتعدن عن ممارسة الطقوس الاجتماعية والعادات، ويرى ابن الخطيب أن الفقيه أبو البركات بن الفخار الجذامي[10] (ت723ه/ 1323م) كان قد اتخذ مملوكة رومية لا يشتمل منزلهُ على سواها فإذا أنس منها الضجر للحصر وتمادي الحجاب، أعتقها وأصحبها إلى أرضة[11]، وكان في غرناطة نساء تسمى بالعربيات لمحافظتهن على التقاليد[12].

---

(1) الإحاطة: ج1، ص510 .
(2) شبانة، يوسف الأول ابن الأحمر، ص91 .
(3) المقري، نفح الطيب، ج1، ص204 .
(4) ابن سهل، وثائق في أحكام أهل الذمة، ص492 .
(5) الضبي، بغية الملتمس، ص345 .
(6) ابن عبدون، ثلاث رسائل في الحسبة، ص113 ؛ الطوخي، مظاهر الحضارة، ص122 .
(7) عبد الرزاق، ص 205 .
(8) الطوخي، مظاهر الحضارة، ص93 .
(9) المصدر نفسه، ص95.
(10) أبو البركات بن الفخار الجذامي: هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن الفخار الجذامي يكنى أبا بكر ولد في أركش ونشأ في مالقة عقد لهُ حاكم غرناطة مجلس للنظر في شؤون الناس بلغ مكانة لم يبلغها أحد توفى سنة (723ه). للمزيد ينظر: ابن فرحون، الديباج المذهب، ج2، ص288 .
(11) ابن الخطيب، الإحاطة (عنان)، ج3، ص91 – 95، الطوخي، مظاهر الحضارة، ص95 .
(12) المقري، نفح الطيب، ج6، ص25 .

لقد تأثرت الحياة الاجتماعية للغرناطيين بحكم الجوار والاتصال مع الطوائف الأخرى وهذا واضح بالنسبة للحرية التي تمتعت بها المرأة الغرناطية بالنسبة للمرأة في المشرق العربي الإسلامي[1].

ويتضح حق التعبير عن الرأي والحرية في لباس الغرناطيون في أيام الحداد، إذ ارتدى رجالهم ونسائهم اللون الأسود في أيام بني الأحمر وبعضهم يلبس الأزرق[2]، وكان قبل بني الأحمر اللون السائد في الحداد هو اللون الأبيض الذي اقتبس من الأمويين[3]، أما أهل الذمة فقد ارتدوا أزياءهم الخاصة بهم ولم يرتدوا العمامة أبداً[4].

ومن مظاهر حق الحرية في ابداء الرأي والتعبير الاحتفالات بالأعياد والمناسبات التي كانت تقام في مملكة غرناطة، وإن أهل غرناطة على الرغم من محنهم المستمرة إلاّ أنهم أحبوا الحياة، حيث شارك بعضهم، بعض في إحياء أعيادهم ومناسباتهم الدينية والاجتماعية لا فرق بين مسلم ونصراني ويهودي، وكان المسلمون يحتفلون بعيد الفطر وعيد الأضحى ويحيون ليلة القدر، وشارك المسلمون في غرناطة بعدد من الأعياد النصرانية، مثل عيد الميلاد وعيد رأس السنة وعيد النصرة وهو العيد الذي يوافق ميلاد سان خوان (زكريا)[5]، وكان المسلمون يحيون يوم عاشورا وعيد المولد النبوي الشريف الذي يرجع الفضل في إحيائه إلى القاضي أبو العباس أحمد بن القاضي محمد بن أحمد اللخمي الفرضي السبتي[6] (366ه / 1236م) وذلك عندما رأى تمادي مشاركة المسلمين في إحياء أعياد النصارى، وما زال المسلمون يشاركوهم في هذه الأعياد إلى يومنا هذا، وكذلك اعتاد الغرناطيون على الاحتفال بعيد النيروز الذي هو في حقيقته عيد فارسي، وهو عيد رأس السنة الفارسية، وكانوا يعملون في هذا العيد الدمى المتشبهة بالحيوانات على الرغم من تحريم الفقهاء له[7].

وفي هذه الاحتفالات يخرج الناس بكامل أناقتهم إلى الحدائق، ويطول الاحتفال إلى ساعات متأخرة من الليل حيث مظاهر الاحتفال المتعددة وتبادل رمي المياه والأزهار على بعضهم البعض وكانت هذه الأعمال في الغالب تزعج المتدينين، وكان أهل البدع والعشابين يطوفون بينهم وكان هذا مدعاة؛ فثارة الفوضى فلم تسير وفق تنسيق معد مسبقاً[8].

وحرص أولي الأمر على البقاء على عادات وتقاليد مجتمعهم التي حرص الغرناطيون على المحافظة عليها، ومن المرويات أن عبد الله بن زمرك استأذن الوزير ابن الخطيب في إلغاء بعضها فيما يصب ومصلحته، فوافقه عليها كلها ما عدا واحدة تضمنت عادة دأب الغرناطيون على فعلها حيث قال "لا والله يا رئيس أبا عبد الله، لا آذن لك في هذا لأنا ما استقمنا في هذا الدار

---

(1) الطوخي، مظاهر الحضارة، ص93 .
(2) ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص159 .
(3) ابن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، ص81 .
(4) متز، الحضارة الإسلامية، ج1، ص64 – 66 .
(5) الطوخي، مظاهر الحضارة، ص116 – 122 .
(6) السبتي: هو أحمد بن محمد بن أحمد اللخمي الفرضي السبتي (ت366ه/1236م) الفقيه المحدث، المعروف بالعزفي. للمزيد ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج46، ص141.
(7) المقري، نفح الطيب، ج1، ص167 .
(8) الطوخي، مظاهر الحضارة، ص119 .

إلاّ بحفظ العوائد"[1]، وكان أهل غرناطة في الغالب يقومون بالثورة والهياج على القاضي إن جانب العدل[2].

وكانت خطة القضاء من أعظم الخطط؛ لاتصالها بأمور الدين، وحرص المذهب المالكي على ضرورة حضور ذوي العلم والنباهة في مجلس القضاء ضماناً للعدل وعلى القاضي أن يحكم بما يضمن حقوق الرعية[3].

وفي مجال حق حرية التعبير والرأي لا يمكننا إغفال دور المرأة وحريتها في إبداء رأيها ورفض ما يقع عليها من ظلم ومطالبتها في إنصافها وفي المجالات كافة، إذ ترى المستشرقة هونكة: "أن المرأة الأندلسية عامة والغرناطية خاصة كان انطلاقها أوسع من المرأة المشرقية، إذ شاركت الرجل في كافة الجوانب من خلال التعبير عن رأيها وحريتها"[4]، ففي المجال السياسي ظهرت العديد من النساء اللائي كن وراء العديد من الأحداث السياسية بصورة مباشرة أو غير مباشرة على سبيل المثال زوج السلطان يوسف الأول بن إسماعيل (733 – 755هـ / 1333 – 1354م) المعروفة (بالسيدة مريم) وأم السلطان إسماعيل بن يوسف (760ه/ 1359م) التي كان لها دور في تنصيب وعزل ولي العهد، وكذلك نذكر دور عائشة الحرة زوج السلطان أبي الحسن بن الأحمر (868 – 887هـ / 1464 – 1482م) التي تزعمت النزاع ضد زوجها أبي الحسن وزوجه سوليس إيزابيلا المشهورة باسم ثريا، وكان هذا سبباً في إضعاف وانقسام البلاط النصري ومن ثَمّ سقوط غرناطة (897هـ / 1492م)[5].

ونتيجة لهذا العدل والحرية تحولت غرناطة في عهد بني الأحمر إلى مركز استقطاب لعناصر من أهل الذمة وغيرهم من مختلف بلدان العالم، إذ شارك هؤلاء في الوظائف العليا والمهن الصغيرة، وأعطوا حرية ممارسة المهن المختلفة كالفلاحة وامتلاك الحقول والصباغة والدباغة والخياطة ومارسوا البيع والشراء في الأسواق، وتمتعوا بكافة حقوقهم من ممارسة شعائر وامتلاك، وكان من صور العدل والحقوق التي نعمت به الطوائف في مملكة غرناطة أن اتخذوا المسلمين شهوداً لهم في بعض قضاياهم، كما مثلت قضية السلف والدين فيما بينهم صوراً من صور المساواة والتعايش السلمي[6].

وتجدر الإشارة هنا أن بعض سلاطين بني الأحمر انتهكوا بعض هذه الحقوق، وابتعدوا عن الرعية وأهملت الحقوق والخدمات وعم الظلم وخاصة في فترات الضعف، إذ انغمس بعضهم منهم بحياة الترف، وذكر ابن الخطيب[7] محمد بن إسماعيل ويصفه بأنه "رئيس السراق وعريف الخراب، وإمام الشر نذر يوماً في نفسه وقد رفعت إليه امرأة من البدو تدعي أنها سرقت دارها قال: إن كان ليلاً بعدما سد باب الحمراء عليّ وعلى ناسي، فهي والله كاذبة، إذ لم يبق سارق في

---

(1) المقري، أزهار الرياض، ج1، ص59 .
(2) المقري، نفح الطيب، ج1، ص59 .
(3) الطوخي، مظاهر الحضارة، ص164 .
(4) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص114 .
(5) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص118 – ص128 .
(6) عطا، يهود العالم، ص23 – 35 .
(7) ابن الخطيب، الإحاطة ؛ عنان، ج1، ص535 .

الدنيا أو في البلاد"، كما قال مؤلف كتاب نبذة العصر ابتعاد السلطان أبو الحسن عن الرعية وانغماسه في حياة اللهو والترف والملذات على حساب الرعية[1].

وصودرت هذه الحقوق في كثير من الأحيان في غرناطة، ودليل ذلك ما صاحب الاضطرابات السياسية من نفي وسجن وتعذيب طال العديد من الوزراء والعلماء والعامة، إذ ذهب العديد من الوزراء ضحية الدسائس والمؤامرات، أمثال أبو بكر عتيق بن محمد بن المول، إذ تغلب أهل الدولة عليه ونفي إلى المغرب [2].

[1] مؤلف مجهول، نبذة العصر في انقضاء دولة بني النصر، ص7 .

[2] من وزراء أبي الجيوش نصر بن محمد وهو من بني المول ممن عرفوا بالتدبير والدراية، وهو بيت لهً ذكر واصالة. للمزيد ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص255.

المبحث الخامس

الحقوق الأمنية

إن حاجة الأمن هي من الحاجات الأساسية للإنسان، وهي من الحقوق التي وهبها الله لنا التي لا يمكن لأي مجتمع أن يقوم بدونها لقوله تعالى: ﴿ **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ**﴾[1].

اما في غرناطة فكان الأمر مختلفاً إذ أحيطت غرناطة بالعديد من المخاطر بسبب وقوعها بين ثلاث دول نصرانية هي قشتالة وأراجون والبرتغال حيث كانوا عرضة للغزو في أي وقت[2].

وكان على سلاطين بني الأحمر توفير الأمن والأمان الداخلي والخارجي ففي مجال تأمين الحدود الخارجية عمل السلاطين على الاهتمام بتحصين الحصون والاهتمام بالجيش وكانوا يعمدون إلى إنشاء العديد من الأبراج والحصون؛ لتقوية الاستحكامات الدفاعية التي كانت ملاجئ للأهالي عند هجمات النصارى عليهم ومثالنا على ذلك ما ذُكِر عن أهالي مالقة عند هجوم القشتاليين ضدهم سنة (888ه / 1483م)، إذ توجهوا إلى هذه الأبراج حاملين أمتعتهم ومنقولاتهم إليها، وفي سبتة وجد ما يقارب أكثر من ألف برج حينما حاصرها الإسبان سنة (895ه / 1489م)[3].

ففي عهد محمد الفقيه شيد خط دفاعي مؤلف من مجموعة من القلاع والأبراج بنيت فوق صخور شاملة مشرفة على السهول والأودية مما يتيح لهم مراقبة الطرق التي يسلكها الأعداء ففي المرية انتشرت الحصون، لصد هجمات وغزوات العدو المفاجئة وحماية مداخل المملكة[4].

واهتم محمد الخامس بتحصين الحدود الشمالية فبنى سلسلة من الأبراج والقلاع والأسوار التي تشرف على وادي شنبل ومنطقة جيان الممتدة نحو مدينة رندة[5] لتصل إلى ضواحي جبل طارق، وكانت هذه الحصون مؤلفة من سورين عظيمين مع أبراج عالية عدّة بعضها قائماً حتى يومنا هذا [6].

وقام محمد الخامس بإعادة إعمار وتحصين قصبة الحمراء التي هدمت في أحداث عام (1361م-1363م)، إذ أنفق الأموال لإعادة إعمار قصبة أرجونة[7] وعمل سلاطين غرناطة على

---

[1] سورة قريش، الآية 1-4.
[2] ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص29 .
[3] الطوخي، مظاهر الحضارة، ص216 .
[4] أسني، المتاجر في بيان من تغلب على وطنه النصارى ولم يهاجر، ص110 .
[5] رنده: مدينة قديمة بالأندلس بها اثار كثيرة. للمزيد ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص269.
[6] الونشريسي، المعيار المغرب، ج12/11، ص105 .
[7] ابن الخطيب، الإحاطة، ص30 .

تأسيس الأبراج البرانية[1] التي اقتبسوها من الموحدين (541-668هـ/ 1147-1219م) وتوسعوا في إنشائها، إذ استولى القشتاليين على برج براني في أسوار انتقيرة[2] (813ه/1410م).

وكان سلاطين بني الأحمر يكتبون إلى عمالهم بالحصن الجهاد، ووضعت الكتب والمصنفات لذلك، منها كتاب ابن سعيد المغربي ت685ه، ورايات المبرزين وغايات المميزين[3].

ولحفظ الأمن ولحماية البلاد من أي هجوم نصراني عمل الغرناطيون في إنشاء التحصينات على سواحلهم وخاصة أبراج الطليعة ووضعوا ناظوراً على قمتها؛ لتنبيه الحامية الساحلية في حالة التعرض لأي غارة يقوم بها الأعداء، وكانت الإشارة إشارة الدخان في النهار وإشعال النار في الليل[4] وكانوا غالباً ما يستخدمون الطبل والنفير للإبلاغ عن غارات العدو[5] وفي المناطق الأكثر عرضة لهجوم الأعداء عمل الغرناطيون على تحصينها بالأسوار والأربطة[6].

ولإقرار الأمن الداخلي اهتم سلاطين بني الأحمر بالشرطة، إذ تمثل عملها بحفظ الأمن والنظام ومطاردة أهل الفساد والمجرمين، ويُعدّ منصب صاحب الشرطة هاماً بعدّه مسؤول عن حفظ النظام وينتخب من كبار القادة والأعيان بعد إخضاعه لعملية اختبار في أمانته ووفائه وجرأته وتعقله[7].

وكان للشرطة زي خاص[8] بهم يرافق الشرطي كاتب عارف بالحدود والقصاص والجراحات ومواقع العفو في الجنايات[9].

والعقوبات التي توقع على الجناة تختلف باختلاف ما ارتكبوه من جرم، فكانت العقوبة تتمثل بالتوبيخ والمنادى عليه بذنبه الذي ارتكبه والحبس والنفي من البلاد لمن يكون جرمه كبير[10].

وأطلق على من يقوم بهذه المهمة في غرناطة اسم صاحب الشرطة أو صاحب الليل[11]، وكان ذو مهام حساسة، إذ يقوم بملاحقة العصابات والخارجين عن القانون، والسهر على راحة الناس ليلاً وحراسة المدن ليلاً، وإقفال مداخل بعض الأسواق، فكان لكل مدينة أسواق ودروب خاصة بها، ويساعد صاحب الليل حراس يتجولون في الشوارع والطرق يحملون السلاح،

---

(1) الأبراج البرانية: ابتكار موحدي القصد منه تدعيم السور الأمامي أمام الأعداء. للمزيد ينظر: السالم، العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها، ص129 .

(2) انتقيرة: مدينة بين مالقة وغرناطة تقع في الجزء الشمالي الغربي منها. للمزيد ينظر:ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص59 .

(3) الطوخي، مظاهر الحضارة، ص216 .

(4) العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص30 .

(5) الطوخي، مظاهر الحضارة، ص255 .

(6) الأربطة: من مظاهر الحضارة الأندلسية وجدت لمواجهة المتربصين من الأعداء، ومن أشهر الأربطة في الأندلس العقاب، ورباط المحروق، ورباط الميرية؛ للمزيد ينظر: الطوخي، مظاهر الحضارة، ص255.

(7) عنان، دولة الإسلام، ج1، ص17

(8) القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص143 .

(9) الطوخي، مظاهر الحضارة، ص208 .

(10) المقري، نفح الطيب، ج1، ص204 .

(11) ابن خلدون، المقدمة، ص215 ؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص203 .

ويصطحبون معهم الكلاب ويحملون المصابيح التي تضيء عتمة الليل، فكانوا يحتاجون لشطارة عامتها وكثرة شرورهم[1].

ولحفظ الأمن؛ عمل سلاطين بني الأحمر على إتباع نظام التجسس بين الناس يراقب كل واحد منهم الآخر، إذ عمد السلاطين وقادة الجيوش على بث العيون داخل البلاد النصرية، وكان أغالبهم من التجار اليهود والنصارى، وكانوا يمنحون المكافأة على ما ينقلوه من أخبار ويجتبون من الضرائب[2].

وكان هناك نوعين من الشرطة، شرطة عليا عملهم اختصاص النظر في جرائم وقضايا الطبقات العليا، أما الشرطة السفلى فتختص في جرائم وقضايا العامة، ومنهم من عد التسمية إلى أسباب إقليمية تتعلق بالمنطقة التي تتواجد فيها الشرطة[3].

يظهر مما تقدم أنه يمكن القول: إن سلاطين بني الأحمر كانوا حريصين على إشاعة الأمن والنظام في المملكة، إذ عملوا على إنشاء العديد من التحصينات والمؤسسات التي من شأنها حفظ الأمن وإشاعة الأمان في المملكة عرفاناً منهم بحق الإنسان في العيش بأمان وسلام في دينه وأهله وعرضه وماله[4].

---

(1) المقري، نفح الطيب، ج1، ص204 .
(2) الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص523 .
(3) الطوخي، مظاهر الحضارة، ص208 .
(4) محمد، الحقوق والواجبات، ص115 .

الفصل الثاني

الحقوق الاجتماعية والثقافية

المبحث الأول: **حق المرأة الغرناطية**

المبحث الثاني: **حق التكافل والرعاية الاجتماعية والصحية**

المبحث الثالث: **حقوق الأسرة والطفل في غرناطة**

المبحث الرابع: **حقوق الأسرى في عهد بني النصر**

المبحث الخامس: **الحقوق العلمية والفكرية في مملكة غرناطة**

المبحث السادس: **حق التسلية والترفيه في مملكة غرناطة**

المبحث الأول

حق المرأة الغرناطية

كان وما زال الإسلام ديناً للعدالة والمساواة، وهو دين الفضيلة والعمل الصالح اعطى الحقوق والواجبات للناس كافة صغيرهم وكبيرهم نسائهم ورجالهم، وأوجب لهم حقوقاً وبكل صراحة وأوضح ما للمرأة من حقوق وأن عدم التمتع يعد من الظلم والإجحاف، فأعطى لها حقها في حرية اختيار الزوج والامتلاك والحرية في العلم والعمل، وقد أثبتت المرأة دورها وفي الأصعدة والميادين كافة ، إذ قال تعالى: **﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾**[1]، وقال تعالى: **﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾**[2].

فأخذ الإسلام بيدها وأعطاها حقوقاً بوصفها إنساناً وكرمها؛ لكونها أما وبنتاً وزوجاً وهذا يدل على عدالة الإسلام حول طبيعة المرأة وقدراتها المتنوعة في خوض جوانب الحياة، ولم يفرق الإسلام بينها وبين الرجل في التكليف والمسؤولية، قال الرسول (ﷺ) "إنما النساء شقائق الرجال"[3].

حقوق المرأة الغرناطية

من أولى الحقوق التي حازت عليها المرأة الغرناطية هو حق اختيار الزوج، ووضعت شروطاً على الزوج، إذ من حقها أن يتقي الله فيها وأن يعاشرها بالمعروف، وأن لا يتزوج عليها ولا يغيب عنها، ولها الحق أيضاً في زيارة أهلها وأقاربها وأن لا يأخذ منها شيء إلاّ برضاها، وللمرأة الغرناطية الحق في التزيين، إذ كن مولعات بأدوات الزينة ولهن باع في الجمال، إذ كان لها الحق في شراء وحيازة العطور والحلي والمجوهرات الذهبية، وخاصة نساء الطبقة الارستقراطية، أما نساء الطبقة العامة فكان لها الحق في حيازة الحلي والمجوهرات الفضية، وكن يلبسن الحرير الموشى بالذهب، وكان لها الحق في الخروج إلى الحمامات العامة[4]، ولم يكن خروجهن للنظافة والاستحمام فحسب بل كن يخرجن للتسامر وتبادل الأحاديث[5].

لها الحق في أن يكون لها منزل، فكان امتلاكه من مظاهر الإكرام لها والاهتمام والسهر على راحتها، إذ اهتم الغرناطيون ببناء المنازل وهي على نوعين منازل للخاصة وأخرى للعامة وتزيينها ورقيها كلاً حسب مكانته المادية والاجتماعية، فمنازل الخاصة كانت تزينها الزخارف والنافورات وشراحيب ومظلات بارزة تسمح للمرأة مشاهدة المارة دون أن يراها أحد، أما منازل

---

(1) سورة النساء، الآية: 32.
(2) سورة البقرة، الآية: 228.
(3) أحمد بن حنبل، الجامع لعلوم الإمام احمد، ج14، ص106.
(4) الحمامات العامة: قيل أن عددها (3711) في نهاية القرن الرابع الهجري وظيفتها الأساس النظافة والطهارة تقام قرب الفنادق، وتتكون من مرحاض وأربع حجرات تغطيها أقبية تدخل منها الشمس فتوفر الضوء نهاراً وتضاء بالشموع والقناديل ليلاً، وكان في الخارج رجل مسؤول عن حفظ ملابس ومتعلقات الأشخاص الذين يردونها وكانت تخضع لرقابة المحتسب للحفاظ على النظافة العامة ومنع انتشار الأمراض، للمزيد ينظر: د. سامعي، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للأندلس، ص95-97.
(5) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص41؛ فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ط1، ص103.

العامة فغالباً ما كانت صغيرة خالية من النوافذ أو نوافذ صغيرة يتخللها حصيرة خشبية تسمح للمرأة بالنظر إلى الخارج[1]، وهنالك بيوت مشتركة للسكن غالباً ما يستأجرها أهل الذمة من النصارى[2].

أما تربية الأولاد فلم تك هي المسؤولة حيث يقع على عاتق الرجل التوجيه الأخلاقي، أما المرأة فمسؤوليتها لا تتعدى على توفير الغذاء والراحة الجسدية من استحمام ونوم وما إلى ذلك[3].

ومن حق المرأة مزاولة العمل إلى جانب الرجل، إذ برزت الورش المنزلية ولها دور بارز وخاصة في المرية، حيث قال فيها الزهري: "أهلها كلهم رجالاً ونساء صناع بأيديهم وأكثر صناعة نسائهم الغزل الذي يقارب الحرير في سوقه والحياكة أكثر صناعة رجالهم"[4]، وسُمِح لها بالاختلاط مع الرجال في أيام الأعياد والمناسبات العامة[5] للمسلمين والنصارى، وكذلك الخروج للنزهة وزيارة الأقارب دون أن يصحبها أحد لتبادل التهاني والتحايا، وكن يخرجن مع العائلة إلى المروج الخضراء لقضاء أيام العيد، وهي كثيرة البذخ لإحياء هذه المناسبات والأعياد تقوم بوضع الزينة على البيوت مع تجهيز أشهى وألذ المأكولات والأطباق من حلوى وسمك مملح وتقديم أفضل الفواكه، وللمسلمين الغرناطيين عادة ذبح الأضاحي في الأعياد وعلى رب الأسرة أن يشتري لزوجته وأولاده ملابساً جديدة، وأن يزيد من كمية الطعام والشراب[6].

أما مسألة الحجاب فلم تجبر المرأة الغرناطية على ارتدائه، إذ كان النسوة يقفن على أبواب المنازل سافرات الوجه، وللمرأة حرية الاختيار في ارتدائه أو عدمه، إذ قال فيهن ابن الخطيب: "وفي رندة كان النسوة يسفرن عن الخد المعشوق"[7].

ويبدو أن وجود نساء من أصل عربي قد حافظن على التقاليد الإسلامية، وكن بعيدات عن الحياة العامة وأطلق عليهن بالعربيات واطلق الشاعر الغرناطي أبو البركات بن الحاج البلفيقي (ت773ه/1371م) على زوجته بالعربية الحرة، وغيرهن من النساء الحظيات في مجتمع بني الأحمر، وتبين خلال ما تقدم أنهن قمْن دور بارزٍ في الحياة السياسية، ولها باع في تنصيب وعزل السلاطين، ومثال ذلك زوج السلطان يوسف الأول[8] (733-755هـ /1333-1354م) التي حاولت أن تعهد بولاية العهد إلى ابنها إسماعيل بدلاً من محمد الخامس مستغلة حبه لها[9]، مخترقة كل أصول وقواعد البيت النصري في ولاية العهد، وتسببت بالثورة ضد محمد بن يوسف

---

(1) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص102-105.
(2) الطوخي، مظاهر الحضارة، ص108.
(3) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص102-105.
(4) الزهري، الجغرافيا، ص102.
(5) عيد الفطر، عيد الأضحى، عيد المولد النبوي، أعياد نوروز والفصح، عيد القطاف، عيد العنصرة، ميلاد النصارى، ميلاد النبي يحيى (عليه السلام). ينظر : المعموري، المستعربون، ص42.
(6) ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص230 ؛ الطوخي، مظاهر الحضارة، ص116.
(7) معيار الاختيار في مشاهدات ابن الخطيب، ص96.
(8) كان يوسف قد تزوج اثنين من جواريه هما بثينة ومريم أنجب من بثينة وعيشة وأنجب من مريم إسماعيل وعدداً من البنات. للمزيد ينظر: العبادي، مقال فترة مضطربة في تاريخ غرناطة، ص44.
(9) ابن خلدون، العبر، ج7، ص306.

وانصب دورها على تمويل الثورة، إذ استولت على مالٍ كثير بعد اغتيال زوجها يوسف الأول وكانت خزينتهً بيدها[1].

وفي تطوير الصلات الخارجية برزت المرأة الغرناطية، إذ يروي لنا الرحالة الطنجي ابن بطوطة[2] حينما قدم إلى غرناطة أنه تلقى من والده السلطان أبي الحجاج يوسف (733-755هـ /1333-1354م) هدية رمزية، عندما زاره وكان سبب الزيارة لمرض فيه[3]، وكان للمرأة الحق في التملك والامتلاك، إذ ملكن أملاكاً خاصة، ويبدو أن لها حرية اقتصادية واستقلالية مالية ولها تجارتها الخاصة بها التي تدار من قبلها، وأبرز مثال الأديبة الشلبية التي عينت وكلاء على ممتلكاتها. [4]

ومن حقوق المرأة الغرناطية في الجانب الاقتصادي أنها تعقد شراكة مع زوجها في جميع أموالها، حيث اتضح ذلك خلال نوازل الوقف المتضمنة حبس خمس حوانيت بحاضرة غرناطة على ابنه وعلى عقبه الذكور والإناث، كما أثبتت العقود ملكية امرأة لفندق، أما الميسورات فكن يقرضن أزواجهن، ويسجل القرض في عقد يضمن لها أموالها، ومثال ذلك فاطمة بنت محمد[5] التي أقرضت زوجها مواداً وأموالاً، وأشهدت على ذلك بمحضر في14 ربيع الأول (859ه/1455م)[6]، واشتركت مع القوم في البيع والشراء والاستثمار وكراء العقارات[7].

وفي مجال القضاء برزت المرأة الغرناطية، وكان لها دورٌ فاعلٌ فيه، وفي ذلك أشار ابن الخطيب[8] أن أحد القضاة في لوشه[9] كانت له زوج فاقت العلماء في معرفة الأحكام والنوازل، ويذكر أنها كانت مستشارة زوجها في مجلس قضائه وكان يأخذ بأحكامها[10]، وقد كتب إليه أحد أصحابه مداعباً بقوله:

بلوشـــة قـــاضٍ لـــه زوجـــة
وأحكامهـــا فـــي الـــورى ماضـــية
فيـــا ليتـــه لـــم يكـــن قاضـــياً
ويـــا ليتهـــا كانـــت القاضـــية[11]

وقد نسبت إلى بلادها وسميت بالفقيهة اللوشية، وكذلك اشتهرت إحدى الجواري بمعرفتها للعلوم الطبية وبتشريح الأعضاء الباطنية[12]، وهي جارية الأمير هذيل، وقد برز دور النساء

---

(1) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص398-399 ؛ اللمحة، البدرية، ص120 ؛ الطوخي، مظاهر الحضارة، ص155-156.
(2) رحلة ابن بطوطة إلى الأندلس يقول فيها وبعثت إلى والدته الحرة الصالحة الفاضلة بدنانير ذهب ارتفعت بها. للمزيد ينظر: ابن بطوطه، تحفة النظار في غرائب وعجائب الأسفار، ج4، ص370.
(3) ابن الخطيب، الإحاطة، (عنان)، ج1، ص406؛ الطوخي، مظاهر الحضارة، ص172.
(4) المقري: نفح الطيب، ج4، ص169؛ التازي، المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي، ص130 .
(5) هي فاطمة بنت محمد بن أحمد السمرقندية الحنفية، صاحب التحفة وزوج أبي بكر بن مسعود صاحب البدائع. للمزيد ينظر: الكملائي، البدور المضيئة في تراجم الحنفية، ج21، ص86.
(6) دي: لوثينا، وثائق عربية غرناطية، رقم 9، ص22.
(7) الجزيري، المقصد المحمود، مج1، ص169.
(8) الإحاطة (عنان)، ج1، ص438-439 ؛ ابن حجر، الدرر، السفر الأول، ص183-184، ترجمة 473.
(9) لوشه: تقع في جنوب أسبانيا على الحدود الغربية لمقاطعة غرناطة حالياً. غربي البيرة تقع على نهر شنيل بينها وبين قرطبة عشرون فرسخاً وبين غرناطة عشرة فراسخ. للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص26.
(10) المقري، نفح الطيب، ج6، ص30 ؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، السفر 8، ف2، ص477.
(11) المقري، نفح الطيب، ج4، ص294.
(12) ابن بسام، الذخيرة، ج3، ص70.

الطبيبات والقابلات في الأسواق وذلك بمراقبة الإناث من الرقيق وخاصة في مسألة الاستبراء[1]، وفي مسألة الحجامة[2]، ولها دورٌ في مسألة الحجامة أيضاً، إذ مارسها الرجال والنساء، وهي من الطب النبوي وعلاج ناجح للكثير من الأمراض، وبرزت أيضاً في مجال التعليم، فكانت أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي[3] (ت750ه/1349م) خير مثال على ذلك، حيث أجادت قراءة القرآن وكانت شاعرة وطبيبة تعمل في مجال التمريض والطبابة، ولها خبرة في مداواة النساء، إذ عملت في صناعة التوليد[4]، لبراعتها في الشعر، ذكرها ابن الخطيب[5] قائلاً (ثالثة حمدة[6] وولادة[7])، ومن نظمها:

الخط ليس في العلم فائدة وإنما
هـــــو تـــــزيين بقرطـــــاس
والدرس سؤلي لا أبغي به بدلاً
بقدر علم الفتى يسمو على الناس[8]

ويبدو أن الخط في عهد بني النصر أصبح أقل رواجاً والدليل ما قالته أم الحسن في تفضيلها التعليم على الخط، كما يذكر الونشريسي أن العجائز (كبار السن) من النساء تحكمن في الطب التقليدي بوساطة وسائل خاصة في تحديد النسل وتكاثره، وكن يداوينّ العاقرات فينجبن ويلدن بفضل الله[9].

وبرزت المرأة الغرناطية في مجال الأدب والشعر، مثال أم السعد[10] الحميرية القرطبية كانت أديبة وشاعرة وزينب بنت مكي[11] التي سمع الكثير من علمها[12]، وصفيه العزفية [13].

---

(1) الاستبراء: في الاصطلاح تربص محدد شرعاً بقصد منه العلم ببراءة الرحم من الحمل. للمزيد ينظر: اللاحم، المطلع على دقائق زاد المستنقع، ج5، ص185.

(2) الحجامة: هي استخراج الدم من الجسم بواسطة شرطة موس وشفط الدم بالقرن أو ما يماثلهُ عن طريق الجلد. للمزيد ينظر: عطيه، شرح بلوغ المرام، ج148، ص3.

(3) هي أم الحسن بنت أحمد الطنجالي نزيلة لوشة فاضلة تقلدت المحاسن قبل القلادة نشأت في أبيها درست الطب ففهمت أغراضه وأعراضهُ. للمزيد ينظر: كنون، النبوغ المغربي، ج1، ص202.

(4) صناعة التوليد: استخراج المولود الآدمي من بطن الأم وقد عرفت من تقوم بها باسم القابلة أو القابلات. للمزيد ينظر: مقدمة ابن خلدون، ص412؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص430.

(5) الطوخي، مظاهر الحضارة، ص96.

(6) حمدة: بنت زياد بن تقي ويقال حمدة بنت المؤدب من شاعرات غرناطة في عصر ملوك الطوائف لقبت (بخنساء المغرب) لأنها قالت شعراً في الرثاء (ت600ه -1204م)، ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص237 ؛ ابن الآبار، المقتضى من كتابه تحفة القادم، ص214.

(7) ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الناصر بن عبد الرحمن بن حمد المرواني حسنة المحاضرة مشكورة المذاكرة. للمزيد ينظر: السيوطي، نزهة الجلساء في اشهار النساء، ص87.

(8) الإحاطة، ج1، ص237.

(9) أبو العباس، المعيار ؛ عبد الشكور، شهيدات الأندلس، ص22.

(10) أم السعد: تسمى أيضاً بسعدونة أم السعد بنت عصام بن أحمد بن محمد بن إبراهيم شاعرة مسلمة من مدينة قرطبة توفيت بمالقة 1243م لها أخت اسمها مهجة. للمزيد ينظر: معجم شعراء العرب.

(11) زينب بنت مكي: هي زينب بنت مكي بن علي بن كامل الحراني أم أحمد فقيهة سمعت من حنبل وابن طبرزد وأبي المجد الكرابيس وروت الكثير وطال عمرها كانت أسند من باقي النساء في الدنيا، وكانت فقيرة وعابدة صالحة صاحبة أوراد ونوافل توفيت بدمشق 688ه. للمزيد ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج15، ص67-68.

(12) ابن حجي، الدرر السنية، السفر الأول، ص66، ترجمة 175 ؛ الطوخي، مظاهر الحضارة ، ص96.

(13) السيدة صفية العزفية من بيت العزوفين ولاة سبته في الادب. للمزيد ينظر: كنون، النبوغ المغربي، ج1، ص203.

وبرزت أم العلاء سيدة بنت عبد الغني العبدرية[1] (647هـ/1249م) في تدريس النساء وكانت حافظة للقرآن كتبت بخط يدها (أحياء علوم الدين للغزال) وقد خصصت كل ما تجنيه في فكاك أسرى المسلمين من أيدي النصارى[2]، وسُمِح لهن بمنح إجازات لمن يتتلمذ على أيديهن[3].

وممن نبغن وذاع صيتهُنَّ في الشعر والأدب نذكر ولادة بنت المستكفي (366ه-416ه) حيث كانت تناضر الشعراء وتجادل الأدباء، حسنة المحاورة اشتهرت بقصيدة عرفت بالقصيدة النونية حب أندلسية مع الشاعر الأندلسي أبو الوليد ابن زيدون[4]، إلاّ أن الغرام لم يدوم طويلاً لأسباب، ولها أبيات شعر اشتهرت بها وكانت تكتبها على جهات ثوبها[5]:

أنـــا والله أصـــلح للمعـــالي
وأمشـــي مشـــيتي وأتيـــهُ تيهـــا
أمكـن عاشـقي مـن صـحن خـدي
وأعطـــي قبلتـــي مـــن يشـــتهيها[6]

وسبب نفورها من ابن زيدون؛ غيرتها الشديدة من جاريتها عتبة وكانت سوداء بديعة الغناء، وفي إحدى مجالس الطرب والغناء طلب منها ابن زيدون الإعادة وعندما سمعت ولادة الخبر نفرت منه[7]، ولها الحق في حضور التمرينات والألعاب العسكرية حيث تذهب لرفع روحهم المعنوية وكان القادة ينقشون أسماء معشوقاتهم على عمائمهم؛ لأنهن غالباً ما يدفعهم للاستبسال في المعارك ففي (عام 748ه/1348م)، صحب لسان الدين بن الخطيب السلطان أبا الحجاج يوسف في رحلة تفتيشية إلى وادي آش حيث شوهدت النساء تتزاحم لمشاهدة الركب السلطاني[8].

---

(1) أم العلاء سيدة بنت عبد الغني العبدري (ت 641ه): كانت عالمة حافظة للقرآن، كتبت بخط يدها كتاب إحياء علوم الدين للغزالي. للمزيد ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج47، ص361.

(2) ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص748 ؛ الطوخي، مظاهر الحضارة، ص96 ؛ المراكشي، المعجب، ص299 ؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، 8 ق2، رقم 269، ص490.

(3) الاجازة: هي شهادة يمنحها شيخ لتلميذه وتكون عادة بطلب منه وتسمى في المصطلح استدعاء وقد تكون الاستدعاء شعراً أو نثراً أو هما معاً والشيخ قد يكون عالماً وقد يكون مرابطاً. للمزيد ينظر: أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص54.

(4) ابن زيدون: هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي الأندلسي من أبرز شعراء الأندلس كتب في الغزل العفيف وفي الرثاء والفخر ووصف الطبيعة وكان من أبرز شعراء عصره.

(5) المقري، نفح الطيب، ج4، ص208 ؛ ابن بسام، الذخيرة، مج1، ص268-270.

(6) ابن بسام، الذخيرة، ص27.

(7) المصدر نفسه، ص27.

(8) ابن الخطيب، معيار الاختبار، مشاهدات لسان الدين، ص96.

ولهن باع في الغناء والموسيقى، إذ شاركن في الاحتفالات، وقد ظهر في الأندلس ما نسميه الأغاني الشعبية، وفي رسوم البرطل بالحمراء نجد رجالاً، يحمل أحدهم عوداً ومع الآخر طبلة وسيدات معهن آلات موسيقية، مثل القيثارة والدف والطبلة والمزمار[1].

وسُمِح لها ممارسة حقها في التسلية واللهو، والدليل على ذلك ارتحال فرقة من المشرق مؤلفة من الجواري المشرقيات اللائي أخذن من إبراهيم الموصلي[2] وزرياب[3] إماماً لهن فكان هؤلاء نواتاً للغناء والتسلية في الأندلس والغناء والرقص تقليداً للعائلات الارستقراطية في الأندلس.

ومن الآثار الباقية بهذا الشأن مظاهر من الرقص واللهو واللعب بالسيف محفوظة في متحف المترو بوليستان بنيويورك، ويوجد أيضاً راقصاً وراقصة يلعبان بالسيف لعبة الديك، وتغطي اللاعبة رأسها بخمار وترقص على نحو الدبكة اللبنانية[4].

ومن مظاهر استقلالية المرأة وحصولها على حقوقها، هو تمتعها بحرية السفر حتى في الظروف السياسية القاسية، فعندما حدثت فتنة ابن حفصون[5] لم تمتنع النساء، كان النساء يأتيّن بالأموال والمتاع من بلدان أخرى ولا يتعرض لهن أحد ومن يتعرض لهن يُعاقب بالسيف ولا حاجة للشهود في شكواها[6].

وكان الفقهاء يشيدون على أزواجهم بعدم السماح لهن في ممارسة التجارة إلاّ أن ذلك لم يمنع من أن تمارس المرأة الأنشطة المتعددة وفي القطاعات كافة، إذ حظيت بمكانة وجاه[7].

أما بالنسبة لحقوق الذميات في مملكة بني النصر في غرناطة فقد شاع الزواج منهن، إذ تزوج الأمير أبو عبد الله بن محمد بن إسماعيل من امرأة نصرانية، تدعى علوة، وكذلك تزوج أبو الحسن بن نصر من إيزابيلا وحذا حذوهم أغلب رجال الدولة من الطبقات العليا من وزراء

---

(1) المقري، أزهار الرياض، ج1، ص190.

(2) إبراهيم الموصلي: هو إبراهيم بن ميسون أمه من بنات الدهاقين وهو من أشهر المغنين في الأندلس فارسي الأصل ولد (125ه/742م) وتوفى سنة 742م-806م لم يتعلم شيئاً بسبب ولعه بالغناء وتوفى سنة 804م، للمزيد ينظر: الأصفهاني ، الأغاني، ج5، ص229.

(3) زرياب: أبو الحسن علي بن نافع الموصلي 789م- 857ه مولى المهدي العباسي ومعنى الاسم الطائر الأسود عذب الصوت ابتكر الموشح وزاد في أوتار العود إلى الخمسة وادخل مقامات لم تكن معروفة وهو من عائلة كردية توفى في قرطبة. للمزيد ينظر: المقري، نفح الطيب، ج3، ص133 ؛ ذنون ، دراسات أندلسية ج1، ص43 ؛ الزركلي: الأعلام، ج5، ص28.

(4) السالم، بحوث، ص73، وهناك أنواع أخرى من الرقص، وقد ذكر أن إسبانيا هي الأم الحقيقية للرقص، حفيظ، ص390-396.

(5) فتنة ابن حفصون: كان السبب في تحريكها يرجع إلى عنف يحيى بن عبد الله ابن يحيى عامل كورة ريه في مطالبتهُ عشور تأخرت عليه فامتنعوا عليه واعتصموا بجبالهم فحدثت معارك عنيفة قتل فيها كثير من الفريقين سنة 265ه، وابن حفصون يرجع إلى أصل نصراني قوطي من المولدون. للمزيد ينظر: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج1، ص308.

(6) ابن عذاري، البيان، ج2، ص114.

(7) الحسيني، الأندلس الإنسان والمكان، مطبعة بني ازناس، الرباط، ط1، 2007، ص98.

وكتاب ومؤرخين، مثال ذلك ابن خلدون الذي تزوج جارية رومية تدعى هند[1] وغالباً ما كانت هذه الزيجات جبهات عدائية تنخر من همم الرجال.[2].

وكان لليهودية الحق في الزواج من المسلم، إذ ان المذهب المالكي يجيز للرجل المسلم أن يتزوج من الحرة النصرانية واليهودية، إلاّ أن القليل من المسلمين تزوجوا من اليهوديات بينما كثر زواجهم من النصرانيات، وقد يعود السبب في ذلك إلى طبيعة اليهود العنصرية التي تجعلهم أكثر ميلاً للحفاظ على الجنس اليهودي، ولاختلاط اليهود بالمسلمين الأثر في تغيير بعض المفاهيم بالنسبة لليهود، حيث دفعتهم لتغيير بعض مفاهيمهم بالنسبة للمرأة التي كانت محرومة من التعليم في المدارس، كما سئل ابن ذرب عن حضانة امرأة يهودية لابن لها وهو ابن ثمانية، قال: يحال بينها وبينه أو بين أبيه وبين الابن، فأجاب: أن لا يحال بين الأم وابنها ويظهر لنا هنا الرحمة والتسامح في الدين الإسلامي، أما من حيث الإرث فكانت لا ترث البنات في القانون اليهودي عندما لا يكون لها أولاد، أما مهرها فيكون للأب[3].

كان لابن رشد موقفاً لقضايا النساء في الأندلس حيث يقول: "إننا نرى نساء يشاركن الرجال في الصنائع إلاّ أنهن في هذا أقل منهم قوة"، وإن كان معظم النساء أشد حذقاً من الرجال في بعض الصنائع، كما في صناعة النسيج والخياطة وغيرها، وأما اشتراكهن في صناعة الحرب التي لا شك في أنها تتطلب القوة البدنية والمهارة الذهنية يؤكد أن النساء يشاركن فيها كما الرجال والشاهد عنده (حال ساكني البراري وأهل الثغور)، كما يقول: فالمثل هنا بليغ الدلالة في المستويين النظري والواقعي، لأن سكان هذه المناطق عادة يكونون في علاقات توتر وصراع مع غيرهم، أما بسبب حكم نمط العيش القاسي في البيئات الصحراوية أو بسبب حكم مجاورة الخصوم والأعداء على الحدود، ومن ثم فإن مشاركة المرأة في العمل الحربي أمر واقع وضروري في الوقت نفسه ومثل هذا ما جبلت عليه بعض النساء من الذكاء وحسن الاستعداد، فلا يمتنع أن يكون بينهن حكيمات أو صاحبات رئاسة[4].

إن مكانة المرأة في غرناطة تمثلت في التماثيل والأبنية الكثيرة التي كانت موضع تخليد واحترام، إذ تشير الروايات إلى أن مدينة الزهراء التي بناها الخليفة الناصر بادرة بتكريم وتعظيم لهذا الجنس، ويبدو أن هذا الأمر أصبح عادة متبعة لدى أهل الأندلس، حيث يشاهد مثلاً التماثيل التي زينت بها بعض الأماكن من مرمر كاملة القد حسنة الجسم جميلة الوجه، وهذا التمثال يُنصَّب على أحد أبواب بجاية، وكان شبيهاً بتمثال مدينة الزهراء[5].

ومن حقوق المرأة الغرناطية النعي عند الوفاة، وهذا يشتمل على نساء الخاصة والعامة والشواهد كثيرة في هذا الجانب، حيث هلكت عجوز لبني كوثر فسارعوا إلى أخبار الناس للمشي في جنازتها، وكان الوزير ابن جوهر يمشي حافي القدمين في جنازتها ووقف على قبرها إلى أن

---

(1) ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج 2، ص266.
(2) ذنون، دراسات اندلسية، ص180.
(3) سالم، تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص6-7.
(4) شحلان، الضروري في السياسة، ص124.
(5) التجيبي، ص153 ؛ قروعي، ظواهر اجتماعية، ص378.

وريت وانفض جمعها، وبعد الدفن يتلقى أهلها التعازي، ومثال ذلك التعازي التي تلقاها ابن زيدون شاعر الأندلس عند وفاة رضيعته، وسمي هذا بأدب التعازي. [1]

ومن الجدير بالذكر أن الأندلسيين سموا بعض مقابرهم بأسماء نسائهم تخليداً لهن، ومثال ذلك مقبرة أم سلمة وهي ابنة خالة وزوج الأمير محمد الأول، وكانت واسعة وكان موقعها في الجهة المقابلة لباب اليهود في قرطبة[2]، وكذلك مقبرة متعة ومقبرة معمرة التي كانت جارية لعبد الرحمن الثاني[3].

إن حرية المرأة الغرناطية كانت بين التشريق والتغريب، فانقسم الباحثون بين مؤيد ومعارض لذلك، فالمؤيد يريد أن يضع التأثير الأسباني على حرية المرأة الغرناطية – الأسبانية المسلمة، والمعارض يشدد على ضرورة محافظة المرأة على تقاليدها وأن لم يقصد التزمت، ويرى الكاتب الفرنسي هنري بيريس أن المرأة الغرناطية لم تكن سجينة بيتها فقد نالت الحرية وأدت دورها، وقد فاقت المرأة المشرقية في ذلك ويؤيد ساتشيت البورنث بيرس، بقوله: إن حرية المرأة الغرناطية مشبعة بجذورها ويفند ادعاءَه في قدرتها على تكوين العنصر المولد المتمثل بوجود شخصيات في الأندلس تولوا تربية أسبانيات لأمهات أندلسيات، وهم ابن حزم وابن زيدون، وابن اللبانة وغيرهم كثيرون[4].

ويضيف بيير غيشار عن حرية المرأة، قائلاً: "إن التضارب الكبير بين الدراسات التي تناولت وضع المرأة الإسبانية المسلمة وأثر الغرب في وضعها وحريتها، وأنها اكتسبت قدراً أكبر من الحرية في الأندلس بالمقارنة مع بالمرأة في المشرق مستمدة ذلك من البيئة المحلية مع المحافظة على التقاليد الإسلامية، وأن المرأة الأندلسية لم تتنكر جدودها، وقد تمكنت من الإنصياع لأحكام وقوانين الإسلام دون أن تتخلى عن عادات الحرية والاستقلالية المتوارثة من البيئة المحلية الأوربية" [5].

إذ يمكن القول: ان المرأة الغرناطية أخذت حقها في ممارسة جميع الأنشطة والأعمال ولم يفَرق بينها وبين الرجل، إذ تمتعت بقدر جيد من الحرية لم تصل اليه مثيلاتها في المشرق آنذاك، إذ وفرت الطبقة الارستقراطية الغنية تربية حسنة وثقافة عالية على غرار ما حصلت عليه المرأة القرطبية أيام بني أمية والأشبيلية أيام بني عباد، بدليل ما عرفه مجتمع بني الأحمر من نساء اشتهرن في ميدان السياسة والعلم والادب وكن مصدرَ قوةٍ تارة، ومصدرُ ضعفٍ تارة أخرى ومثالنا على ذلك ما قامت به زوجات أبي الحسن علي (884-887هـ /1479-1482م) الذي كان متزوج من ابنة عمهُ السلطان محمد الايسر واسمها عائشة الحرة[6]، وانجبت لهُ ولدان، هما أبو عبد الله الصغير وأبو الحجاج يوسف ثم تزوج زوجة ثانية نصرانية، تدعى ايزابيل دي

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، ج3، ص139-140 ؛ دندش، طقوس الجنائز، ص32.
[2] ابن بسام، الذخيرة، مج1، ص369 ؛ دندش، طقوس الجنائز، ص30.
[3] دندش، طقوس الجنائز، ص23.
[4] نقلاً عن رواية عبد الحميد، المرأة في المجتمع الأندلسي، ص47.
[5] ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص140 ؛ العبادي، ألحياة الدينية والدنيوية في مملكة غرناطة الإسلامية، ص21.
[6] عائشة: هي ابنة السلطان الأيسر عبد الله بن محمد بن يوسف سميت بالحرة تميزاً لها عن ثريا (ايزابيلا). للمزيد ينظر: مجهول، نبذة العصر، ص31-49.

لويس[1] التي انجبت لهُ ثلاث أولاد، كان الولد البكر فيه اسمه سعد، والثاني نصر والثالث وافته المنية، وهو صغيرٌ اثر مرض وبائي أصابه، إذ عملت ايزابيلا (ثريا) من السيطرة على شخصية أبي الحسن، فكانت تطمح إلى ان يكون أحد ولديها ولياً للعهد دون أبناء ضرتها عائشة الحرة، فأرادت تغيير التقليد السائد بوجوب توليه الابن الأكبر الذي رغبت عائشة الحرة في أن يكون هو ولياً للعهد بعد ابيه، ونتيجة لهذا الصراع بدأت المؤامرات والمخططات، وانقسم الشارع الغرناطي بين مؤيد ومعارض، وركن أبو الحسن إلى الملذات، إذ سلم زمام السلطة إلى وزيره ابن بنيغيش[2] الذي أساء التصرف مع الرعية، وعمل ابن الحسن على اعتقال ابنة عمهُ وزوجة الأولى عائشة وولديها إلى جانبها، إذ استعانت ببني سراج الذين وقفوا إلى جانبها، وعملوا على مساعدتها لتهيئة الفرصة لهم للفرار من السجن، وتمكنوا من الفرار إلى وادي آش، حيث تجمع المعارضين للسلطة الحاكمة ومن هناك بدأ التخطيط للثورة، إذ استطاعت عائشة بمساعدة بني سراج من أخذ البيعة لعبد الله في بسطه[3]، والمرية، ثم غرناطة الناقمة على سياسة أبي الحسن فأعلن عبد الله الثورة على أبيه بتحريض من والدتهُ؛ الأمر الذي أدى إلى انقسام مملكة غرناطة، وفي الوقت نفسه كانت اسبانيا تعد العدة في توحيد الصفوف وإخراج المسلمين نهائياً من الأندلس، وهذا يدل على مدى ما تمتعت به المرأة من القوة والنفوذ الذي وظفتهُ في ان يكون سبباً من الأسباب التي أدت إلى سقوط مملكة غرناطة بيد الإسبان[4].

وتعرضت المرأة الغرناطية في أحيان كثيرة إلى الظلم، وسلبت حقوقها في اسرتها وفي مجتمعها، إذ عانت الويلات والظروف القاهرة؛ نتيجة اليتم والاسر واضطرت؛ نتيجة الحروب وفقدان زوجها أو أبيها في أن تأخذ دورين في حياتها، دور الأب ودور الأم، وقاست الامرين جراء ذلك.

تبين خلال ما ذكر بخصوص حق المرأة الغرناطية مدى إسهامها ومدى تمتعها بحقوقها المتمثلة في بروزها بالجانب السياسي والعلمي والثقافي والديني، إذ شاركت في كل مظهر من مظاهر الحياة وأدت دوراً بارزاً فيه، والذي يثير الدهشة والانتباه هو أن المرأة في المجتمع تقوم بدورها منذ المراحل الأولى في تكوين أسرتها وتكون حريصة على حقوقها وصيانة كرامتها، وذلك لتوثيق حقوقها في عقد زواجها واحتفاظها بنسخة منه واشتمل التوثيق في الأندلس على عقود الزواج والطلاق والخلع والحضانة والملكية العقارية، إضافة إلى ذلك الدور الذي أدتهُ في إسهامها بأعمال البر والخير، وتخليداً لمآثرها سميت بعض المنشآت العمرانية بأسماء نساء، مثل مسجد طروب ومسجد البهاء وغيرها، ولا يفوتنا أن نذكر أن نساء كثيرات تعرضن للسبي والإقامة الجبرية والنفي من بلادهن، أمثال عائشة الحرة التي كانت فاتحة لهجرة الكثير من الأندلسيين نحو المغرب بعد استسلام ابنها.

---

(1) ايزابيل دي لويس: هي ابنة أحد الضباط النصارى جيء بها حبيسة بعد مقتل والدها، اعتنقت الإسلام، وسماها السلطان أبو الحسن ثريا. للمزيد ينظر: حتاملة، محنة مسلمي الأندلس، ص14.

(2) ابن بنيغيش: هو أبو القاسم بن رضوان نصبهُ أبي الحسن علي وزيراً عندما دخل الإسبان الحامة، وهو سليل لأسرة نصرانية تدرجت أسرته حتى أصبحت من الأسر الغرناطية المرموقة التي قامت بدور بارز في حوادث غرناطة. للمزيد ينظر: عنان، نهاية الأندلس، ص192-195؛ الشمري، دراسات تاريخ الأندلس والمغرب، ص82-83.

(3) بسطة: من أعمال جيان كثيرة الزرع تختص بإنتاج الزعفران. للمزيد ينظر: الأشبيلي، ابن الخراط: اختصار اقتباس الانوار، ص121.

(4) الشمري، دراسات في تاريخ الأندلس، ص61-63.

المبحث الثاني

التكافل والرعاية الاجتماعية والصحية في غرناطة

قبل البدء بالحديث عن حق التكافل والرعاية الاجتماعية لابد لنا أن نستعرض أبرز الحوادث والكوارث التي حدثت في مملكة غرناطة - موضوع دراستنا - وعلى مدى قرنين ونصف من الزمان عانت مملكة غرناطة أنواع الأحداث والمشاكل الداخلية والخارجية كالثورات والاضطرابات والانقلابات والأمراض والأوبئة والقحط وغيرها من المشاكل التي أثرت بصورة واضحة على سكان المملكة وآلت إلى ما آلت عليه في سنة (631ه /1234م) وبينما كان الصراع محتدم بين ابن الأحمر وابن هود أصيبت مملكة غرناطة بالقحط وقلة الأمطار[1]، ولما ولي ابن الأحمر واجه مشكلة تمثلت بانتشار وباء شديد وغلاء في الأسعار ، في سنة (635ه/1238م)، في سنة (663ه/1265م) أصيب سكان الأندلس عامة ومالقة بشكل خاص وباء ولم تهدئ المدينة فقد أصابتها سنة (666ه/1267م) المجاعة[2].

في سنة (705ه/1306م) تعرضت مملكة غرناطة وضواحيها للغلاء نتيجة قلة الزرع وشحة المحاصيل الامر الذي تضرر العامة.[3]

في سنة (734ه/1334م) ضرب مملكة غرناطة زلزال شديد راح ضحيته أعداداً غفيرة من الناس وهدمت مباني وقد وصفه المقريزي بقوله: "كانت زلزلة عظيمة شديدة بعد صلاة الظهر بجزيرة الأندلس وبمرج غرناطة سقطت فيها أبنية" [4].

ولما حلت سنة (747ه/1347م) كانت مملكة غرناطة تعاني من الجفاف، وقد وصف ابن الخطيب حال مملكة غرناطة، بقوله "الأفق قد اغبر والأرض قد اقشعرت لانصرام حظ من أيام الشتاء الموافق لشهر ولايته لم يسمح فيه الغمام بقطرة ولا لمعت السماء بنزعة حتى أضرت الأنفس الشح، وحسر العسر عن ساقه وتوقفت البذور"، الأمر الذي أصيب فيه الناس بالجوع، إذ خلت الأسواق من الزروع والبضائع[5].

وفي سنة (748ه/1347م) أصيبت الأندلس بقحط شديد، وكان هذا بداية لحدوث الوباء سنة (750ه/1349م) وهو وباء الطاعون الذي بدء في بلاد القان[6] وراح ضحيته العديد من

---

(1) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، في من بويعوا قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، ص 73.
(2) البياض، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك الإنسان في المغرب والأندلس، ص31.
(3) المصدر نفسه، ص31.
(4) الحميري، السلوك، ج7، ص227.
(5) البياض، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك الإنسان في المغرب والأندلس، ص31.
(6) بلاد القان: حيث الإقليم الأول وبعدها من تبريز إلى أخرها ستة أشهر، وهي بلاد الخطأ أهلها يعبدون النار والشمس والقمر، إذ ماتوا وماتت خيولهم وصاروا جيفة مرمية فوق الأرض، حملت الريح متنهم فما مرت على بلد إلا وساعة شمها انسان أو حيوان مات. للمزيد ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج10، ص192-194.

الخلق، إذ ينتقل مع الريح إلى البلدان المجاورة وأول المتضررين منه هم سكان برشلونة[1] وبلنسية[2] وميورقة[3]، وفي (749ه/1349م) ضرب مدينة المرية ثم إلى مالقة[4].

وفي سنة (771ه/1370م) أصاب مملكة غرناطة جفاف شديد، ويبدو أن العلماء وجدوا هذا أن الجفاف هو سبب الوباء ومن شدة تأثير هذه الظروف على العامة في مملكة غرناطة اطلق الناس على هذا العام بعام الجوع، كما شهدت عام (799ه/1397م) مجاعة أكثر، تأثر فيها العامة[5].

وفي سنة (883ه/1479م) حص قام السلطان أبو الحسن باستعراض قواته العسكرية بعد تحقيقه الانتصارات من أجل التفاخر، واستمر هذا العرض حتى مطلع السنة التي بعدها، وفي أثناء العرض تلبدت السماء وأمطرت مطراً حتى أخذت السيول كالأنهار الجارية فاقتلع المزروعات ودمرت الأسواق والحوانيت والعديد من المباني[6]، وذهب المؤرخين إلى تقسيم أسباب هذه الكوارث، إلى أسباب دينية وأخرى طبيعية، حيث ذكر بعضهم أنها عقوبة من الله وذهب وبعضهم الآخر إلى أنها نتيجة طبيعية[7].

كان لهذه الكوارث تأثير كبير على حياة الناس ولاسيما الفقراء، فقد زاد الملاك من إيجار أملاكهم بالوقت الذي لم يستطيع الناس سد احتياجاتهم اليومية؛ فأصابت الآوبئة ولاسيما الطاعون علماء الأندلس فألفوا المؤلفات في هذا الشأن، وقد وضع الطبيبان ابن الخطيب وابن خاتمة[8] جملة من الإرشادات والنصائح الطبية، وقاموا بعد ذلك ببناء البيمارستان[9] في مملكة غرناطة في أيام محمد الخامس، وقاموا ببناء داراً للعجزة ومأوىً للعميان في عهد السلطان محمد الأول[10].

نتيجة الكوارث والأمراض قدّم السلاطين في مملكة بني الأحمر العديد من الخدمات في الرعاية والتكافل فبنى محمد الأول (635-671هـ/1238-1272م) دار للعجزة ومأوى للعميان، إذ انفق الكثير من أموالهُ في أعمال البر والخير وكثر عطاءهُ للفقراء والمحتاجين، واهتم بشؤون

---

(1) برشلونة: مدينة في الأندلس مطلة على البحر بينه وبين طركونة خمسون ميلاً. للمزيد ينظر: الحميري، الروض المعطار ، ص86.

(2) بلنسية: شرق الأندلس بينها وبين قرطبة على طريق بجاية ستة عشر يوماً وعلى الحادة ثلاث عشر يوماً، وهي سهيلة وبها أسواق وقلاع. للمزيد ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص97.

(3) ميورقة: هي جزيرة في البحر الزقاقي طولها سبعين ميلاً وعرضها من القبلة إلى الجوف خمسون ميلاً. للمزيد ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص567.

(4) فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص113.

(5) البياض، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك الإنسان في المغرب والأندلس، ص36.

(6) المقري، نفح الطيب، ج4، ص510، مجهول نبذة العصر، ص43.

(7) الحميري، الروض المعطار، ص458.

(8) ابن خاتمة: أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة أبو جعفر الأنصاري الأندلسي من مدينة المرية ومن علماء الأندلس الذين الفوا المؤلفات في الطب والتاريخ. للمزيد ينظر: الزركلي، الأعلام، ج1، ص176.

(9) البيمارستان: كلمة فارسية مركبة من كلمتين بيمار بمعنى مريض أو عليل، وستان: بمعنى دار، فالكلمة تعني دار المرضى. للمزيد ينظر: بك، تاريخ البيمارستان في الإسلام، ص3 – 4.

(10) ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص53.

الرعية[1]، وقد سار على نهجهُ السلاطين من بعدهُ، إذ انفق محمد الفقيه الأموال للفقراء والمحتاجين وتصدق عليهم سواءٍ من ماله الخاص أو من بيت المال[2]، ومثالنا على ذلك المجالس التي عقدت لمشافهة طلبة الحاجة، ومعالجة الكثير من المشاكل التي يعاني منها الشعب والقضاة برد حقوق الناس ولاسيما عامة الناس ممن لا جاه لهم، أو الرعاية التي قدمـــــــت

للرعية ولم تقتصر مجالسهم على طالبي الحاجة والفقراء والمعوزين، بل شملت الشعر للإثارة عطف وحماس وكرم السلاطين والميسورين من العامة لتقديم الرعاية والعون للمحتاجين واعطائهم حقهم[3] من جهة والكسب من شعرهم من جهة أخرى.

وعُرف محمد الفقيه بأنه كثير العطايا والتصدق على الفقراء والمحتاجين مقرباً للعلماء والشعراء والاطباء[4]، إذ عمل محمد الفقيه على تقريب الطبقة المثقفة، وعدَّهم سراة الناس، إذ لم يجعلهم في حالة عوز تلجئهم للعمل بما يبعدهم عن رسالتهم في تثقيف المجتمع وزيادة وعيه، فكان عوناً لهم في سبيل أداء رسالتهم العلمية والتثقيفية[5]، يليه أبو عبد الله ثالث سلاطين بني النصر الذي اتصفت أيامه بانها أيام سعد وهناء، بسبب زغدا العيش الذي نعم به العامة، إذ انفق الأموال واوقف الحمامات[6]، أما خرج بن إسماعيل فكان شديد الاهتمام بالرعية وتحقيق العدل بينهم قيل فيه: "فبذل العدل في رعيتهُ واقتصد في جبايتهُ واجتهد في مدافعة عدو الله وسد سلم ثغورهُ..."، ووصف بالكرم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر[7]، إذ كان يسهم في نشر روح التكافل الاجتماعي بين الدولة والناس من جهة، وبين الناس مع بعضهم من جهة أخرى، وساهم السلاطين في مملكة غرناطة في التكافل والرعاية وخير مثال أبو الحجاج يوسف الذي عمل على توزيع المساعدات والعطايا للرعية في مناسبة وبغير مناسبة[8].

ولم تمنع الحروب السلاطين من القيام بأعمال التكافل المعنوي، وذلك خلال تشجيعهم على الصبر ومقاومة العدو، أما محمد الخامس (الغني بالله) فكان كثير التصدق على الفقراء والمساكين يهتم بالأرامل والايتام[9]، وللحاجب أبي النعيم رضوان لهً دور في أعمال الرعاية والتكافل الاجتماعي والحي، إذ بنى مدرسة وجعل لها أوقافاً، وعمل على إيصال المياه إليها[10].

عن عمر (ﷺ) عن النبي (ﷺ)، قال: "كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته فالأمير راعٍ، والرجل راعٍ عن أهل بيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وولده، فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته"[11].

---

(1) السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص359.
(2) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص326.
(3) ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص52.
(4) المصدر نفسه، ج1، ص326.
(5) المصدر نفسه، ج2، ص52.
(6) المصدر نفسه، ج1، ص316.
(7) ابن الأحمر، اعلام المغرب والأندلس، ص79.
(8) الساعدي، الهبات والهدايا، ص123.
(9) ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص16.
(10) المصدر نفسه، ج2،ص290.
(11) العسقلاني،)، أطراف المسند المعتلي، ج3، ص550.

والخطاب هنا موجه للأمة جمعاء، فالأمير راع وهو مسؤول عن رعاية وكفالة دولته ومملكته سواء أكانت كبيرة أم قرية صغيرة، والأب راع والأم راعية، وهو حث على المساعدة وإعانة الآخرين، قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ مِن أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وما كُنْتَ لَدَيْهِمْ، إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهم أَيُّهم يَكْفُلُ مَرْيَمَ وما كُنْتَ لَدَيْهِمْ، إِذْ يَخْتَصِمُونَ**﴾[1].

وقد شاع الإسلام حق التكامل والرعاية لزيادة الروابط بين أفراد المجتمع الواحد، ومن الجدير بالذكر أن مملكة غرناطة عند تأسيسها كانت تولي هذه الطبقة الرعاية والاهتمام، إذ أنها أسهمت في تحسين المستوى الاقتصادي لهذه الشرائح، ومدت يدّ العون لهم في كثير من الأحيان، إن هذه الرعاية تجعل الناس يحصلون على حقوقهم التي وهبها الله لهم.

﴿**مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [2].

إذن القيم الإسلامية الأخلاقية هي الدافع وراء ضمان هذا الحق من الرعاية والتكافل، حيث كانت قائمة على مبدأ الأمر بالمعروف قال تعالى: ﴿ **وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [3].

ومن صور التكافل والرعاية أن بعض أطباء السلاطين كان لهم دور في متابعة الفقراء والمساكين لمداواتهم وعلاجهم من الأمراض التي يصابون بها مثال ذلك نذكر عبد الله بن السراج[4] الذي كان يزور الفقراء في بيوتهم لعلاجهم[5].

كما اهتموا بالقاصرين والعاجزين ممن ليس له معيل يعيله أو يتكفله، وقد شمل هذا المسلمين وأهل ذمة[6] تيمناً بقول الرسول (ﷺ) : "أيما أهل عرصه أصبح فيهم أمرؤ جائع فقد برئت منه ذمة الله (ﷻ)"[7]، وكان القاضي محمد بن عبد الله بن منظور القيسي[8] كثير العطاء للفقراء والمحتاجين، وممن اشتهر بالعطاء والإعانة للفقراء والمحتاجين، نذكر سهل بن محمد بن سهل بن مالك بن أحمد بن إبراهيم بن مالك الأزدي[9]، إذ ذكره ابن الخطيب قائلاً: "كميم الإحسان تصدق عند القرب من وفاته بجملة كبيرة من ماله ورباعه[10][11].

---

(1) سورة ال عمران، الآية: 44.
(2) سورة الحشر، الآية: 7.
(3) سورة آل عمران، الآية: 104.
(4) أبو السراج، هو محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن الله بن أحمد بن محمد بن يوسف بن روبيل الأنصاري (ت730ه/1329م)، طبيب اندلسي لهُ ثلاث مؤلفات في النبات والرؤيا، وفضل غرناطة. للمزيد ينظر: العسقلاني، الدرر الكامنة، ج5، ص11.
(5) بلهواري، أطباء الدار السلطانية في عهد بني الأحمر، ص11.
(6) الزجيلي، الفقه الإسلامي ودلالته، ص5012.
(7) السيوطي، الجامع الكبير، ج3، ص410.
(8) محمد بن عبد الله: الشيخ القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن منظور القيسي: المتوفى سنة 636-1238م من أهل مالقة كان ذا نسب كريم، أديباً بليغاً ينظر لحاله، معجم المؤلفين، ص250.
(9) محمد بن سهل بن مالك الازدي: يكنى بأبي الحسن، كان رأس الفقهاء وخطيب الخطباء البلغاء وخامتة رجال الأندلس تفنن في ظروف من العلم، قال: ابن عبد الملك كان أفضل أهل عصرهُ تفننا في العلوم وبراعة في المنشور والمنظوم عدلاً ثبتاً حافظاً للقرآن. للمزيد ينظر: ابن فرحون الديباج المذهب، ج1، ص395.
(10) الرباع: هي الدار بعينها أينما كانت. للمزيد ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج3، ص24.
(11) الإحاطة، ج4، ص232.

وكان للمؤرخ ابن الخطيب دور في العطاء وأعمال البر، فقد أنفق ماله في بناء المدارس وأبيمارستان[1].

وللأحباس دور في رعاية فئات عدة ممن هم ذو حاجة، فقد شملت المرضى والفقراء والأيتام في سبيل توفير العيش الكريم لهم، وكان مردودها يذهب لبناء الدور للأيتام والمستشفيات، وحتى ابن السبيل له جزء منها إضافة إلى تسخيرها في سبيل بناء وإصلاح الجسور ودور العبادة، وغير ذلك من أعمال الخير والبر[2]، وأسهم العلماء في رعاية المحتاجين، فكان أبو عبد الله الطنجالي يقوم بجمع التبرعات وتوزيعها على المحتاجين[3].

وأيضاً نذكر عبد العظيم بن عبد الله بن يوسف بن محمد[4] (ت666 هـ/ 1267م) الذي قام ببيع كتبه وقام بتوزيع ريعها على الفقراء والمحتاجين[5].

ومن العلماء الذين كان لهم دور في إعانة المحتاجين والفقراء ولاسيما في الكوارث والأزمات، محمد بن محمد بن محارب الصريحي[6] (750ه/ 1349م) من علماء النحو الذي أنفق ماله كله ليس فقط للفقراء، بل انفقه لطلبة العلم وجعل كتبه حبساً لهم [7].

ومن الشخصيات التي كان لها دور في إعانة المحتاجين ولاسيما في أيام الطاعون نذكر محمد بن موسى الحلفاوي[8] (ت سنة 715ه/ 1357م) حيث كان يعطي للسائل ما يغنيه عن السؤال مرة أخرى، وشمل عطاءه حتى الملابس [9].

وفي أيام الحروب كان هنالك نوع من التكافل والرعاية للناس فيما بينهم، إذ كانوا يوزعون لبن المواشي ليسدوا رمقهم ولا يتركون من ليس لديه مواشي بدون لبن، إذ عُدَّ كان عنصراً غذائياً هاماً للسكان، أي أن للعامة دور في التكافل [10].

---

(1) ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص25، رباع الدار بعينها أينما كانت (معجم القاموس المحيط).
(2) ربوح، دور الأوقاف في الحياة الاجتماعية في الأندلس، ص121.
(3) عبد القادر، الخدمات العامة في غرناطة، ص178.
(4) عبد العظيم، عبد الله بن عبد الله بن يوسف، الذي كان كثير الصدقة يقضي حوائج السائلين وعند وفاته لم يعثر على مال عنده غير أربعة وثلاثين درهما وضعها في اكفانه مكتوباً عليها للحمالين، كذا وللغسالين، أي ابقى فقط أجور ما يتعلق بالدفن. للمزيد ينظر: ابن الزبير، صل الصلة، ص35-36.
(5) عبد القادر، الخدمات العامة، ص178.
(6) محمد بن محمد بن محارب الصريحي بن أبي الجيوش (750ه/1349م) من علماء النحو. للمزيد ينظر: الحنبلي، عبد الحي بن أبي أحمد بن محمد العكري (ت 1089ه/ 1678م)، شذرات الذهب، ج8، ص286.
(7) الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ص286.
(8) محمد بن موسى الحلفاوي (ت 715 ه / 1314م) نزيل غرناطة ورد الأندلس وبيده مال كثير انفقه في سبيل التقاء وجه الله تعالى كان ميالاً للمساكين يقصده المحتاجون وذوي الحاجة، يزدحم الناس حولهُ رجالاً ونساءً وصبيان اغلبهم من أهل الفاقة. للمزيد ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص271.
(9) البياض، الكوارث الطبيعية، ص277.
(10) ربوح، الأحباس ودورها في المجتمع الأندلسي ما بين القرن 4 – 9 ه، ص49.

وفي مملكة غرناطة شملت العناية والرعاية المجانين والمصابين بالأمراض العقلية، إذ بدلاً من اهمالهم في الشوارع والطرقات يؤذون أنفسهم والآخرين، جمعوا في دور خاصة من أجل تقديم الرعاية لهم، وتوفير الغذاء لهم، وكان جمعهم يتم بأمر من المحتسب[1].

ولم يقتصر حق الرعاية والتكافل على الغرناطيين فحسب، بل شمل الوافدين الفارين من الإسبان، إذ كانت مملكة غرناطة ملاذاً امناً للتخلص من بطش النصارى، وكذلك ضمان حقوق المسلمين المتواجدين في مناطق النصارى والسماح لهم بالانتقال إلى المدن التي يرغبونها دون إيذاء أو ذُلّ.[2]

وعلينا أن نذكر دور المرأة الغرناطية في الرعاية والتكافل، فهي تساند زوجها، وتعمل من أجل رفع مستوى أسرتها المعاشي، إذ عملت في الحياكة والغزل، ويتولى الزوج البيع في الأسواق[3].

وقمن بأعمال كثيرة في البر، منها: إنفاقهن الأموال في بناء المساجد ولم يقتصر هذا على نساء البلاط، بل شمل كذلك العوائل الميسورة، ومن بين النساء اللائي قُمْنَّ بدورٍ مميزٍ، سيدة العبدري، التي أسهمت في تعليم القرآن، وفك رقاب الأسرى، وقامت إحدى النساء بتخصيص أرض لزراعة القمح، وطبخه وتوزيعه ليلة المولد النبوي الشريف للفقراء والمحتاجين وعامة الناس، وأخرى حبست زاوية في مدينة بسطة للفقراء[4].

وأم الفتح ابنة عم السلطان النصري الغالب بالله وبنت السلطان أبو الحجاج يوسف محمد الخامس (793-795هـ /1392-1393م) التي كانت ذات سيرة وحظوة لها في البر أعمال كثيرة، إذ كانت تحاول التقرب إلى الله بأساليب وأعمال كثيرة[5].

لقد كان للعلماء دوراً بارزاً في الرعاية والتكافل في الحروب والأزمات بعَدّهم القدوة التي يقتدى بها، فقد أدو دورهم مع الناس سواء في الأمراض أم المجاعة أم في هجمات النصارى، حيث كانت لهم البادرة الأولى، فلم يكتفوا بالتوجيه والدعوات، ومثال ذلك محمد بن علي بن الخضر بن هارون الغساني[6] الذي كان كثيراً ما يستعمل وجاهته في قضاء حاجات الناس، وشمل إحسانه حتى من كان مسيئاً معه وقد وصفه ابن الخطيب: "معظماً عند الخاصة والعامة، حسن الخلق جميل المعشر رحيب الصدر مسارعاً إلى قضاء الحوائج شديد الأجمال

---

[1] فرحات، غرناطة، ص98.
[2] الطوخي، مظاهر الحضارة، ص70.
[3] زوبير: الأسرة المسلمة في مملكة غرناطة بين التمسك بالهوية الإسلامية وتأثير المجتمعات المسيحية، مج4، ص753.
[4] الونشريسي، المعيار المعرب والجامع، المغرب في فتاوي أهل أفريقية والأندلس والمغرب، ج7، ص114.
[5] ابن عاصم، جنة الرضا، ص75-76.
[6] محمد بن علي بن الخضر الغساني: المعروف بابن عسكر أبو عبد الله بن علي بن خضر الغساني (ت: 636ه/1239م): القاضي العلامة ذو الفنون أبو عبد الله محمد. للمزيد ينظر: الزركلي، الأعلام، ج6، ص218 ؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج23، ص65.

حسناً إلى من أساء إليه نفاعاً بجاهه سمحاً بذات يده"[1]، ومن العلماء من له فضل في حل النزاعات هو محمد بن أحمد بن زيد الغافقي (762ه)[2].

ومن الحقوق التي تمتع بها الغرناطيون الرعاية الصحية، فقد حرص سلاطين بني الأحمر على بناء المنشآت والبيمارستانت الصحية وسلموها للأوقاف، وذلك لضمان استمرارها لخدمة المرضى، إذ قام السلطان محمد الخامس بالاهتمام بالأمور الصحية، فيذكرها ابن الخطيب قائلاً: "ومن مواقف الصدق والإحسان من خارق جهاد النفس بناء المارستان الأعظم حسنة هذه التخوم القصوى، ومزيه المدينة الفضلى لم يهتد إليه غيره من الفتح الأول مع توافر ضرورة وظهور الحاجة فأغرى به همة الدين ونفس التقوى فأبرزه موقف الأخوان ورحلة الأندلس وفذلكة الحسنات فخامة بيت وتعدد مساكن ورحب مساحة ودور مياه وصحة وهواء وتعدد خزائن ومتوضآت وانطلاق جراية وحسن ترتيب أبر على مارستان مصر بالساحة العريضة والأهوية الطيبة وتدفق المياه من فورات المرمل وأسود الصخر وتموج البحر وانسدال الأشجار إلى موافقته إياي وتسويفه ما اخترعته بإذنه وأجريته بطيب نفس من اتخاذ المدرسة والزاوية وتعيين التوبة"[3].

إن هذا القول يفصح عن مدى التطور والعناية والخدمة الصحية التي تلقاها الأهالي في تلك المدة، إذ أنها لم تك مستشفى للتداوي فحسب، بل كان مدرسة لتعليم الطلبة مهنة الطب أيضاً[4] وكانوا يستقطبون العلماء والأطباء من المناطق كافة، وكانوا شديدي الإكرام لهم، إذ كان محمد بن يوسف بن الأحمر يجلس معهم لمعرفة ما يحتاجه العلماء وطلبة العلم[5]، ولم يقتصر عمل هؤلاء على مداواة ومتابعة السلاطين فقط، بل كانوا يعالجون الفقراء وعامة الناس، وكانوا بعض الأطباء يعالجون المرضى في بيوتهم، أمثال عبد الله بن سراج [6]، كذلك حرصوا على تأسيس وبناء الحمامات الخاصة والعامة، إذ كثرت في أيام بني الأحمر، وكان قسماً منها خاصاً بالمسلمين، والقسم الآخر خاصاً بأهل الذمة، إذ كان أهل الأندلس من أشد خلق الله نظافة، فيذكرهم المقري قائلاً: "وأهل الأندلس أشد خلق الله عناية بنظافة ما يلبسون وما يفرشون... وفيهم من لا يكون عنده إلاّ ما يقوته يومه فيطويه صائماً ويبتاع صابوناً يغسل به نيابه ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها"[7].

وقد أورد لنا عنان وصفاً للحمامات السلطانية التي هي عبارة عن حمامات رخامية تتخللها البهاء صغيرة وما زالت بها أماكن الأعراض ظاهرة، وكذلك المواسير والصنابير[8].

---

(1) الإحاطة، ج2، ص103.
(2) هو محمد بن أحمد بن زيد بن زيد بن الحسن بن أيوب بن خليل ابن زيد بن منجك الغافقي لقب بأبي بكر أشبيلي الأصل بقي في غرناطة حتى وفاته سنة 762ه. للمزيد ينظر: العسقلاني، الدرر الكامنة، ج5، ص45.
(3) ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص50.
(4) العاني، الأحوال العامة، ص359.
(5) بلهواري، أطباء الدار السلطانية في عصر بني الأحمر، ص11.
(6) المصدر نفسه، ص11.
(7) فرحات، غرناطة، ص104.
(8) عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص98.

وفي مجال العناية الصحية عملت الحكومة الإسلامية في مملكة غرناطة على إيصال مياه الشرب إلى المنازل للاستفادة منها في الشرب والأعمال اليومية الأخرى وكان للأفراد باع في ذلك أيضاً[1]، إذ حفر يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحيى البلوي في بلدة مالقة العديد من الآبار من أجل منفعة الناس وابتغاء الثواب[2] وعملت الحكومة على تنقية مياه الشرب، إذ عمل أبو عبد الله محمد بن يوسف على إيصال الماء إلى حصن الحمراء[3].

وقام السلاطين بعده بتأسيس وحفر شبكة من القنوات؛ لإيصال مياه نهر حدرة إلى سهل مملكة غرناطة، وكانت البيوت الغرناطية حاوية على الصهاريج ووسائل تصريف المياه، وكانت المياه متوافرة على نوعين للشرب وللأغراض الأخرى كالتنظيف وغيرها[4] وحفاظاً على الصحة العامة كان المحتسب في الأسواق يعاقب كل من يستعمل المياه غير الصالحة للشرب في الصناعات الغذائية[5].

لقد عُرف أهل مملكة غرناطة بالمروءة التي أخذت أبعادها في مسيرة حياتهم الصعبة الشائكة، إذ ورد لنا المقري قوله: "ولهم مروءات على عادة بلادهم لو فطن لهم حاتم[6] لفضل دقائقها على عظائمه"، إذ عُرفوا بسعيهم لرفاه العيش وتحقيق الامن والاستقرار[7].

كما اتضح أيضاً اهتمام السلاطين بتوفير حق الرعاية الصحية للرعية، وذلك بتوفير دور المرضى الخاصة للرجال والنساء إضافة إلى اهتمامهم بالحمامات المرتبطة بالصحة العام، إذ وضعت القوانين للاهتمام بها والمحافظة على نظافتها يعدّها مرفق مهم للناس كافة، وللمحافظة على الصحة العامة في هذه المرافق الحيوية؛ وضعت الدولة القوانين لحماية الناس من انتشار الأمراض والأوبئة في تلك الأماكن، إذ شدد المحتسب على ضرورة تغطية صهاريج المياه لحمايتها من النجاسات وهي موضع طهارة، وكذلك مراقبة الحكاك والحجام، وأن لا يسيروا فيها إلاّ وهم يرتدون سراويلهم ستراً لعورتهم[8].

وخلاصة ذلك يمكننا القول: إن سلاطين بني الأحمر باشروا بأنفسهم بتقديم الصدقات وأعمال البر بصورة مباشرة وبصورة غير مباشرة خلال تكاتفهم مع الفقهاء والعلماء، فتارة نجدهم ينفقون الجرايات للفقراء والمحتاجين وتارة أخرى يخففون الضرائب المفروضة حسب الحالة الاقتصادية والسياسية التي تمر بها المملكة، إذ لهم دور كبير في النكبات والكوارث والأوبئة.

---

(1) ابن الزبير، الصلة، ص218-219.
(2) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص68.
(3) مؤنس، رحلة الأندلس، ص160.
(4) دكي، غرناطة مثال المدينة، ص157.
(5) ابن عبد الرؤوف، آداب الحسبة والمحتسب، ص74.
(6) حاتم الطائي: أبو عدي حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي (ت: 46 ق.ه) وهو أحد الشعراء العرب وهو مضرب مثل في الكرم والشجاعة. للمزيد ينظر: الزركلي، الأعلام، ج2، ص151.
(7) المقري، نفح الطيب، ج4، ص73.
(8) ابن الخطيب، رسائل في القضاء والحسبة، ص106.

ويظهر أيضاً أن أهل مملكة غرناطة قد اتصفوا بالمروءة التي لها أبعادها في ميسرة حياتهم الصعبة الشائكة، حيث أورد المقري قوله: "ولهم مروءات على عادة بلادهم لو فطن لها حاتم لفضل دقائقها على عظائمه وقد عرفوا بسعيهم لرفاه العيش وتحقيق الأمن والاستقرار". [1].

من خلال ما تقدم يمكننا استنتاج أن الفئات الاجتماعية الميسورة في كافة مملكة غرناطة تكاتفت من أجل توفير حق الرعاية الاجتماعية والصحية للرعية في المملكة.

[1] المقري، نفح الطيب، ج4، ص115.

المبحث الثالث

حقوق الأسرة والطفل في مملكة غرناطة

كان تأثير الأوضاع المضطربة من حروب وأوبئة وكوارث طبيعية كبيراً على المجتمع الغرناطي على الرغم من الجهود التي بذلها السلاطين والميسورين من العامة في مملكة غرناطة من أجل تحسين واقعهم وضمان حقوقهم في العيش بأمان واستقرار، إذ عانى المجتمع الغرناطي العديد من الأزمات السياسية والاقتصادية والصحية التي أثرت سلباً على الأسرة، فاستقرار الأسرة مرهوناً باستقرار هذه الأوضاع، والمرأة في أي مجتمع العضو الفعال في تكوين الأسر والمجتمعات، إذ أثرت هذه الاضطرابات في قضايا الطلاق والميراث والحضانة، فتعددت الفتاوى من قبل الفقهاء والقضاة في هذا الجانب لضمان الحقوق، إذ كثرت القضايا فيما يتعلق بفقد الزوج سواء عن طريق الأسر أم الاستشهاد أم عن طريق الطلاق[1].

أما فئة الأطفال والنساء فهي الفئة الوحيدة التي عانت من هذه القضايا سواء أكان سبب الفقد استشهاد أم أسر والزوجة كانت المتأثر الوحيد، لأن المسؤولية التي أُلقيت على عاتقها أصبحت أكبر وعانت من ويلات ومآسي وهي تخوض الحياة بمفردها، إذ كان الرجل في المجتمع الغرناطي هو رب الأسرة وعمود البيت، ناهيك عن حرمانها من مواصلة حياتها الزوجية الطبيعية، إضافة إلى ان مسألة الإفتاء في هذه القضايا مسألة صعبة، إذ تحتاج إلى معاناة وجهود في سبيل حل الخلاف الدائر بين الطرفين، فلابد من إثبات فقدان الزوج في أرض المعركة قبل الطلاق منه، فإذا لم يسمع لهُ خبر اعتدت[2] زوجه وقسم ماله بين ورثته، وإن لم يثبت حضوره في المعركة فحكمه حكم المفقود في أرض الشرك في غير قتال، إذ يعمر في زوجه ومالهُ، وقيل يعمر في المال فقط ويضرب له أجل أربع سنوات في الزوجية كمفقود أرض الإسلام[3].

وكانت مسألة النفقة[4] أهم قضية؛ لأن المطلقة بحاجة إلى مالٍ معلوم لإعالة أطفالها، فأقرَّ الشرع الإسلامي ذلك لرفع الضرر عنها[5].

ومن الحقوق التي نالها الأطفال اليتامى في مملكة غرناطة، هو حق كفالة يتيم الحرب، إذ أُنصفت هذه الفئة، ففي حالة ترك المفقود لابنته (أنثى) عند الزواج فالواجب إثبات البلوغ لعدم إلحاق الضرر، ثم إثبات كفاءة الزوج والمساواة في المنزلة والمستوى الثقافي والمركز

---

(1) البرزلي، جامع الفتاوى، ج4، ص250.

(2) العدة : بكسر العين جمع عدد وهي لغة الإحصاء مأخوذة من العدد؛ لاشتمالها على عدد الأقراء أو الأشهر غالباً، يقال عددت الشيء عدة احصيتهُ احصاء وتطلق على المعدود يقال عدة المرأة: أيام أقرائها، وهي مدة محددة شرعاً لانقضاء ما بقي من اثار الزواج. للمزيد ينظر: الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج9، ص7199.

(3) الونشريسي، المعيار المعرب، ج3، ص388.

(4) النفقة: حق أصيل من حقوق المرأة والواجبة على زوجها بسبب عقد الزواج وهي ما ينفقه الانسان على عيالهُ وهي شرعاً (الطعام، والكسوة، والسكن) وهي واجبة للزوج مسلمة كانت أم كافرة بنكاح صحيح. للمزيد ينظر: الزحيلي، ج1، ص7372.

(5) الأندلسي، فتاوى قاضي الجماعة، ص149.

الاجتماعي والمالي، إذ طرح سؤال على سعيد بن لب[1] في رجل فقد في أرض العدو وترك بنتاً بالغاً وأمها وعمها يريدان تزويجها فما حكم ذلك وما يحتاج في زواجها من الموجبات[2].

وكان الآباء يوصون بعد وفاتهم بمن يكفل أبنائهم وغالباً ما كان الكفيل غير أمين على أموال وممتلكات اليتيم؛ لذلك فمن شروط الكفالة أن تكون موثقة وعلى الوصي أن يكتب براءة لهذا اليتيم، إذ وصل لحد البلوغ وكثيراً ما يتعرض اليتيم للظلم والغبن بدليل ما سجل من أمثال العامة[3]، وكان موضوع كفالة اليتيم ذو اهتمام عند الفقهاء، إذ وجدت العديد من نماذج الوثائق بعد سقوط مملكة غرناطة[4]، قال تعالى: ﴿ **وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إلاّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً** ﴾[5].

أما فئة الصبيان فقد عاشت مدة صعبة في فترة بني النصر، إذ إن مملكة غرناطة في حالة حرب مستمرة، فكانوا دائماً في خطر، فَوَعِيت هذه الفئة على حمل السلاح[6]، فمسؤولية الجهاد مسؤولية الجميع، والجنود غالباً ما يصطحبون أولادهم إلى المعارك لتدريبهم على إستراتيجية الحرب وتعمل العامة والخاصة على الطريقة نفسها، "فالصبيان تتدرب على العمل بالسلاح وتعلم المثاقفة كما يعلم القرآن في الألواح"[7]، وقد أوردت المدونات الأسبانية أن الشعب الغرناطي ومنهم الأطفال قد اشتهروا في استعمال القوس والنشاب ورمي السهام إلى درجة أعجبت أعداءهم[8].

أما مسالة الطلاق، فقد شهد المجتمع الغرناطي العديد من حالات الطلاق على الرغم من أنه أبغض الحلال إلاّ أنه وسيلة لحياة جديدة في حالة عدم وجود الانسجام العائلي بين الأزواج وسمي هذا في مملكة غرناطة برسم طلاق الخلع، وقد أخذت المرأة حقوقها في ذلك، إذ كان لها الحق في حضانة أطفالها بعد الانفصال، فأنها تحتفظ بالولد لحين بلوغه وبالبنت لحين زواجها أيضاً، وقد نصت وثيقة غرناطية على ذلك قيدت سنة (879ه/ 1474م)، أما إذا ثبت حملها فعلى الزوج النفقة عليها وكسوتها ويراعي في ذلك وضع الزوج الاقتصادي، قال تعالى: ﴿**لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِن سَعَتِهِ**﴾[9]، إذ تفرض عليه بحسب مستواه المادي وإذا رفضت ما قدر لها من نفقة فمن حق الزوج، لاحتفاظ بالطفل وعليه أن يوفر له مرضعة ويدفع لها أجراً، وإذا رفض الطفل حليب المرضعة فعلى الأم إرضاعهُ وبالأجرة نفسها[10].

---

(1) سعيد بن لب (ت 783ه / 1381م) : من اهالي غرناطة من أهل الصلاح والخير حسن الخلق وإليه مرجع الفتوى ببلدهُ لغزارة حفظهُ وقيامهُ على الفقه، جيد الخط ينظم وينثر ولد عام (701ه / 1302م). للمزيد ينظر: المكناسي، درة الحجال، ص415؛ مخلوف، شجرة النور، ص230، الزركلي، الأعلام، ج5، ص140.

(2) ابن لب، تقريب الأمل، ج2، ص20 – 21.

(3) النبراوي، الحياة الاجتماعية والاقتصادية للطفل في الأندلس، ص20.

(4) دي لوثينا، وثائق غرناطية، ص9.

(5) سورة الإسراء، الآية: 34.

(6) مجهول، نبذة العصر، ص33.

(7) العبادي، الأعياد في مملكة غرناطة، ص138 ؛ عبد الرزاق، الحياة الاجتماعية، ص214.

(8) عبد الرزاق، الحياة الاجتماعية، ص214.

(9) سورة الطلاق، الآية: 7.

(10) الونشريسي، المعيار، ج1، ص113.

إلاّ أن الأم في كل الأحول هي الأحق بالحضانة، والأب أحق بالحضانة في حالة عدم وجود الأم وهي الوصية على الأموال في حالة وفاة الأب، ومن حقها أيضاً رهن ممتلكاتهم في حالة إصابتهم فاقة أو عوز لحين سداد ما عليهم[1].

وجدت في مملكة غرناطة حالة ارتداد الزوج عن دينه في دار العدو، ففي هذه الحالة يبطل عقد النكاح وفي حال عودته يعقد لها وبصداق جديد بعد إتمام العدة، وحدثت مثل هذه الحالات في الحقبة الأخيرة من الوجود العربي الإسلامي جراء استمرار الغزوات والمعارك مع النصارى[2].

وعقد النكاح من شروط إتمام الزواج يحفظ للطرفين حقوقهما ويذكر فيه مقدار الصداق (المهر) المتفق عليه بين الأسرتين، ولمكانة الأسرة الاجتماعية دور في تحديد قيمة المهر مقدراً بالذهب أو بالفضة، إذ دون في صداق إحداهن ما قيمته أربعمائة دينار من الذهب العين، ثمن أربع خلاخل ذهب، وثمن تاج من الذهب ذو قيمة عالية جداً[3].

وكل ما يوضع للزوجة في هذا العقد هو من حقها فامتلكت المرأة العربية الغرناطية الملكيات الكبيرة جراء الصداق والإرث، فتحقق بذلك استقلالها الاقتصادي[4].

وذكر ابن الخطيب نموذجاً لوثيقة عقد النكاح جرت مراسيمها في قصر الحمراء سنة (753ه / 1352م) خاص بأخت السلطان أبي الحجاج (733-755هـ/ 1333-1354م)، فكان السلطان ولياً على أخته وذكر في وثيقة العقد مقدار الصداق المقدم والمؤخر[5].

ونظراً لأهمية العقد في حفظ حقوق الزوجين، فإنه يدون من قبل الموثق وغالباً ما يقع أجرهُ على العروس ووليها، وأشهر الموثقين في غرناطة الفقيه محمد الدوسي الملقب بابي قطب.[6]

وكان للبنت على أهلها **الشوار** وهو ما يخرجه أهل البنت مع ابنتهم يوم زفافها من أثاث وملابس، وهي من الأمور المعتاد عليها في البيوت الأندلسية[7].

أما الأب فكان عليه أن يفي حق ابنته من **الشوار** حتى وإن دعت الحاجة به إلى الاستدانة من زوجته أو من أحد أقاربه أو قد يبيع بعض أملاكه في سبيل سد النقص في جهاز ابنته وعلى الأب تسليم البنت الأموال التي ورثتها أو تدوينه في عقد النكاح ضماناً لحقوقها[8].

فيما يخص عقود نكاح أهل الذمة فلا اختلاف في الشروط عن عقود المسلمين من تحديد الصداق ومقداره وإن لم يكن لها ولي فالأساقفة من أهل دينها أو أوليائِها ولا يجوز عقدها من قبل ولي مسلم وإن كانت قاطنة بين أظهر المسلمين[9].

ومن الحقوق التي حصلت عليها الأسرة الغرناطية هي الحق في اختيار الجار المناسب لها، إذ يتقارب الجار مع جاره وتنشأ بينهم علاقة متينة، إذ كان من حق الأسرة أن تختار الجار

---

(1) المصدر نفسه، ج5، ص291.
(2) ابن فرحون، التبصرة، ج1، ص151-152؛ عبد الرزاق، الحياة الاجتماعية، ص164.
(3) عبد الرزاق، الحياة الاجتماعية، ص152.
(4) ابن فرحون، التبصرة، ج1، ص151.
(5) عبد الرزاق، الحياة الاجتماعية، ص153.
(6) ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص253.
(7) الونشريسي، المعيار، ج3، ص122-124.
(8) ابن فرحون، التبصرة، ج2، ص74.
(9) الكتاني، العقد المنظم، ج1، ص73.

قبل المنزل وقد وجه السلاطين بعدم الإخلال لهذه العلاقة بالقول: "وارعوا حق الجوار وخذوا على ايدي الوعرة والفجار[1]، وقد أشار ابن عاصم إلى كثرة الحوادث التي تدل على احترام الأسرة الغرناطية لجارها خلال تصميم المنازل التي تنم عن عدم التطلع على أسرار وعورات الجيران[2].

حقوق الطفل في مملكة غرناطة

لقد راعى المجتمع في الأندلس حقوق الطفل، المتمثلة بالبيئة الصحية والتغذية الصحيحة الاب وأن يكون يومه مقسم بين التغذية واللعب وهي رعاية بدنية نفسية[3]، كما كان من حقوق الأطفال أن يسكنوهم مع أشخاص يألفهم ولا يفزع منهم كأن يكون في البيت عبداً ذو صوت غليظ، يفزع الطفل منه[4]، ولا يأتِ للمنزل أشخاصاً يروعونه، إذ منع القراديين[5] من دخول الدور لما في ذلك من ترويع للأطفال وللنساء الحوامل[6].

أما مسألة التأديب فتكون من نعومة أظفاره، إذ يدرب على الجلوس بصورة صحيحة أمام الكبار ولا يكثر من الكلام ومنعه من استخدام الألفاظ غير اللائقة وعدم تعويدهم على النفائس من المأكل أو الملبس؛ وذلك لغرض تقوية شخصيته[7].

أما في حالة إصابة الطفل بالأمراض فمن حق الأطفال على آبائهم السعي في شفائهم منها والإنفاق عليهم ومن أجل ذلك[8]، وكانت هنالك احتفالات خاصة بالأطفال أمثال السابع[9]، العقيقة[10] والذنتيلة[11] السنية[12]، وقد شاع الاحتفال بأعذار الأطفال الاختتان والحذقة، وهو احتفال يتم عند حفظ الطفل وختمه القرآن وفيها يدعو الأب الناس إلى وليمة طعام حافلة[13].

أما بالنسبة لعمالة الأطفال في مملكة غرناطة فكانت المجالات التي يدخلها الطفل للعمل بها تتناسب مع عمره وجسده، فعملوا في أسواق الأقمشة والتنظيف والجزارة أو رعاية الماشية، وحمل سلات العنب والعمل بمناحل العسل وطحن الدقيق، ولا يجوز أن يستأجر للحرث لمشقة العمل فيها كما عمل الصبية في الحمامات لتنظيفها وسمي بالطياب، أما الفتيات فكن يعملن بالحياكة والنسيج، كما شاعت ألعاب خاصة بالصبيان وأخرى خاصة بالبنات وكانت اللعبة

---

(1) المقري، نفح الطيب، ج7، ص38.
(2) ابن عاصم، جنة الرضا، ج3، ص13.
(3) بن سعيد، خلق الجنين، ص119.
(4) القيرواني، سياسة الصبيان وتدبيرهم، ص54.
(5) القراديين: هم سائسي القرود أي مدربيها واللاعبين معها، إذ كانت من الألعاب الشعبية في الأندلس وحتى في بغداد. للمزيد ينظر: عمر، معجم اللغة العربية، ج3، ص1794؛ دوزي، رينهارت، تكملة المعاجم العربية، ج7، ص220.
(6) الجرسيفي، ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة، ص123.
(7) القيرواني، سياسة الصبيان وتدبيرهم، ص114-115.
(8) المالكي، رياض النفوس، ج2، ص388.
(9) السابع: هو الاحتفال بمرور سبعة أيام على مقدم الطفل. للمزيد ينظر: ابن القطان، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، ص90.
(10) العقيقة: وهي الاحتفال الثاني وقد أوضعت السنة مقدارها عن الصبي والبنت. للمزيد ينظر: القيرواني، النوادر والزيادات، ص332 – 336.
(11) الذنتيلة: وهو احتفال يحدث عندما تنبت أول أسنانه وتعرف بالسنية. للمزيد ينظر: الأهوائي، ألفاظ مغربية في كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة، ج2، ص286 – 287.
(12) الأهوائي، ألفاظ مغربية في كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة، ج2، ص286-287.
(13) فتاوى ابن رشد، ص1489-1492، وعن الحذقة للمزيد ينظر: الونشريسي، المعيار، ج8، ص237-239.

المستحسنة لدى البنات هي اللعب بالدمى؛ وذلك لإعدادهن في المستقبل ليكونن أمهات صالحات[1] وكان الأطفال يخرجون للصائفة من أجل المتعة والترفيه [2]

وقد عَدّ المعنيين بشؤون الطفل ان اللعب شيء هام ولاسيما في المدة ما بين سن المُكتب، إذ ذكر ابن الخطيب أنه "من الصواب أن يجم بعد النوم شيئاً يسيراً، ثم يخلىّ بينه وبين اللعب ثم يطعم يسيراً ويترك بعده للعب أطول قم يستحم ويتغذى ويقلل من شرب الماء على الطعام ويدفع بعد ست سنين أو سبع إلى المُكتب".[3]

كما ورد ذكر عقوبة الأطفال وهم في المُكتب وتحدثت المصادر أيضاً عن ضرورة تفهم الآباء مع المعلمين في عقوبة أطفالهم إلى درجة إحضار ولي الأمر بنفسه للدرة والفلقة التي يعاقب بها الطفل[4].

وانتهكت حقوق الأطفال وتعرضوا لمشاكل اجتماعية من جراء الزواج المبكر، سواء أكانوا صبية أم بنات كذلك المشاكل النفسية التي تعرضوا لها جراء انفصال الأم عن الأب، وقد تميز المجتمع في مملكة غرناطة بدخول الطفل إلى سوق العمل وقد وجد مبرراته الاجتماعية والاقتصادية، فعُدَّ دفع الطفل إلى العمل بمثابة الأمان المستقبلي الذي يقي الطفل من التعرض للفقر، وقد عبر أحد الفقهاء عن ذلك بالقول: المال يتلف بآفات الزمان والدهر بالإنسان دوار فإن كان ممن يحسن صناعة واستتر بها لم يكن عالة على الناس وقد علم الله كثيراً من أنبيائه[5].

شاعت في المجتمع الغرناطي ظاهرة عشق الغلمان، وكانت هذه من المشاكل الاجتماعية التي عانت منها المجتمعات كإحدى ظواهر التفسخ الاجتماعي، وكذلك الاعتداء والتحرش بالأطفال، كما شاع أيضاً وجود شرائح من الأطفال مما كان للظروف الاجتماعية والسياسية دور في وجودهم، وهم الطفل اللقيط والمتبنى والطفل اليتيم، وهؤلاء اهتم بهم السلاطين أو الناس المقتدرين أو المتصدقة، فالطفل المتبنى لا يتمتع بتقبل من طرف الأزواج أي يرفض من قبل الزوج أو الزوجة وكان الاهتمام بالأطفال اليتامى من مسؤولية المتصوفة والأولياء، إذ يتفقدوهم في منازلهم وفي الطرقات يسألون عن أحوالهم ويلبون احتياجاتهم من كسوة وطعام ويشاركون في خدمتهم وخاصة صبيان المُكتب[6].

وفيما يخص عقابهم عن قيامهم بالجرائم، فقد أوصى الفقهاء أن تكون العقوبة في منازلهم وعدم حبسهم في السجون؛ حتى لا يختلطوا بأنماط سيئة داخل السجن من مرتكبي الجرائم من البالغين، إذ أفتى البرزلي وأجاز عقابهم بوسيلة تتراءى للأب أو للقاضي حتى يرتدعوا[7].

اما الطفل اللقيط الذي يسمى في المصادر الفقهية المنبوذ فهو الطفل الذي لا يُعرف أمهُ أو أبوه وهو على العموم حر مسلم؛ لذا يجب أن يتمتع بالحقوق وعلى ملتقطهُ أن يسد نفقاتهُ وإن لم يكن قادراً فتكون نفقته من بيت مال المسلمين، وقد أدت ظروف المملكة الآنفة الذكر إلى وجود

---

(1) الجرسيفي، ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة، ص121.
(2) الصائفة: وهي خروجهم في وقت الصيف إلى مكان غير مكان إقامتهم للتمتع بجو أفضل. ينظر: النبراوي، الحياة الاجتماعية والاقتصادية للطفل، ص13.
(3) ابن الخطيب، الوصول لحفظ الصحة في الفضول، ج2، ص235.
(4) البرزلي، جامع مسائل الأحكام، ج6، ص91.
(5) الطليطلي، المقنع في علم الشروط، ص209.
(6) المالكي، رياض النفوس، ج2، ص145-458.
(7) البرزلي، جماع مسائل الأحكام، ج3، ص577 ؛ المغربي ، المغرب، ص24.

هكذا أطفال لقطاء، وأينما وجد اللقيط فهو يكون تابع للأغلبية أي، إذ التقط في مدائن أهل الشرك واهل الذمة فهو مشرك أو ذمي.[1]

كما تواجد في المملكة الطفل المعاق سواء أكانت الإعاقة ذهنية أم جسدية، فهؤلاء حظوا في الأندلس بأن يدخلوا طريقة مبتكرة لهم في القراءة والكتابة عرفت بطريقة برايل[2]، إذ ذكر ابن حزم عن أبي مؤدبهُ أحمد بن محمد بن عبد الوارث أنه "صور لولد كان له أغمى أكمه حروف الهجاء اجراماً من قير ثم لمسهُ إياها حتى وقف على صورها بعقلهُ وحسسه ثم المسهُ تراكبها وقيام الأشياء منها حتى تشكل الخط وكيف يستبان الكتاب ويقرأ في نفسه ورفع بذلك عنه غصة عظيمة وبذلك تعلم شكل الحرف ثم الكلمة ثم الجملة.[3]

ويظهر لنا أن الشريعة الإسلامية كانت سباقة في ضمان حقوق الأطفال وعلى المستويات كافة، إذ ضمنت حقوقهم الاجتماعية والدينية والاقتصادية، وأعطت للطفل أهمية من بداية وجوده في الأسرة، وفي مملكة غرناطة تميل تبعية الطفل للكبار في المجالات كافة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، إذ عانى من الاسترقاق ومن الوقوع في الأسر ومن التشريد.

---

[1] سحنون، المدونة، ج3، ص337؛ القيرواني، النوادر والزيادات، ج10، ص482-484.

[2] برايل: طريقة للقراءة والكتابة خاصة بمكفوفي في البصر تعتمد هذه الطريقة على ان كل حروف له نموذج خاص في البروز يعرفه فاقد البصر عن طريق اللمس بأصابعه. للمزيد ينظر: عمر، معجم اللغة العربية، ج1، ص181.

[3] ابن حزم، التقريب لحد المنطق، ص192.

المبحث الرابع

حقوق الأسرى في عهد بني النصر

أولاً- حقوق الأسرى

لقد صان الإسلام الإنسان وحمى كرامته على أساس الحرية، وجاء القرآن الكريم مؤكداً حقوق الإنسان، ومن هذه الحقوق حق الإنسان في حريته، إذ خلق الله الناس أحراراً وأمر سبحانه وتعالى أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم في سبيل حريتهم؛ لذا فقد حرص المسلمون في مملكة غرناطة على افتكاك الأسرى لقوله تعالى ﴿ **مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أسرى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأرض تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾[1]، إذ كان الأسر في مملكة غرناطة من المشاكل الشائعة التي واجهت الغرناطيين لاسيما بعد زيادة خطر الممالك النصرانية، إذ بذلت الجهود من أجل افتكاكهم سواء أكانت رسمية تتعلق بالسلطان وما يقوم به من مفاوضات وما يدفعه من فدية مقابل افتكاكهم أم غير رسمية تتمثل بالدور الذي يقوم به بعض علماء الأمة من علماء وفقهاء أم أفراد بما يقدموه من أحباس من أجل افتكاك هؤلاء الأسرى، إذ كانوا يقومون بذلك لاعتبارات دينية وإنسانية دون أي مقابل وظهرت هذه المسألة مع زيادة خطر الممالك النصرانية (635-897هـ / 1238-1492م)، وظهرت هنالك نشاطات فردية خاصة لافتكاك هؤلاء أطلق عليهم بالفكاكين[2].

وظهر هذا المصطلح في مصادر مغربية، منها سبك المقال لفك العقال لابن الطواح (781ه / 1318م)[3] وأيضاً رحلة الوزير في افتكاك الأسير للوزير الغساني (ت117ه / 1757م)، وأغلب من مارس هذه المهمة هم التجار، إذ يسمح لهؤلاء بالحركة والتنقل داخل مملكة غرناطة بسهولة وظهر أشخاص يقومون بإيصال مبلغ الفدية إلى المسلمين بالنسبة لأسرى النصارى وللنصارى بالنسبة لأسرى المسلمين، وكان هذا يتقاضى خُمس الفدية[4] مقابل عمله هذا وقد أطلق عليه اسم (المحرر) وأصبح هذا العمل متداولاً بين مَنْ يمارسون التجارة لمعرفتهم بمسالك الطرق وخاصة المناطق الآمنة دون تعرضهم لقطاع الطرق[5].

وفي دولة بني نصر منح الفكاكون ترخيصاً من قبل الحكام لمزاولة هذا النشاط، وتتم عمليات توثيق الافتكاك خلال عقود لها أركانها وشروطها تضمن حق الأسير والفكاك، وأصبح عمله يجري رسمياً في مدة بني الأحمر[6]، إذ شهدت هذه المدة تجدد معاهدات السلام بين

---

(1) سورة الأنفال، الآية: 67.

(2) الفكاكون معناه خلص الشيء من أسار الرق وأطلقه والإطلاق تعني فكه من الأسر[2]. واصطلاحاً الفكاكون من يتولى فك أسرى الحرب والجهاد الثغري أو البحري أو القرصنة في بلاد الغرب النصراني والعمل على استعادتهم بعد افتكاكهم أي فديتهم وتحريرهم من دار الحرب أو دار السلام. للمزيد ينظر: الرازي، مختار الصحاح، إخراج: دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، ص213؛ أشرف ، الفكاكون في عصر بني نصر بالأندلس، ج2، ص257.

(3) جبران، سبك المقال، ص85-87.

(4) توفيق، الفكاكون، ص259.

(5) المصدر نفسه، ص259.

(6) سعيدان، العلاقات الأسبانية الأندلسية في القرن الرابع عشر الميلادي، وسقوط غرناطة، ص62-107-273.

الطرفين الإسلامي والنصارى؛ فوجدت منافذ شرعية تسمح بعمليات الافتكاك، وأشارت العديد من النوازل الفقهية على تردد هؤلاء الفكاكون إلى الأقاليم؛ لافتكاك أسرى المسلمين والعكس وأدت الأحباس دور في عمليات الافتكاك، إذ سئل ابن لب عن امرأة أسيرة مكفوفة جمع مال لافتكاكها[1].

كما أكد ذلك ابن بطوطة[2] عند دخوله مدينة مالقة، إذ وجد أبا عبد الله الطنجالي (ت720ه/1323م) جالساً في الجامع الأعظم معه الفقهاء لجمع أموال افتكاك أسرى المسلمين، وهناك نازلة حول ذهب موقوف لتسليف الأسرى ليفك به نفسه إلى أجل معلوم، وكان هذا العمل من أجل الحفاظ على قيمة المال المحبوس[3].

وكان للمدجنين دورٌ كبيرٌ في عمليات الافتكاك[4]، إذ أشارت السجلات في بعض مدن مملكة غرناطة إلى قيام المدجنون بهذا العمل خلال ضريبة العُشر التي يدفعونها إلى الأقاليم النصرانية، إذ وإشارت وثيقة تعود إلى سنة (703ه/1303م) نصت على أخذ الزكاة من مدجني بلنسيه التي حكمها ملك أرغون من أجل توفير الأموال لافتكاك أسيرين مسلمين، وأشارت المرويات التاريخية إلى نشاط تحركات المدجنين بين عامي (765-883هـ /1364-1478م) بين الأقاليم النصرانية والإسلامية لهذا الغرض، وحرص هؤلاء المدجنون على عمليات الافتكاك تقرباً إلى الله تعالى، فكانوا يحسنون إليهم ويزوجون الصغار منهم ويقوموا بتربيتهم إضافة إلى افتكاك العلماء من الأسرى، وبرزت الفكاكة كعمل مؤسسي بعد سنة (741ه/ 1341م) خلال التشريعات المحلية في المدن النصرية المتاخمة لثغور المسلمين وللفكاكون مواصفات عدة، منها الشجاعة والصدق والأمانة والنزاهة إضافة إلى خبرته بالتفاوض والقدرة على الحوار والمناقشة، ولضمان أمن الفكاك يتم منحه رخصة عمومية، أطلق عليها رخصة العبور تعطيه الحق في عبور الحدود بين الإقليميين، ولأهمية الأمر وجد في مملكة غرناطة قاضٍ بين هؤلاء يسمى القاضي، وبين الملوك الممالك النصرانية فقد سمي بقاضي الشكاوي، إذ اختص هذا في فك النزاعات التي تحدث في الشريط الحدودي الغرناطي مع مملكة قشتالة بسبب مشكلة الأسرى، وهناك شواهد تنص على ذلك، فيذكر أن أبا الجيوش نصر (709-714هـ / 1309-1314م) عقد معاهدة صلح كان من بنودها السماح بتعيين شخص نبيل من طرف مملكة غرناطة يعمل مع سلطات مملكة غرناطة لفك الخصومات التي تطرأ بين الطرفين على الشريط الحدودي بين الإقليمين، وكانوا مسؤولين عن حل مشكلات الأسرى لكلا الإقليمين، وكان قاضي الملوك يقوم بافتكاك الأسير الذي من لا طالب له، ومن أبرز مَنْ تقلد هذا المنصب في مملكة غرناطة، هو القاضي (سعد الأمين) وهو من كبار وزراء مولاي أبي الحسن علي (869-هـ / 1464-1485م)، إذ خوله السلطان البت في مثل هذه القضايا بين النصرانيين والمسلمين، وذلك للحد من الخروقات التي تنشأ أثناء معاهدات الهدنة، وقد قام الفكاكون بدور كبير وفي المجالات كافة، إذ كان لهم دور في النشاط الاقتصادي بين تلك الأقاليم المتصارعة، وعلى الصعيد السياسي أسهم الفكاكون في التخفيف من شدة الصراع بين الممالك من كلا الجانبين، وكذلك تزويد البلدانيين

---

(1) الغرناطي، تقريب الأمل البعيد في نوازل الأستاذ أبي سعيد، ج6، ص163.
(2) رحلة ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار، ص679.
(3) الونشريسي، المعيار المعرب، ج7، ص162.
(4) المدجنون: هم الاسر المسلمة التي حملتهم ظروف العيش على البقاء في الوطن القديم تحت حكم الأسبان. للمزيد ينظر: خطاب، ج2، ص116.

المسلمين بمادة غزيرة من الطرق ونقل صورة واضحة عن الأخبار والطرق والمسالك والتحصينات الدفاعية إضافة إلى تزويد الفكاكين بمعلومات عن أماكن تواجد الأسرى المسلمين[1].

وكان على الأسرى النصارى في بلاد الشام قليلاً من القوت اليومي والحبوب، وراتب من الخبز بقدر رطل ونصف، أما عن العقاب الشائع فكان الضرب بالسوط والحرمان من الطعام هي العقوبة الشائعة، وكانت أرجلهم تربط بالحديد ويوضعون في المطبق، وهو عبارة عن سجن مظلم وكانت السجون مقسمة إلى زنزانات تسع الواحدة منها (11-16) أسيراً[2]، وقد مارس بعضهم بعض الأعمال مثل طحن الحبوب وقطع الأخشاب والزراعة، كما كان لهم دور في البناء وتسخين الحمامات الخاصة والعامة، وقد اعتنق أكثرهم الإسلام فُعِرف هؤلاء بالمرتدين، أما الأسيرات فكن يخدمن في البيوت ويقمن بصنع الأحفاف أما بعضهن فكن حظيات لدى أسيادهن[3].

وتعرض العديد من المسلمين للأسر والسجن في البلاد النصرانية، إذ تعرض أحمد العبدري للسجن في دار العدو إلى أن مات في أسر النصارى سنة (627ه/1230م)[4].

وممن تعرض للأسر والسجن أيضاً عبد الكريم القيسي[5] المولود في بسطة[6]، إذ تنقل لطلب العلم ثم هاجر طلباً للرزق واشتدت عليه وطأة الحاجة؛ فاشتكى لما وقع عليه من ظلم فلم يستجب أحد له مما اضطر إلى بيع كتبه، وأثناء تنقله أسره النصارى ومكث في الأسر طويلاً وتعرض للذل[7].

وسقط أبو جعفر القيسي[8] في الأسر عام (643ه/1246م) وتعرض للتعذيب في أسره إلاّ أنه تمكن من الانفكاك من الأسر[9].

وتعرض ابن الحاج النميري الغرناطي[10] (774ه/1373م) لمحنة الأسر، وكان من الشعراء في مملكة غرناطة ومن علمائها نجح في مهمة القضاء، إذ أسر أثناء سفره بحراً من قبل قراصنة النصارى وبعد مدة أقدم السلطان على فك أسره مقابل فدية مالية كبيرة[11].

---

(1) توفيق، الفكاكون، ج2، ص270-275 ؛ الطوخي، مظاهر الحضارة، ص138.
(2) الطوخي، مظاهر الحضارة، ص138.
(3) عبد الرحمن، الموجز في تاريخ العلوم عند العرب، ص10.
(4) أحمد العبدري: هو علي بن أحمد العبدري الميورقي فقيه وعالم وراو للحديث. للمزيد ينظر: المراكشي، الذيل والتكملة، ج5، ص183.
(5) عبد الكريم القيسي: من أواخر الشعراء الذين ظهروا ترك لنا ديواناً نضم فيه أحداث سقوط جبل طارق وحصار مالقة توفى سنة (898ه/1492م). للمزيد ينظر: عنان، ج5، ص491.
(6) الرعيني، شيوخ الرعيني، ص161.
(7) بنشريفة، أخر شعراء الأندلس، ص16.
(8) أبو جعفر القيسي: هو أحمد بن محمد القيسي محدث وراو. للمزيد ينظر: ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص108.
(9) ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص108.
(10) ابن الحاج النميري: هو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن قاسم النميري الغرناطي ولد سنة (713ه/1313م). للمزيد ينظر: المقري، نفح الطيب، ص330.
(11) ابن الخطيب، الإحاطة، ص196-197.

وممن تعرضوا للأسر أيضاً بيد النصارى أبو عبد الله محمد بن يوسف الغرناطي الذي شهد سقوط مملكة غرناطة بيد العدو (897ه/1492م)، إذ سأل الوزير الأسباني عن أشهر العلماء فيها فأشار عليه وكان يلقب باسم المواق[1]، إذ كان مفتي وخطيب مملكة غرناطة، وكان مؤلفاً للعديد من المصنفات[2] فأرسل الأسباني بطلبه إلاّ أنه امتنع عن الحضور مما جعل الأسباني يحضره بالقوة، إذ تعرض للإهانة والشتم[3].

ثانياً- حقوق السجناء

لقد ورد ذكر السجن في القرآن الكريم مرات عدة وبعبارات مختلفة، فذكر في سورة يوسف، قال تعالى: ﴿ **وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاّ أَنْ يُسْجَنَ أو عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[4].

والسجن من العقوبات المشروعة بالكتاب والسنة والإجماع قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** [5]﴾ وفسر النفي بالحبس[6].

والسجن من العقوبات التي أحلها الله لردع الجاني عن جريمته أو تأديباً له وفي بعض الأحيان لرد حقوق الناس إلاّ أن هذا لا يعني خرق الحقوق بالنسبة للسجين، وعرف السجن على أنه المكان الذي يوضع فيه السجين بعد الحكم عليه بعقوبات بدنية ونفسية وعلى ما ارتكبه من جرم وفي بعض الأحيان على ما يتهم به زوراً وظلماً، ومعنى السجن هو تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه حيث يشاء سواء في بيت أم في مسجد[7] وهو منع الشخص من تأدية مهامه الدينية والاجتماعية[8].

والسجين: هو الشخص المحكوم عليه بسلب حريته وإيداعه في بيئة جديدة حتى يعود عضواً صالحاً مؤهلاً، لكي يواجه الحياة الاجتماعية عند الإفراج عنه[9].

وعانى الناس في مملكة بني النصر من ويلات والمحن عدة؛ نتيجة الظروف السياسية المضطربة التي شهدتها مملكة غرناطة، إذا انتهكت حقوق الإنسان في الكثير من الأحيان وتعرض العديد منهم إلى السجن والنفي والإقصاء وشمل هذا ثلة كبيرة من علماء وفقهاء ووزراء

---

(1) المواق: محمد يوسف بن أبي قاسم القاسم بن يوسف العبدري الغرناطي، أبو عبد الله المواق فقيه مالكي كان عالم غرناطة وإمامها وصالحها في وقته له التاج والإكليل في شرح مختصر خليل توفى سنة 897. للمزيد ينظر: ابن حجر، الدرر، ج4، ص91.

(2) ابن خلدون، العبر، ج7، ص453.

(3) ابن حجر، الدرر، ج4، ص91.

(4) سورة يوسف، الآية: 25.

(5) سورة المائدة، الآية: 33.

(6) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج7، ص72.

(7) ابن تيمية، مجموعة فتاوى ابن تيمية، ج35، ص398.

(8) الكاساني، بدائع الضائع في ترتيب الشرائع، ج7، ص174.

(9) القهوجي، علم الإجرام وعلم الأعقاب، ص130.

وعامة، وكانت الأسباب السياسية هي الأقوى في تلك المحن، وكانت عقوبة السجن هي العقوبة الأكثر انتشاراً وربما كانت تنتهي بالقتل عندما تكون الغلبة فيها للأقوى[1].

وكان بالحمراء سجن للمسجونين السياسيين، إذ يُفهم من النصوص أنه كان هناك نوع من المراقبة السرية على الأقوال والأفعال، ففي خطاب وجهه السلطان أبو الحجاج يوسف الأول (733ه-755ه) إلى أبي عنان فارس[2]، كتب إليه يقول: "عرفنا مقامكم الأعلى بما عندنا من صرف نظر الملاحظة إلى من لدينا من أخوتكم أو بني عمكم بحيث لا يبرح رقيبها ولا تحتل ترئيتها، وأننا نصل التفقد لأحوالكم ونذكى العيون على أقوالهم وأعمالهم"[3].

كان السجن يمثل أشد أنواع العذاب للسجين، إذ يوجد تحت الأرض ويعرف هذا النوع من السجون بالسجون الجوفية، ومن أشهرها السجن المعروف بالمطبق بمدينة الزهراء، وقد وجد هذا في مدة سابقة على الدراسة[4]، وسمي بذلك لأنه يطبق على من فيه كما تطبق القبور على الأحياء فلا يروا النور[5].

وكان من السجون الجوفية التي عرفت في مدة متأخرة خلال عصر بني الأحمر هو سجن المطمورة، وهو عبارة عن حفرة عميقة كانت تستخدم لخزن الطعام والغلال وهو يختلف عن المطبق، وفكرة المطمورة مقتبسة من العصر الإسلامي الأول، وقد أشارت المصادر إلى وجود تلك النوعية من السجون في المغرب في مدة حكم الدولة الموحدية بالقرب من نهر تانسفيت[6] مما يشير إلى انتقال فكرة المطمورة[7] من المغرب إلى بلاد الأندلس[8].

وقد عُدّ السجن أحد العقوبات التعزيزية وهي تختلف باختلاف نوع الجرم والشخص الذي يقرها، فهي محكومة بالفعل والفاعل ودرجة الفعل، وكان الغرض منها تقويم سلوك المجرمين[9].

وفي مملكة غرناطة كانت عقوبة السجن لتكميم أفواه الخارجين عن السلطة أو الحد من تحركاتهم، إذ انهم بعضهم ظلماً وزوراً كما حدث لابن الخطيب الذي اتهم بالإلحاد والزندقة[10]، فكانت تحاك ضدهم الدسائس بسبب الغيرة والحسد، وكذلك تعرض أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي[11] (627-708هـ /1230-1308م) لمؤامرة من قبل المتصوف إبراهيم

---

(1) المقري، نفح الطيب، ج5، ص111-112.
(2) أبي عنان فارس المريني، هو فارس بن علي من وزراء الدولة المرينية في المغرب الأقصى لم يكن على ولامع ولي العهد أبي ريان محمد بن أبي عنان. للمزيد ينظر: الزركلي، ج2، ص208.
(3) الطوخي، مظاهر الحضارة، ص207-209.
(4) ابن خاقان، مطمع الأنفس، ص159.
(5) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج2، ص150.
(6) ابن الزيات التادلي، التشوف، ص355.
(7) المطمورة: عرفت باللغة الأسبانية باسم (Mazmorro). للمزيد ينظر: عبد العزيز، قضية السجن والحرية في الشعر الأندلسي، ص54.
(8) مجلة المؤرخ المصري، دراسات وبحوث في التاريخ والحضارة، يصدرها قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد 50، ص69.
(9) المؤرخ المصري، دراسات وبحوث في التاريخ والحضارة، ص57-59.
(10) حور، الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي، ص215.
(11) أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي: من أشهر الفقهاء انتهت له الرئاسة في علم التفسير كان بارعاً فيه. للمزيد ينظر: المراكشي، الذيل والتكملة، ج1، ص39.

الغزاري[1] فَحُوصِر في منزله وصودرت أمواله وكتبه وفر هارباً ثم تجددت معاناته بعد فترة، إذ فرضت عليه الإقامة الجبرية[2].

وتعرض ابن السراج للنفي (ت730ه/1329م) على الرغم من أنه تمتع بخصال طيبة، فكان يداوي المرضى مجاناً وذاعت شهرته وأصبح طبيب القصر السلطاني في مملكة غرناطة أيام محمد الثاني (671-701ه/1272-1302م) فلما مات السلطان بحث ابن السراج في سبب موته الذي اكتشفه الطبيب وكان بسبب طعاماً مسموماً وصله من ولي العهد، كان السبب في موته، لذا أودع ابن السراج في السجن مدة طويلة ثم نفي إلى المغرب[3].

وممن تعرض لعقوبة السجن العالم، أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي[4] الذي كان من المشاركين في معركة طريف وكلف برئاسة وفد لعقد صلح مع قشتالة لفداء عدد من الأسرى بعد ذلك كلف للخطبة في مسجد الحمراء، وقام بالتدريس في المدرسة النصرية (753ه/1352م) واستدعاه أبو عنان المريني، ثم أرسله إلى تونس لخطبة أحد النساء وعند فشله في هذه المهمة أودعه في السجن ولم يطلق سراحه إلاّ قُبيل وفاته (759ه/1358م) الأمر الذي جعله يهاجر إلى مصر وبقي فيها إلى أن توفى سنة (781ه/1379م)[5].

وسجن أحمد الحبالي الأنصاري على يد السلطان أبي الحجاج بن الأحمر بعد رجوعه إلى السلطة، وكان سبب سجنه تنبأه بالثورة عليه، فلما اعتقله عذبه ضرباً بالسياط، ثم نفاه إلى تونس (763ه/1361م)، وفي سنة (760ه/1359م) أودع ابن الخطيب السجن في مدة حكم إسماعيل بن يوسف بن نصر[6]،إذ عمّت الثورة[7] في مملكة غرناطة لإسقاط الغني بالله ومبايعة الأمير إسماعيل مكانه، فرحل إلى المغرب بدعوة من السلطان أبي سالم المريني[8] سلطان المغرب آنذاك، وقبض عليه بتحريض من خصومه وأمر بنكس داره ومصادرة أمواله ومقتنياته ونفذت فيه الأوامر بشدة وغلظة وفقدت ثروته إلى جانب سلطته ونفوذه[9].

قال الناصري صاحب الاستقصاء، "ثم عمد شيعة إسماعيل الثائر إلى الوزير ابن الخطيب فأودعوه في السجن بعد أن أغروا به الثائرين واكتسحوا داره وأتلفوا موجودهُ وكان شيئاً يجل عن الحصر"[10]، بعد ذلك تعرض للإقامة الجبرية خوفاً من أن يلحق بسلطانه المخلوع الذي كان مستقراً في وادي آش، وتجدد الأمر نفسه لابن الخطيب في آواخر حياته، إذ تعرض لحسد

---

(1) إبراهيم الغزاري: ادعى النبوة واظهر الكثير من البدع في الفترة التي حكم فيها بين اشقيلولة مدينة رية ومالقة قتل بغرناطة على كفرهُ مع بعض صحابه. للمزيد ينظر: النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص129.

(2) ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص74.

(3) المصدر نفسه، ج3، ص76.

(4) أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي، الإمام محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق التلمساني لقب بالعجيسي؛ لأن أسرته تنتمي إلى عجيسة وهي قبيلة من زناتة. للمزيد ينظر: الإمام ابن مرزوق الحفيد ومنهجه في الفتوى، مقدمة الكتاب، حياته، ص5.

(5) المقري، نفح الطيب، ج5، ص191 ؛ السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج2، ص50.

(6) إسماعيل بن يوسف: هو أخ محمد الغني شب والمُلك في يد أخيه التف حوله ثلة شجعته على الثورة على أخيه. للمزيد ينظر: الزركلي، الأعلام ج1، ص321.

(7) ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص1-13 ؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص108-109.

(8) أبي سالم المريني: هو أبي سالم إبراهيم بن أبي الحسن المريني المستعين بالله، تولى الأمر بعد هلاك أخيه أبي عنان ثائراً على ابنه الذي تولى الحكم صبياً مستعيناً بملك قشتالة قتل سنة 72 ه. الناصري، الاستقصاء، ج4، ص7-40؛ ابن الخطيب، خطرة الطيف، ص14.

(9) عنان، لسان الدين حياته وتراثه الفكري، ص55.

(10) الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، 4، ص9.

ممن حوله ووشاية ولاسيما من القاضي النباهي فهرب إلى المغرب ومن ثم تم القبض عليه بتهمة الإلحاد والزندقة[1].

ولاقى ابن زمرك المصير نفسه في عهد السلطان يوسف الثاني (793-797هـ /1391-1394م)، إذ سجن بالمرية جراء أحداث سياسية وبقي في السجن فترة من الزمن[2]، ثم نجح في استعطاف سلطانهُ الغني بالله الذي أعادهُ إلى منصبهُ إلاّ أن الوشاة لم ينفكوا عن مراقبتهُ والترصد لهُ، إذ عمدوا إلى قتلهُ في بيته مع ابنيه أمام زوجته وبناته[3]، وتعرضت عائشة الحرة نتيجة معارضتها لزوجها السلطان أبا الحسن علي وصراعها ضد ضرتها إلى السجن مع ولديها وشدد عليهم في الحراسة إلاّ أنها تمكنت من الفرار بمساعدة بني السراج متجهه إلى وادي آش (888هـ /1483م) الأمر الذي اجبر والدهم على الهرب إلى مالقه مثوى أخوه محمد الزغل.[4]

لقد عانى بعض العلماء أبشع التجاوزات على حقوقهم، تعود هذه التجاوزات إلى طبيعة السلطان وعلاقتهم به وطريقة تعامله مع الرعية، إذ سجن محمد بن أحمد بن فرج بن شقرال اللخمي[5] نتيجة خلاف بينه وبين أحد الوزراء وكان قد حظي بمكانة رفيعة[6] عند الوزير المحروق، إذ تعامل معه معاملة حسنة وقام بصرف المرتبات عليه إلاّ أن الخصومة والكراهية دبت بينهم فاعتقله ونفاه إلى العدوة المغربية، وقد تعود أسباب السجن أحياناً إلى الغيرة والحسد، إذ سُجِن أبا جعفر بن عبد الملك بن سعدي العنسي[7] بسبب حبه للشاعرة حفصة[8] التي أحبها سلطان مملكة غرناطة في الوقت نفسه، أودعه في السجن ومات فيه[9].

أبو حيان الغرناطي[10] فتعرض للنفي (745هـ /1344م) حين صدرت الأوامر بحقه بسبب خلاف علمي ورحل بسببه إلى مصر، وممن تعرض لعقوبة السجن من السلاطين الأمير أبي الحجاج يوسف الثالث (820هـ / 1417م)، إذ نفي عن وطنه لأسباب سياسية على يد أخيه محمد بن يوسف الغني بالله (811-820هـ / 1414-1417م) حينما استولى على عرش والدهُ وزج بأخيه يوسف الثالث في سجن شلوبانية[11][12].

---

(1) الناصري، الاستقصاء، ج4، ص60.
(2) المقري، نفح الطيب، ج7، ص245.
(3) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص165.
(4) الشمري، دراسات في تاريخ الأندلس، ص63-64.
(5) محمد بن أحمد بن شقرال اللخمي: يكنى أبي عبد الله شرقي الأصل من سكان غرناطة عرف بالطرسوني من الفقهاء والمقرؤون بارع الخط سخي النفس حسن الفكاهة. للمزيد ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص14.
(6) رمضان، محن العلماء في عصر بني النصر، (635-897ه)، ص425.
(7) هو أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد من سلالة عمار بن ياسر نزل أسلافه إقليم غرناطة كلف بفتاة شاعرة ذات حسن وجمال وهي حفصة. للمزيد ينظر: شوقي ضيف، عصر الدول والأمارات في الأندلس، ص288-290.
(8) حفصة الركونية ولدت سنة (530ه/1135م) اهتم بها أبوها فنشأت مثقفة، قال فيها ابن الخطيب: أديبة أو أنها شاعرة زمانها فريدة الزمان في الحسن والظرف والأدب واللوذعية) توفيت في مراكش سنة 586. للمزيد ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص278.
(9) المراكشي، المغرب، ج2، ص85.
(10) أبو حيان الغرناطي: العلامة محمد بن يوسف بن حيان أشثير الدين الغرناطي الأندلسي الحياني النغزي ولد بمطخشارش وهي مدينة من حضرة غرناطة عام (654ه/1344م) فقيه ظاهري. للمزيد ينظر: العسقلاني، ا الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ج4، ص304.
(11) شلوبانيه، حصن بالأندلس من أعمال كورة البيرة على شاطئ البحث كثير الموز. للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص36.
(12) الشمري، دراسة في تاريخ والأندلس، ص35-36.

وفي الختام نقول لقد عانى السجناء في مملكة غرناطة هول السجن والتعذيب وانتهكت حقوق الإنسان فيها، إذ زُجَّ في السجن العديد من الأشخاص بسبب الحسد والوشاية، وكانت الخلافات والفتن والكراهية هي الأسباب الأقوى في سجن العديد من الأفراد، إذ تعرضوا للظلم والجور وسلبت حقوقهم في وطنهم الجريح.

المبحث الخامس

الحقوق العلمية والفكرية في مملكة غرناطة

ضمن القرآن الكريم حق التعليم وعدّه ضرورة من ضرورات الحياة، بل هو واجب على كل إنسان وفرضت آيات التعليم في القرآن الكريم، وجعلته فرضاً محتماً، وقد وردت آيات في القرآن وبلغت أكثر من أربعين آية، منها ذكرت العلم بصيغة صريحة، ومنها جاءت بتصريفاته كالتفكير والتدبر، والتبصر وغيرها، ولو تفحصنا لوجدنا أنها تخص الإنسان حصراً كمنهج وواجب، قال تعالى: ﴿ **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ** ﴾[1]، وأكد القرآن الكريم والسنة النبوية على حق التعلم بِعَدّه واحداً من الحقوق التي تحفظ للإنسان حقوقه، وأعظمها حق الحياة نفسها ومعرفة خالقها، قال النبي (ﷺ) : "إذا مات ابنُ آدمَ انقطع عملُه إلاّ من ثلاثٍ : صدقةٍ جاريةٍ، وعلمٍ ينتفعُ به، وولدٍ صالحٍ يدعو له"[2].

***مكانة التعليم عند الغرناطيون**

أشار القرآن الكريم في آيات عدة إلى مكانة العلم والعلماء ودوره في الحياة العامة، قال تعالى: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإنسان مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإنسان مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ [3].

اهتم الأندلسيون عامة وأهل مملكة غرناطة خاصة بالعلم والعلماء وأكرموا أهله وله مكانة سامية عالية عندهم والدليل على ذلك أصبح لديهم لقب الفقيه من الألقاب المرموقة، حيث لقب به ثاني ملوكهم وهو محمد الفقيه (671-701ه)، وحق التعليم في مملكة غرناطة شملَّ العامة والخاصة[4].

وذكر ابن خلدون الأندلسيين بالقول "بأن لهم ذكاء العقول وخفة الأجسام وقبول التعليم ما لا يوجد عند غيرهم"[5].

أولاً- حق انشاء المؤسسات العلمية

المسجد هو مكان ديني لإقامة الصلاة والعبادة ثم فيما بعد أصبح مكان للتعلم في مملكة غرناطة ، وأولى العرب الفاتحون عناية كبيرة به لما له من قدسية لديهم إضافة إلى العبادة فهو المكان الذي يتلقى فيه طلبة العلم معارفهم، وكانوا يدفعون مقابل ذلك أجور معلومة، إذ لم تكن المدارس معروفة لديهم، وبهذا قال المقري " ليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم،

---

[1] سورة البقرة، الآية: 129.
[2] صحيح مسلم، حديث 1631.
[3] سورة العلق، الآية: 1-5.
[4] المقري، نفح الطيب، ج1، ص206.
[5] ابن خلدون، المقدمة، ص88.

بل يقرؤن جميع العلوم في المساجد"[1]، وكان أهل مملكة غرناطة قدوة لإرضاء الله تعالى في أداء واجبهم العلمي المنبثق من عقيدتهم الإسلامية التي التزموا بها[2]، وكان التعليم يتم على شكل حلقات دراسية، إذ يجلس الطلبة على شكل حلقة ويقرأ عليهم الشيوخ مختلف العلوم، ومثال ذلك الشيخ أبو عبد الله القيطاجي[3] الذي جلس في مسجد غرناطة الأعظم ليدرس الفقه والأدب[4]، وكذلك عبد الله بن محمد بن محمد العبدري[5] الذي يقرأ الحديث في المسجد[6].

اصُبح المسجد مركزاً يتلقى فيه الطلبة علومهم المختلفة، ومن بين أهم هذه المساجد جامع غرناطة الذي خصصت لهُ الأوقاف، إذ أسهمت في توسعتهُ ووزعت كذلك على المؤذنين والفقراء والراغبين في العلم والهبات والهدايا، إذ عمل السلاطين على التبرع بأموالهم من أجل الفائدة والاستزادة في طلب العلم، فبُنِيت العديد من المساجد وعمرت أخرى، ومثال ذلك ما قام به محمد بن عبد الرحمن الكاتب[7]، الذي قام بتشييد مسجد دار القضاء من مالهُ الخاص، وفي القرى الصغيرة كان يقوم بتعليم الصبية المُكتَّبْ[8] والمؤدب الذي يجلس ليعلمهم القراءة والكتابة والخط ثم تحفيظ القرآن الكريم، وكانت الطريقة المتبعة هي طريقة الترديد، إذ يقرأ المُكتب أو المؤدب ويقوم الطفل بالترديد إلى أن يتم الحفظ[9].

والقرآن الكريم في الكتاتيب[10] هو أساس التعليم، وحسن الخط من الضروريات التي يجب توافرها للطلبة والمعلمين[11]، ومن حق الطلبة على المؤدب أن يتصف بصفات، وهي أن يكون شيخاً ورعاً عفيفاً متديناً قليل الكلام ولا يترك الصبية ولا يفل عنهم إلاّ لضرورة[12]، ولهُ أيضاً أن يعاقب تلاميذه إذا قصروا في أداء الواجب أو قيامهم بعمل يستحق العقوبة، وكانت عقوبة التأديب هي العقوبة المتبعة آنذاك[13].

---

(1) المقري، نفح الطيب، ج1، ص220.
(2) الحجي، دراسة الظاهرة، ص63.
(3) أبو عبد الله القيطاجي: هو علي بن عمر بن إبراهيم بن عبد الله ورد غرناطة (712 هـ) وقعد بمسجدها يُقرئ فنوناً من العلم ولي الخطبة وناب عن بعض القضاة بالحضرة وقصده الناس وأخذ عنه القريب والبعيد، وكان أديباً لوذعياً فكهاً حلواً مولده 650ه توفى (730ه) وكانت جنازته عظيمة حضرها السلطان وحمل الطلبة نعشه. للمزيد ينظر: الإحاطة، ج4، ص104-107، نفح الطيب، ج5، ص507.
(4) الفقه: هو العلم الذي يدرس الأدلة الشرعية التي تؤخذ منها الأحكام الفقهية، وهو العلم بالأحكام الشرعية في أدلته التفصيلية. للمزيد ينظر: موافي، من الفقه الجنائي المقارن، ص6.
(5) عبد الله العبدري: صاحب الرحلة المعروفة باسمه أصله من بلنسية ونسبه إلى بني عبد الدار من سكان بلدة حاجة في المغرب توجه منها حاجاً سنة (688ه) ثم دخل باجة وتونس والقيروان، ولا تذكر المصادر سنة لوفاته، الزركلي، الأعلام، ج7، ص31-33.
(6) المقري، نفح الطيب، ج1، ص205 ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص69.
(7) يكنى بأبي عبد الله من أهل غرناطة، أصله من وادي اش، كان طالباً نبيهاً كاتباً جليلاً، جيد الكتابة، اختص بكتابة كتب عن انباء الخليفة أبي يعقوب، وكان ذا معرفة بالعدد والمساحة. للمزيد ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص159-160.
(8) المُكتب: هو الشخص الذي يقوم بتعليم الصبية الكتابة. للمزيد ينظر: تاج العروس، مادة (كتب)، ج4، ص103.
(9) الأهوائي، التربية في الإسلام، ص65.
(10) الكتاتيب: هي المكان الذي يدرس فيه الأطفال. للمزيد ينظر: ابن الخطيب: الإحاطة، ج2، ص386.
(11) ابن الخطيب، الإحاطة، الإسكوربال، لوحة 25.
(12) ابن عبدون، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة، ص35 ؛ الطوخي، مظاهر الحضارة، ص318.
(13) ابن عبدون، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة، ص35.

ومن الحقوق التي حصل عليها المتعلمين في مملكة غرناطة، هي جدولة الدراسة، إذ تكتب لائحة بأسماء الكتب والشيخ الذي يقوم بتدريسها[1] وهذا يدل على مدى تمتع الطالب الغرناطي بحقه في اختيار الدروس والعلوم التي يختارها للدراسة، إذ انه لم يكن مقيداً بأخذ الدروس التي لا يرغب بدراستها، بل يختار ما يطمح لهُ من دروس، وكذا الحال بالنسبة للشيخ، إذ كان لهُ الحق في اختيار الشيخ الذي يرتاح لهُ والقادر على إيصال المادة العلمية بسهولة ويسر، وبالنسبة لعدد الطلبة في الحلقة الدراسية فغير معلوم ومختلف تبعاً لشخصية وكفاءة الشيخ وقدرته في إيصال المعلومة، أي المادة العلمية للطلبة وعلى الطلبة الجلوس بمكان أدنى من الشيخ، وذلك ليتمكن من رؤيتهم وسماعهم جميعاً[2]، مع وقت الدرس، وشاع أيضاً في المملكة ما يعرف بالدروس الخاصة إلاّ انها خصت علية القوم كأولاد السلاطين والوزراء والحاشية، ولم يكن لأبناء العامة نصيباً منها، فيذكر أن الخطيب استدعى سعيد بن محمد الغساني[3] لتأديب ولده في المنزل، وعلى يد رضوان الحاجب تأدب أولاد يوسف الأول، أما أولاد إسماعيل الثاني فقد تأدبوا على يد عباد الذي كان من الأرقاء النصارى، أما عبد الله الشريشي فقد استدعاهُ محمد الخامس لتأديب أولاده[4].

ولم تكن المرحلة الأولى للتعليم الخاصة تختلف عن ما يدرس للعامة، إذ ان التعليم قائم على التحفيظ أي تحفيظ القرآن الكريم وتعلم القراءة والكتابة، إلاّ أن الاختلاف يكون في اختيار المعلمين الإكفاء لأبنائهم ناهيك عن اهتمامهم بتعليم أولادهم فنون الفروسية والقيادة، وكان مكان تعليم أبناء السلاطين يتم في قصورهم، إذ وجدت أماكن خاصة لتعليمهم أو يتم ذلك في المكتبة التابعة للقصر الملكي[5]، وفي مملكة بني الأحمر تمتع العالم عتيق بن باف الجهنمي[6] الغرناطي (732 هـ / 1332م) بمكانة سامية عند السلطان أبي الجيوش نصر (708-713هـ / 1309-1341م)، إذ تولى تعليم كل من كان في دار السلطان من أولاد المماليك[7]، ومن الجدير بالذكر ان السلاطين كانوا يختبرون ما تعلمهُ أبنائهم على يد مؤدبيهم[8].

وفي مملكة غرناطة كانت الكتاتيب إلى جانب المساجد وفي بدايتها كانت ملحقة بالمسجد؛ ونتيجة الفتوحات الإسلامية وكثرة عدد الولدان، ولأمور تتعلق بالطهارة والنجاسة أصبح هذا المكان مستقلاً عن المسجد، وإن أهمية الكتاتيب تأتي من كونها غير محددة بفئة معينة[9]، يمضي الطالب في الكتاتيب من (5-6) سنوات ويكون التحاقه بالمسجد في السنة الحادية عشر إلى الثالثة

---

(1) الطوخي، مظاهر الحضارة ؛ فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص135.
(2) السمعاني، أدب الإملاء والاستملاء، ص50.
(3) سعيد بن محمد الغساني: من أهل غرناطة، من أهل الذكاء والمعرفة والإدراك حسن الخط ينظم الشعر من شيوخه الخطيب أبي اقاسم بن جزي هاجر إلى العدوة التقى بفاس بأبي إسحاق السيلاوي وأبي العباس أحمد عبد الرحمن المكناسي من أهل فاس. للمزيد ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص273؛ الطوخي، مظاهر الحضارة، ص318.
(4) فرحات، غرناطة، ص134.
(5) عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، ص483.
(6) ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص76.
(7) تقي الدين، غرناطة في عصر بني الأحمر الحياة العلمية والثقافية، ص14.
(8) عتيق بن باق الجهنمي: الغرناطي أبو جعفر قرأ على أبي جعفر بن الزبير كان عارفاً بالقراءات طيب النغمة. للمزيد ينظر: العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ج1، ص232.
(9) السقطي، كتاب في آداب الحسبة، ص68 ؛ ابن عبدون، رسالة في الحسبة، ص24.

عشر من العمر، والعمر وحده لا يكفي لذلك، إذ أن مستوى قدراته على استيعاب العلوم ورغبته في الاستزادة من العلم ودور عائلته في تشجيعه لها دور أيضاً في تعليمه[1].

أشار ابن خلدون إلى أن طريقة تعلم الصبية في مملكة غرناطة هي طريقة تعلم بمحاكاة الخط في كتابة الكلمات جملة، ويجب أن تحصل الإجادة ويكون ذلك بأشراف المعلم ويسمى الطالب حينها مجيداً، وهذه الطريقة معروفة اليوم باسم طريقة الجشتالت[2]، وهي أمثل طريقة تربوية اتبعها الأندلسيون منذ أقدم العهود، فالواقع أن الكلمة لها مدلول في ذهن الطفل أما الحرف فليس له مدلول والعقل الإنساني ينتقل بطبيعته من إدراك الكل إلى الأجزاء[3]، ومن الحقوق التي نالها طلبة العلم في مملكة غرناطة الحرية في اختيار الشيخ الذي يأخذ منه العلم، وكذلك له الحرية في اختيار العلوم التي يتلقاها[4]، الأمر الذي يجعل طالب العلم ينتقل بين حلقات التدريس ليستقي ما يرغب به من علوم، ومثال ذلك أحمد بن الحسن الكلاعي المشهور بالزيات (728ه/1328م) الحاصل على الرئاسة في التجويد والبراعة في العربية والفقه والأدب والعروض وحفظ التفسير[5] ومنهم أيضاً إبراهيم بن إبراهيم النفزي[6]، كان فقيهاً نحوياً حافظاً ماهراً تلقى علومه من التنقل بين حلقات شيوخ عصره، وهذا ما جعلهم يتصفون بالموسوعة العلمية[7].

أما شيخ التعليم أو المعلم فيحق له التنقل من مسجد لآخر ومن مدينة لأخرى للتدريس، ومثال ذلك الشيخ محمد الجذامي[8] (ت723ه/ 1323م) الذي تنقل للتدريس في أكثر من مدينة، حيث درس في شريش ثم الجزيرة الخضراء[9] وأمضى فيها زمناً ثم انتقل إلى سبتة[10] بعد ذلك عاد إلى مملكة غرناطة ومنها ذهب إلى مالقة حيث كانت له الصدارة فيها للإقراء[11].

وللشيوخ الحق في اختيار المكان الذي يدرسون فيه، وكان بعضهم يستمتع بمكانٍ ثابتٍ وبعضهم الآخر ينتقل من مكان إلى آخر يدرس المادة التي يرى انه كفٌ فيها وقادرٌ على اجادتها

---

(1) حسين، التاريخ السياسي في عهد المرابطين والموحدين، ص120.

(2) الجشتالت: هي كلمة ألمانية تشير إلى مفهوم الكل أو النمط المنظم لمجموعة من الأجزاء، فهي بمثابة كل ينطوي على أجزاء مترابطة لكل جزء دوره ووظيفته التي يؤديها بهذا الكل، وهي من نظريات التعلم التربوية مؤسسها ماكس فرتيمر. للمزيد ينظر: حريزي رؤية عن نظرية الاستبصار عند ابن خلدون والجشطالت، مصر، ص16-50.

(3) المقدمة، ج3، ص950-951.

(4) شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، ص326.

(5) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص287-296.

(6) إبراهيم بن إبراهيم النغزي: غرناطي يكنى أبي إسحاق خاتمة الرجال بالأندلس أخذ القراءات عن الخطيب أبي عبد الله الخصرمي وأبي الكرم، جودي بن عبد الرحمن والحديث عن أبي الحسن على بن عمر الواد آشي وأبي محمد، سليمان بن حوط الله والنحو واللغة عن بن يربوع وغيره، ألف في طريقة التصوف وغيرها تصانيف مفيدة منها مواهب العقول وحقائق النقول، توفى 792ه ودفن داخل باب الفتوح بكدية البراطيل. للمزيد ينظر: مخلوف، شجرة النور، ج1، ص238.

(7) ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص91-92

(8) محمد الجذامي: يكنى بأبي بكر ولد في أركش في مالقة بلغ من العلم غايته الأمر الذي جعل السلطان يعقد له مجلس للنظر في شؤون الناس، وقد بلغ مكانة عظيمة بين الرعية للمزيد ينظر: ابن فرحون، الديباج، ج2، ص288.

(9) الجزيرة الخضراء: مدينة أمام الأندلس من برا الأندلس الجنوبي أعاد المسلمون تأسيسها عند الفتح عام (95ه/713م) وهي مشرفة بسورها على البحر. للمزيد ينظر: خطاب، الأندلس وما جاورها، ص85.

(10) سبتة: مدينة عظيمة من الخليج الرومي المعروف (بالزقاق) وهو أول البحر الشامي المنتهي إلى مدينة صور من أرض الشام، وهي تقابل الجزيرة الخضراء وسبتة سبعة جبال صغار متصلة ببعضها البعض للمزيد ينظر: الحميري: الروض، ص303.

(11) ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص92

ويقوم المدرس بتدريس مواد عدّة لتلميذ واحد، لذا تنشا بينهم علاقة حب وود في الدرس وبعيداً عنه[1]، ومن الحقوق التي نالها طلبة العلم في مملكة غرناطة عدم تحديد بدء العام الدراسي وانتهائه، إذ إن الأستاذ يستمر في تعليم طلابهُ إلى أن يستوعبوا مادته العلمية[2]، أما بالنسبة لسن التقاعد للشيوخ والمدرسين فلا يصدر أمر أو قرار وزاري بذلك، ولا يتم ذلك بناءً على طلب صاحبهُ، انما يُحدد ذلك من قبل الطلبة حينما يلحظون عليه تراجع صفاءهُ العقلي، فاذا غاب ذلك انسحبوا بهدوء إلى أستاذ آخر يجدون فيه ما يرغبون من علم[3]، ومن حق المتعلم أيضاً ان يصبح من كبار الشيوخ، إذ لا توجد نقطة توقف أو انتهاء، وتتماز المرحلة بطول مدة التعليم حتى الحصول على الإجازة[4].

أمّا ما يخص أجور الدراسة فتكون على نفقة المتعلم وفي بعض الأحيان تخصص لهم الجرايات، فقد خصصت للبعض منهم جرايات من احباس مملكة غرناطة، ومثال ذلك ما خصص للشيخ محمد بن بيبش[5]، ومحمد بن أحمد بن شقرال اللخمي[6]، وكان بعضهم يُدرس ويمنح الاجازات دون أجور، أمثال محمد بن علي الخولاي المعروف بابن الفخار[7].

وللمسجد أهمية بالغة ليس عند السلاطين والحكام فقط، بل شمل اهتمام ذو العلم والمعرفة، إذ أسهموا في بناء عدد من المساجد، ومثالنا على ذلك المسجد الذي بناه أبي العاص حكم بن أحمد بن رجا الأنصاري من قراء مملكة غرناطة وبنهائها[8]، ومحمد بن محمد بن الحاج البلفيقي[9]، الذي قيل عنه أنه قام ببناء ثمانية عشر جباً وعشرين مسجداً من ماله الخاص[10]، كان المسجد مركز الحياة السياسية والعلمية والدينية فهو مكان مقدس، يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿ **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ**﴾ [11].

وقال (ﷻ): ﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ** ﴾[12]، وهو مكان اجتماع العلماء والفقهاء والصلحاء فبوساطته ظهرت الدراسات

---

(1) ريبيرا، التربية الإسلامية، ص101.
(2) المصدر نفسه، ص106.
(3) ريبيرا، التربية الإسلامية، ص95.
(4) عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، ص486.
(5) محمد بن بيبش: محمد بن محمد بن محمد بن بيبش العبدري، من أهل غرناطة يكنى بأبي عبد الله خيراً، مضطلعاً بالعربية، مشاركاً في الطب متعيشاً مع التجارة في الكتب. للمزيد ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص16؛ الكتيبة الكامنة، ص90.
(6) محمد بن علي الخولاني: يكنى بأبي عبد الله أصله من مجلقر ويعرف بابن الفخار وبالبيري. للمزيد ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص22.
(7) حكم بن احمد: من أهل غرناطة ومن قرائها وبنهائها واليه ينسب مسجد أبي العاص، وحمام أبي العاص. للمزيد ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص271.
(8) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص493.
(9) محمد بن محمد البلفيقي (ت771ه): هو محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن خلف بن محمد بن سليمان بن سوار الممكنى بابي البركات البلفيقي ابن الحاج البلفيقي شاعر وعالم وخطيب من مشايخ ابن الخطيب. للمزيد ينظر: المقري، النفح الطيب، ج5، ص471.
(10) المقري، نفح الطيب، ج5، ص474-475، وهو من بيت كبير علماً وصلاحاً وزهداً من تواليفه (المؤتمن على أبناء الزمن) توفى في شوال (771ه).
(11) سورة التوبة، الآية: 18.
(12) سورة النور، الآية: 36.

اللغوية والنحوية والقراءات القرآنية وأصول الفقه[1]، ويرى منه التعليم بكل قدسية، إذ يشعر المعلم والمتعلم بالتجرد وحسن النية، ومن أولى المساجد التي بني في الأندلس مسجد الرايات الذي بناه موسى بن نصير في الجزيرة الخضراء.[2]

موسى بن نصير وقام سلاطين بني الأحمر في مملكة غرناطة ببناء مسجدين جامعين، الأول في قصبة غرناطة، والثاني في قلعة الحمراء الذي اصبح مركزاً علمياً هاماً إلى جانب المسجد الجامع بمملكة غرناطة[3]، ومن المساجد الأخرى في غرناطة، جامع باب الفخارين ومسجد ابن عذرة[4]، وكانت المساجد مسجد العتيق ومسجد زاهر، ومسجد لكش وجامع الجوف، ومسجد ششون، ومسجد التائبين، ومعبد الجوزة، ومسجد أبي العاص، ومسجد ابن سحنون، ان كثرة في عدد المساجد وعدم تدخل الدولة في التعليم جعلتهُ خاضعاً لمبادرات وروى فردية وعدم تخصيص الاحباس الخاصة للطلبة أسهم في تأخر ظهور المدارس[5].

ومن الأسماء التي لمعت وذاع صيتها هو الشيخ أبا الحسن علي بن عمر الكناني (730ه/1330م)، وكان عالم زمانه علماً وتفنناً وتواضعاً جلس بمسجد غرناطة يقرئ فنوناً من العلم، قراءات وفقه وعربية وأدب، يقول ابن الخطيب "هو أول أستاذ قرأت عليه القرآن والعربية والأدب أثر قراءة المُكتب" [6].

خَرّجت مساجد غرناطة كوكبة من العلماء، كانوا موسوعات علمية لبراعتهم في شتى العلوم، وهذا يدل على مدى اهتمام سلاطينها بهذا الجانب عرفاناً منهم بالدور الكبير الذي يؤديه المسجد في كل المجالات العلمية والدينية والثقافية[7].

ثانياً- أهم المدارس:

إن أول المدارس التي أنشئت في مملكة غرناطة في عهد بني الأحمر، هي المدرسة اليوسفية[8] نسبة إلى مؤسسها أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج عام (750ه/1349م)، وكان هذا بتشجيع من صاحبه أبو النعيم رضوان، وإن ما حمل أبو الحجاج على إنشائها هو حبه للعلم وشغفه به فقد كان أديباً عالماً وقد احتشد الكثير من العلماء والفقهاء والكتاب والأدباء للتدريس فيها، ونظم فيها أبو الحسن الجياب بعض الأبيات:

يــا طالــب العلــم هــذا بابــه فتحــاً
فأدخـل تشــاهد ســناه لاح شــمس ضــحى[9]

ذكر ابن الخطيب موضحاً دوره في بنائها " أحدث المدرسة بمملكة غرناطة، ولم تكن بها بعد، وسبب إليها الفوائد ووقف عليها الرباع المغلة وانفرد بمنقبها، فجاءت نسيج وحدها بهجة

---

(1) حسين ، المسجد، المعهد الأول للتعليم في الإسلام، مجلة كلية الآداب، 224، جامعة الإسكندرية، مصر، 1388ه - 1968م، ص35 ؛ الروض، ص517 ؛ الإدريسي، ص200،
(2) سعد معاهد التربية الإسلامية، ص112.
(3) عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، ص488.
(4) ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص68-69؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص300.
(5) احسان ، التعليم في الأندلس، ج1، ص56.
(6) الإحاطة، ج3، ص60-61.
(7) بو حسون، الأندلس في عهد بني الأحمر، دراسة تاريخية وحضارية، ص125.
(8) المدرسة اليوسفية: موقعها في الجزء الغربي من مدينة غرناطة، وتفتح أبوابها على رحاب المسجد الأعظم في غرناطة. للمزيد ينظر: عنان، نهاية الأندلس، ص139.
(9) المقري، نفح الطيب، ج5، ص457 - 458.

وصدور وفخامة وجلب الماء إليها من النهر بكثرةٍ"، إذ أمنت المدرسة اليوسفية الإنفاق على المعلمين والمتعلمين[1]، ومن أسمائها أيضاً المدرسة النصرية، ويرجع هذا إلى بني النصر المؤسسين، ومدرسة غرناطة نسبة إلى موقعها الذي بنيت فيه، إذ أقبل للدراسة فيها طلبة من مملكة قشتالة وباقي الدول الأجنبية، وذلك نظراً للسمعة العلمية التي حظيت بها المدرسة، ويزداد هذا في المراحل التي تعقد فيها معاهدات السلم وتتوطد العلاقة بينهما، ويعود هؤلاء الطلبة ومعهم كتبهم العلمية، إذ تركت تأثيراً على أساليب التعليم في أوربا باعتراف الأوربيون أنفسهم[2].

وعدت مركزاً ثقافيا في الغرب الإسلامي وليس في مملكة غرناطة فقط[3] واوقف عليها الحاجب رضوان بأمر من السلطان أبي الحجاج يوسف الأول الأوقاف الجليلة حتى أصبحت من افخم المدارس[4]، إذ اهتمت بتدريس العديد من العلوم، ولم تعد قاصرة على تدريس العلوم الدينية واللسانية وأصبحت مكاناً لتعليم العديد من مختلف مناطق مملكة غرناطة[5]، ولم يكن التدريس في المدرسة النصرية مقتصراً على علماء مملكة غرناطة بل كان لعلماء المغرب دور فيها ومثال ذلك، العالم ابن مرزوق المعروف بالخطيب[6] الذي هرب من تلسمان بسبب أحداث أدت إلى سجنه فاستقبله السلطان الغرناطي أبو الحجاج يوسف الأول احسن استقبال، وقلدهُ خطبة جامع الحمراء، ومن المنشآت العلمية الأخرى التي كان لها دور كبير في النشاط التعليمي في مملكة غرناطة المنشآت والاسبنة الصوفية المتمثلة بالأربطة والزوايا، مثل الزاوية في حي احنشارش في مملكة غرناطة في عهد لسان الدين بن الخطيب، وكان شيخ هذه الزاوية العلامة الصوفي أبو عبد الله، وعُدت المدرسة اليوسفية أهم مشروع لأبي الحجاج وحاشيته، إذ أن الحجاج أنشأها مقلداً المدارس الشهيرة على الشاطئ الآخر من مضيق جبل طارق ومختلفة عن ما موجود في الأندلس في مجال التعليم[7]، كان موقع المدرسة قريباً من المسجد الجامع، وأصبحت المدرسة اليوسفية قبلة للطلبة من الأندلس والمغرب وبلاد النصارى، وبقي نورها يشع إلى آخر العهود الإسلامية[8].

وقد عُرِف الغرناطيين برعايتهم للعلماء والأدباء وتقريبهم لهم، فكان محمد بن الأحمر يستقبل الشعراء ويجزل لهم العطاء، وكان السلاطين هم من يعينون المدرسين في المدرسة، أما ثاني ملوك مملكة غرناطة فهو السلطان محمد الفقيه (671 – 701هـ / 1272 – 1302م) فقد كان عالماً محباً شغوفاً لمجالس العلم والعلماء، لا يبخل في تكريمهم وتقريبهم لبلاطه، أمثال محمد بن أحمد الرقوطي المرسي، النابغ في الهندسة والمنطق والحساب والفلسفة كان يقرئ الناس بألسنتهم ماهراً في معرفة اللغات ومحمد بن إبراهيم بن محمد الأوسي[9] (ت715ه/ 1315م)

---

(1) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص508 – 509.
(2) ذنون، دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها، ص200 – 213.
(3) عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، ص491.
(4) ابن الخطيب، كناسة الدكان، ص156؛ الإحاطة، ص509.
(5) فرحات، غرناطة، ص159.
(6) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص267-269.
(7) عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص161.
(8) الشافعي، الكتب والمكتبات، ص32.
(9) محمد بن إبراهيم بن محمد الأوسي: قال عنه ابن الخطيب أنه فريد دهره انتفع به الناس لحله المشكلات دوّن في الحساب والهيئة والطب تأليف عدة توفى (715ه). للمزيد ينظر: باشا، إعلام المهندسين في الإسلام، ص40.

الذي كان عالماً في الحساب، وله كتاب الحيوان والخواص، وعُرِف ثالث ملوك بني الأحمر وهو (المخلوع) (701-708هـ /1302-1308م) مقدار قيمة العلماء، فكان لا يختلف عن سابقيه في تقريبهم وإكرام العلماء والفقهاء حيث يصفه ابن الخطيب بأنه أفضل أهل بيته، وذلك لأنه عرف مقدار العلماء[1].

أما محمد الرابع (725 – 733هـ / 1324 – 1333م) الذي اعتلى عرش الحكم بعد وفاة والده فقد ذكرنا كيف تجمع الفقهاء والعلماء والصلحاء والفضلاء لبيعته، وهذا يدل على مدى الاحترام والتقدير المتبادل فيما بينهم[2]، إذ كان محباً للأدب ويرتاح إلى الشعراء[3].

ولم يقتصر دورهم على التشجيع والهبات، بل أنهم أولوا الثقافة والعلم والأدب منازل عليا ومقدسة باستثناء بعضهم ممن اتصف بصفات سيئة كالجبروت والتسلط والظلم وحب التملك، أمثال محمد السابع (820 – 858هـ / 1417 – 1454م) الذي كان قاسياً صارماً قليل الاهتمام بالرعية[4].

ومن الحقوق التي حصل عليها العلماء في مملكة غرناطة هو الحق في انشاء المكتبات الخاصة فُعدّت رافداً آخر من روافد الحركة العلمية، إذ انتشرت بين مختلف علماء مملكة غرناطة، وكان لعامل التأليف دورٌ بارزٌ في دعم مكانها، إذ كان من حق العلماء اقتناء أكبر عدد ممكن من الكتب، والى جانب المنشات الآنفة الذكر كان للغرناطيين الحق في انشاء المكتبات، إذ كان لها دور كبير وهامٌ في نشر الثقافة، فصارت مملكة غرناطة الملاذ الآمن الوحيد لمعظم العلماء والساسة؛ ونتيجة لذلك ازداد عددها وفيها التقى ما هو أصيل بما هو وافر مع المهاجرين[5]، وقد ضمت المدرسة النصرية التي أنشئت في عهد السلطان أبي الحجاج يوسف مكتبة مهمة، إذ كان المدرسين يضعون كتبهم فيها ومثال ذلك ما ورد في كتاب الشاطبي "الافادات والإنشاءات" كنت سائراً مع بعض الاصحاب، إذ لقينا شيخنا الأستاذ المشاور أبا سعيد بن لب أكرمه الله بقرب المدرسة فسرنا معه إلى بابها ثم أردنا الانصراف فدعانا إلى الدخول معهُ إلى المدرسة، وقال: أردت أن أطلعكم على بعض مستنداتي في الفتوى"[6]، ويبدو أن العديد من الكتب كانت وقفاً خاصاً لمكتبة المدرسة النصرية، إذ جاء في كتاب ازهاء الرياض ان هناك نسخة من كتاب الإحاطة رائعة الجمال كانت من ضمن أحباس المدرسة اليوسفية، إذ كتبت بخط قاضي الجماعة أبي يحيى بن عاصم[7].

كان السلاطين في مملكة غرناطة يبدعون من أجل إضفاء الطابع العلمي إحياء لذكرى قرطبة[8] الأموية وأملاً منهم في أن تصبح مملكة غرناطة شبيهة بقرطبة في هذا الجانب[1]، إذ

---

(1) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص47.
(2) ابن الخطيب، تاريخ أسبانيا، ص296.
(3) فرحات، غرناطة، ص34.
(4) فرحات، غرناطة، ص44.
(5) ريبير، التربية الإسلامية في الأندلس، ص191.
(6) أبو اسحاق، الشاطبي، الافادات والإنشاءات، ص152.
(7) المقري، أزهار الرياض، ج1، ص55.
(8) قرطبة: هي مركز سلطان المسلمين في الأندلس وكانت مكتظة بالمكان تشتهر بنشاطها التجاري. للمزيد ينظر: مجهول، توفى بعد (372ه/982م)، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ص182.

شملت رعاية سلاطين بني الأحمر العلم والعلماء على الرغم من الظروف السائدة والمتمثلة بالحروب مع النصارى، وكذلك حروبهم الأهلية، حيث بقيت مملكة غرناطة مركز إشعاع علمي طيلة فترة حكم بني الأحمر، وفاخرت مملكة غرناطة بكوكبة من العلماء وفي الميادين كافة، حيث نبغ عدد منهم في الهندسة والطب والفلك والرياضيات، ففي علم الفلك برز أبو يحيى بن رضوان الوادي آشي[2] المتوفى سنة (757ه/1356م)، وازدهرت العلوم الطبية في مملكة غرناطة وحضي الناس بالعناية الصحية سواء من ناحية العلاج أم الدواء، إذ ظهرت أسر تمارس الطب، ومنها الأسرة الشقورية، التي أنجبت واحداً من أشهر أطباء المملكة وهو محمد الشقوري[3].

وألفت المؤلفات في هذا الجانب، ومنها (تحفة المتوسل وراحة المتأمل) لمحمد الشقوري، وكذلك كتاب (تحصل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد) للطبيب والمؤرخ أحمد بن علي ابن محمد بن خاتمة[4]، وكان هذا الكتاب مخصص لوباء الطاعون الذي أصاب المملكة سنة (749ه/1348م)[5].

وعُدَّ ابن الخطيب من مشاهير أطباء المملكة إلاّ أنه لم يبدع في هذا كإبداعه في باقي الأنشطة وعلى الرغم من انشغاله فقد ألف مؤلفين هما (عمل من طلب لمن يحب) إذ أهداه للسلطان المغربي أبو سالم المريني أثناء إقامته بفاس، والثاني (الوصول لحفظ الصحة من الفصول)، وهذا أهداه للسلطان النصري[6]، خص هذا المؤلف الاعتدال في النوم واليقظة والأكل، وكذلك كتاب الأدوية الذي خصصه لطرق معالجة الأعضاء بالعقاقير[7].

إن ما حوته جبال مملكة غرناطة ولاسيما شلير[8] من أعشاب ونباتات أسهمت في توفير المادة الأولية للأدوية، إذ وصفه ابن الخطيب بأنه مستودع للأدوية، فيقول: "وبها العقار والأدوية النباتية والمعدنية ما لا يحتمل ذكره الإيجاز"[9]، وهذه إشارة إلى سبق الغرناطيون بعلم الصيدلة ومعرفة الأعشاب[10].

---

(1) شبانة، الأندلس، دراسة تاريخية حضارية، ص178.

(2) أبو يحيى رضوان الوادي آش: لغوي ورياضي صنف كتاباً في الفلك منها تقاليد المنشور المنظوم في علم النجوم ورسالة في الإسطرلاب الخطي. للمزيد ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، ج1، توفى سنة (757ه/1356م)، ص42.

(3) محمد الشقوري: هو أبو عبد الله محمد بن علي اللضمي الشقوري الأندلسي ولد عام 727ه وتعلم الطب من عدد من الشيوخ منهم جده أبو تمام غالب الشقوري المتوفى (741ه) وأبو زكريا يحيى بن هذيل المتوفى 753ه عرف بعلاجه المرضي مبكراً عاجل سلطان غرناطة يستدعيه ويجعله أحد أطبائه للمزيد ينظر: كعدان، مقدمة كتاب تحفة المتوسل وراحة المتأمل، وسمي بالشقوري نسبة إلى شعوره من أعمال جيان للمزيد ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص349.

(4) أحمد بن خاتمة: أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة، أبو جعفر الأنصاري الأندلسي من مدينة المرية ومن علماء الأندلس الذي ألفوا المؤلفات في الطب والتاريخ. للمزيد ينظر: الزركلي، الأعلام، ج1، ص176.

(5) المناجعة، المجاعات والأوبئة، ص70.

(6) ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج 1، ص37.

(7) المقري، نفح الطيب، ج2، ص611.

(8) جبل شلير: هو جبل الثلج في الأندلس وجبل البيرة متصل بالبحر المتوسط ينتظم بجبل ريه وفيه أضاف من الفواكه العجيبة وطوله يومان وهو في غاية الارتفاع به الثلج صيفاً وشتاءً. للمزيد ينظر: الحميري، الروض المعطار، ج1، ص343.

(9) ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج1، ص96- 98.

(10) القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص209.

ولعلم الصيدلة عندهم أهمية كبيرة وتكمن هذه الأهمية من اتصاله بحياة الناس، فقد كان المحتسب يعطي إجازة للصيدلي لمزاولة مهنته، وذلك للحد من عمليات الغش فيها ومن شروط الإجازة أن يكون عارفاً بالعقاقير المستخدمة في الأدوية[1].

واشتهر في مملكة غرناطة مجموعة من الصيادلة منهم: أبو جعفر أحمد بن محمد الغافقي[2] ومحمد بن إبراهيم الأنصاري[3] (730ه/ 1329م) الذي قال عنه ابن الخطيب: "وله طرقاً في المعرفة بالعشب"، وكذلك السراج الذي وصف بانه ذو معرفة بأنواع الأعشاب الغساني[4].

ومن الجدير بالذكر أن بعض الأساتذة فتحوا بيوتهم للطلبة الدارسين، أمثال محمد الغساني (ت748ه)، إذ كان داره قبلة للعديد من طلبة المناطق البعيدة عن المدينة وهذا ما فتح المجال أمامهم للتعلم حالهم في ذلك حال طلبة المدن، حيث قدم العديد من الطلبة من الحصون والقرى الشرقية للدراسة في داره الواقعة في الحمة[5]، وهي من إقليم المرية، وكذلك محمد بن عبد الله النميري[6] اتصف بالتواضع[7]، وكان الأساتذة قدوة لطلابهم وكثيراً ما يحثون لطلبتهم تربوياً ومثال ذلك محمد بن يحيى الأشعري من علماء القرن الثامن عشر، وقد جسدَّ هؤلاء الأساتذة الفكر التربوي الأندلسي، وكذلك ابن الخطيب الذي حث أبنائه بوصية تضمنت:

1- التذكير بمصير الإنسان وعَبِر الموت.
2- احترام وتنفيذ تعاليم الرسول والتمسك بكتاب الله وشعائره الأساس.
3- الحرص على اكتساب العلوم ولاسيما الشرعية.
4- النهي عن مصاحبة الخائضين في أمور الدنيا والتمسك بالأخلاق الحميدة.

ثالثاً- الحقوق الفكرية:

أما نمط التعليم في مملكة غرناطة فنجدهُ قائماً على تعليم العلوم الدينية، إذ ان حرية العقيدة والمذهب كانت من أولى الحقوق التي حصل عليها الطالب الغرناطي، فدرست علوم الدين وكان القرآن الكريم في مقدمتها قراءة وكتابة، إذ حذت مملكة غرناطة حذو باقي البلدان الإسلامية

---

(1) ابن الخطيب، الإحاطة، مج3، ص180.

(2) أحمد بن محمد الغافقي: أبو جعفر أحمد بن أحمد بن السيد القاضي (ت 651ه / 1165م)، سمي بالغافقي نسبة إلى مدينة غافق شمالي قرطبة، طبيب وصيدلي أندلسي، كان من أعلم رجال عصره بالأدوية المفردة ومنافعها وخواصها. للمزيد ينظر: ابن أبي اصيبعة (أبو السوابع)، عيون الأبناء في طبقات الأطباء، ص500.

(3) محمد بن إبراهيم الأنصاري: من أهل غرناطة ويكنى أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن رويل الأنصاري طلطي الأصل طبيب الدار السلطانية. للمزيد ينظر: ابن الخطيب، ج3، ص123.

(4) ابن الخطيب، الإحاطة، مج 3، ص160.

(5) الحمة: قلعة حصينة شامخة في جزيرة صقلية وهي من أحسن البقاع منها يستحم الناس فيها وفيها أنهار وأودية وبها بساتين ومزارع وأبنية ومتنزهات ومزارع. للمزيد ينظر: الحميري، الروض المعطار، ج1، ص200.

(6) محمد بن عبد الله بن عبد العظيم بن أرقم النميري من أهالي وادي آش وأحد شيوخها، كان بيته معموراً بالعلماء تصدر الفتيا والتدريس توفى سنة (740ه /1340م). للمزيد ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ص62 – 63.

(7) جبران، فنون النثر الأدبي في آثار لسان العرب ؛ ابن الخطيب، الإحاطة،ج1، ص29.

لمّا لهُ من أهمية في ترسيخ الايمان وعقائدهُ، وصار تعليم القرآن الكريم أصل كل تعليم، إذ صار اساساً لتعليم اللغة العربية والنطق والنحو فضلاً عن تعلم شيء من الشعر وتجويد الخط والكتابة، ويكتسب الطالب نتيجة لذلك شيئاً من العربية والشعر والخط والكتابة التي تكون اساساً لهً لتعلم العلوم الأخرى[1]، أي ان الطالب في المرحلةُ الأولى من حقوقه الطبيعية أن يتعلم شيئاً منها، فاهتم المعلمون اهتماماً لمراحل متعاقبة[2]، ومن علماء مملكة غرناطة الذين اشتهروا بتدريس القرآن الكريم، أحمد سعد الغرناطي الأنصاري المشهور بالقزاز (ت 675هـ /1277م)[3]، إذ درس الطلبة الغرناطيون الذائعي الصيت، أمثال أبو حيان وأحمد الجزري الذي درسهُ القراءات السبع ووصفه المقري بانه "اعلم أهل زمانه بهجاء المصحف وضبطهُ"[4].

رابعاً- العلوم الشرعية:

1- علم القراءات:

من الحقوق التي حصل عليها الغرناطيين في مملكة غرناطة، هي الحق في تعلم العلوم الشرعية، وأولها علم القراءات، وأصل من علم الناس القراءات مصعب بن عمير (رض)[5] الذي بعثه الرسول (ﷺ) إلى المدينة ليعلم الناس القرآن الكريم وأبو موسى الأشعري[6] الذي بعثه الرسول (ﷺ) إلى اليمن ليعلم الناس القراءات ويفقههم فيها[7].

وأصبحت هذه القراءات منهاجاً للتابعين من بعدهم، الشيء نفسه وحدث في الأندلس، حيث عنت مملكة غرناطة عناية كبيرة بهذا العلم، وبرز العديد من العلماء في هذا الجانب، أمثال أبو عبد الله محمد بن عبد الولي الرعيني[8] المعروف بالعواد (750ه/1349م) الذي تعلم على يد كبار المقرئين والحفاظ لأبي جعفر بن الزبير الجزيري الضرير[9] الذي كان من شيوخ ابن

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، م3، ص261.

(2) ريبيرا، التربية الإسلامية في الأندلس، ص44.

(3) أحمد بن سعد الغرناطي: المقري أحمد بن سعد بن أحمد بن بشير، أبو جعفر الغرناطي الأنصاري المؤدب. للمزيد ينظر: مجموعة من المؤلفين، الموسوعة الميسرة في تراجم امة التفسير، ج1، ص203.

(4) المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ق1، ص118.

(5) مصعب بن عمير، ابن هشام بن عبد مناف بن عبد الدارين قصي بن كلاب البدري القريشي العبدري قتل يوم أحد وكانت الراية بيده فسلم الراية إلى الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام)، وهو من أول المهاجرين. للمزيد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج1، ص146.

(6) أبو موسى الأشعري: عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب الإمام الكبير صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، التميمي الفقيه المقري) اقرأ أهل البصرة وفقههم في الدين، أمه ضبية بنت وهب أسلمت وماتت في المدينة سنة 42 في الكوفة. للمزيد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص381.

(7) العسقلاني، الإصابة، ج7، ص581.

(8) أبو عبد الله الرعيني: هو محمد بن عبد الولي يكنى أبا عبد الله، من أهل غرناطة الشيخ المكتب الأستاذ الصالح من أعلام القرآن في إتقان تجويده والمعرفة بطرق روايته والاضطلاع بفنونه طلب إلى التصدر للإقراء قرأ على بقية المقرئين ومنهم أبي جعفر بن الزبير ولازمه وانتفع به وأخذ عن الخطيب المحدث أبي عبد الله بن رشيد. ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص21.

(9) أبو جعفر بن الزبير الجزيري الضرير (ت708ه): أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن عاصم بن مسلم العلامة، أبو جعفر الأندلسي الحافظ النحوي ولد سنة (627ه) وهو من خيرة العلماء الثقات المشهود لهم بالثقة والأمانة وهو من أبناء العرب الداخلين إلى الأندلس، ولد في جيان وأقام بمالقة بينه وبين أمير مالقة علاقة صداقة، كان معظماً عند الخاصة والعامة انتهت إليه الرئاسة في العربية ورواية الحديث والتغيير والأصول، توفى سنة (708ه) في مدينة غرناطة. للمزيد ينظر: الزركلي، الإعلام، ج1، ص86 ؛ العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ص40.

الخطيب وخصّهُ بالقول: "هو أستاذي وجاري الألصق لم أتعلم الكتاب العزيز إلاّ في مكتبه رحمه الله"[1].

2- علم التفسير:

وعرّف ابن خلدون علم التفسير بأنه العلم الذي يستند في تعريفه على صنفين تغيير: الأول: نقلي يستند إلى الآثار المنقولة عن السلف ومعرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب نزول ومقاصد الآيات، وهذا لا يعرف إلاّ بالنقل عن الصحابة والتابعين، أما الصنف الثاني من التغيير فيرجع إلى اللسان، لمعرفة اللغة والبلاغة والإعراب في تأدية المعنى[2].

وكان له أهمية بارزة لدى الأندلسيين، ووجد العديد من الفقهاء في مملكة غرناطة، أشهرهم إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، أبو إسحاق الشهير بالشاطبي الذي اشتهر بكونه من كبار المفسرين والفقهاء، إذ وصفه التنكبتي يقوله : "كان أصولياً مفسراً فقهياً محدثاً لغوياً بيانياً نظاراً ثبتاً ورعاً صالحاً زاهداً سنياً" [3].

3- علم الحديث:

اشتهر العديد من الأندلسيين، وازدهرت باقي العلوم في ظل حرية العقيدة، فاشتهر علم الحديث، وترجع شهرته إلى أنه المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، واشتهر هذا العلم وتعددت أسانيده وبرز العديد من العلماء، وكان أشهرهم أبو العباس أحمد القرشي الغرناطي[4] (ت 692ه/1239م) الذي رحل إلى المغرب واستقر في بجاية[5]، عينه السلطان المغربي أبو زكريا للتدريس في المدرسة المعرضية التي بناها سنة 683ه، ومن علماء الحديث علي بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن أبي بكر بن رزين المرسي (ت 692ه/1293م) كان من كوكبة علماء الحديث الذين رحلوا من الأندلس إلى المغرب بعد سقوط مرسيه تتلمذ على يد علماء معروفين في مرسيه، أشهرهم أبو المطرف بن عميرة[6]، أما علم الفقه فكان لهً مكانة جليلة عندهم وكان لهم مصنفات عدة حول المذهب المالكي السائد يقع في مقدمتها كتاب الموطأ لإمامهم مالك بن انس وغيرها من الكتب الفقهية المالكية[7].

---

(1) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص94.

(2) المقدمة، ج1، ص409-410.

(3) التنبكتي، نيل الابتهاج، ج1، ص48.

(4) أحمد بن محمد القرشي: الشريف الغرناطي، نزيل تونس تصدر للتدريس في بجايه بعد أن عينه سلطانها الحفصي أبي زكريا للتدريس فيها وظهرت مواهبه في الحفظ وإتقان العمل والعناية بالرواية. للمزيد ينظر: أحمد التنبكتي، الابتهاج، ص64 ؛ كحالة معجم المؤلفين، ج2، ص145.

(5) قاعدة المغرب الأوسط، بناها الناصر بن عالناس سنة (457ه) صاحب قلعة حماد بن بلكين، وصيرها دار ملكه لهذا تسمى بالناصرية، في جبلها نبات البرباريس المنتفع به في صناعة الطب. للمزيد ينظر: الحميري، الروض المعطار، ج1، ص81.

(6) أبو المطرف بن عميرة المخزومي: الأديب من علماء المغرب الأجلاء ولد في شقورة ألف كتاباً في فاجعة المريه، جمع ابن هاني السبتي شعره ونثره في مجلدين، هما بغية المستطرف، ونخبة المتطرف. للمزيد ينظر: الزركلي، الأعلام، ج1، 159.

(7) عبد القادر، الأندلس في عهد بني الأحمر، ص162-163، العلاقات الثقافية، ص162-163.

وللفقهاء منزلة رفيعة عند أهل مملكة غرناطة، وكان لهم رونق ووجاهة، وللفقيه عندهم مكانة سامية جليلة[1] ونذكر من الفقهاء، أحمد بن عبد الله القيني الذي كان زاهداً كثير التلاوة وكان من أهل مدينة المرية[2].

وكان للظروف والحياة التي عاشها أهل غرناطة الأثر الواضح في ظهور التصوف[3]، إذ وجدوا فيها ما يعبر عن مأساتهم ولما يشعرون به من خوف من المستقبل، واعتقد الناس بالمتصوفين، ولم يقتصر هذا على العامة، بل كان للحكام والسلاطين مواقف مع المتصوفين، منها توجه محمد الأول بن الأحمر إلى أبي مروان اليحانسي المتصوف في وادي آشي حتى يدعو له في صراعه مع الأسبان، ولجأ الناس إلى التصوف بِعَدّه ملاذاً وتعزية للنفس، وصار اتجاهاً عاماً شمل فئات اجتماعية كثيرة[4]، كان المتصوفة من الرجال يقضون حياتهم في أماكن معينة تعرف بـالربط[5]، ومن أشهر المتصوفين في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي أبو إسحاق إبراهيم بن عيسى الأنصاري المرسي (ت: 751هـ /1350م)، وتُعَدّ الصوفية طبقة من طبقات المجتمع الغرناطي، ففي حديث ابن الخطيب عن بيعة أهل مملكة غرناطة لمحمد الرابع عند وفاة والده في (27رجب 752ه/9يوليو 1325م) يذكر كيف قدمت فئات مختلفة، ومنها الصوفية، ويذكر أنها مارست سلوكها ومذهبها في أماكن تدعى الأربطة أو الزوايا حيث كان المرابطون يحيون حياة الزهد والتعبد وذكر الله بصوت مرتفع[6].

ومن النساء اللاتي شاع اسمهن في مجال التصوف والزهد نذكر، عائشة بنت عبد الله الأندلسي[7] التي اتهمها بعضهم نتيجة زهدها وذكرها لله تعالى بالجنون[8].

ويرجع السبب في هذا الاعتقاد والإيمان إلى المجتمع الغرناطي الذي كان يعيش في قلق وحسرة جراء الحروب، [9].

وكان لأثر الطبيعة في الأندلس دورٌ واضحٌ في التفكر، والذي يرفد الصوفي فيرى ثلاث أبيات شعرية كتبت في مقدّمة برج الأميرات غير منسوبة لشاعر مملوءة بروح التصوف:

يــا داخــلاً بــالله قــف وتأمــل

---

(1) المقري، نفح الطيب، ج1، ص206.
(2) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص41.
(3) التصوف: طريقة سلوكية قوامها التقشف والتحلي بالفضائل لتزكوا النفس وتسمو الروح وهو أحد مراتب الدين الثلاثة الإسلام، الإيمان، الإحسان، ينظر: الخالدي، الأقمار المشرقة لأهل الشريعة والطرقة والحقيقة، ص50 ؛ حسين، التصوف، معراج السالكين إلى الله، ص27-36.
(4) الأزدي، تحفة المفترى، ص68 ؛ الطوخي، مظاهر الحضارة، ص344.
(5) الربط: مفردة رباط ويعني الإقامة في الشعب المعرض للعدو للذود عنه، وهي زاوية إسلامية محصنة وعند الصوفية تعني المكان الذي ينقطع فيه المرء لعبادة الله. للمزيد ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج2، ص374؛ تقي الدين ، الحركة العلمية الثقافية في غرناطة، ص87.
(6) العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص300.
(7) عائشة بنت عبد الله: بنت عبد الله الأندلسي، أمضت حياتها داخل حجرة منصرفة لعبادتها. للمزيد ينظر: مجموعة من المؤلفين، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص356.
(8) المقري، نفح الطيب، ج5، ص306.
(9) ابن سبعين: المرسي: قطب الدين: فيلسوف وصوفي في المغرب له طريقة في التصوف تدعى بالطريقة السبعينية، وترك مؤلفات منها كتاب السفر، الإحاطة، الدرج. للمزيد ينظر: التنبكتي، نيل الابتهاج، ص148؛ المقري، نفح الطيب، ج2، ص334.

فـي بهجـة الحسـن البـديع الأكمـل
سرج بطرفك فـي محاسن منـزل
عقـــب لنـــا نفحاتهـــا كالمنـــدل
وإذا نظرت إلى الحقيقة قلت لـي
السـر فـي السـكان لا فـي المنـزل[1]

وهذه الأبيات نقشت أيضاً في قصر الحمراء وجنة العريف:

يـــا ثقتـــي يـــا أملـــي أنـــت الرجـــا أنـــت الـــولي
فيـــا ليتنـــي المرســـل اخـــتم بخيـــر عملـــي

ولأهل مملكة غرناطة اهتمام واضح بالأدب شعراً ونثراً، وكانوا يعّدون النثر من أنبل العلوم، وهذا ما جعل لهم الخطوة في المجالس السلطانية، ويوري لنا ابن خلدون عن ابن الخطيب بالقول: " كان الوزير ابن الخطيب آية من آيات الله في النظم والنثر والمعارف والأدب"[2].

يمجد الناس في مملكة غرناطة سلاطينهم خلال الشعر، وكان لهذا الفن باع طويل وقد نظمته الخاصة والعامة، وكان للشعر الشعبي مكاناً عندهم حيث كُتِبَ بلغة فصيحة، وسمي بالموشح، وقد وصفها ابن خلدون[3] بالقول " وما أهل الأندلس فلما كُثرَ في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية، استحدث المتأخرون منهم فناً منه، وسموه بالموشح ينظمونه أسماطاً أسماطاً وأغصاناً أغصاناً يكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة ويسمون المتعدد منه بيتاً واحداً..." لقد راعى السلاطين الشعراء وأغدقوا عليهم[4] .

وبرز العديد من الكتاب والمؤرخين والشعراء، أمثال ابن الخطيب الذي اشتهرت أسرته بالأدب والسياسة والفضل، كما انمازت هذه الأسرة بتقربها للحكام والسلاطين، وقد تربى ابن الخطيب تربية ثقافية علمية، حيث وصف ابن خلدون ابن الخطيب بالقول: " ونشأ ابنه محمد ابن الخطيب هذا بمملكة غرناطة وتأدب على مشايخها، واختص بصحبته الحكيم المهور يحيى بن هذيل، وأخذ عنه العلوم الفلسفية، وبرز في الطب، وانتحل الأدب وأخذ عن أشياخه وامتلأ من حوض اللسان ونضمه ونثره، مع انتقاء الجيد منه، ونبغ في الشعر والترسل بحيث لا يجاري فيها"[5].

ضم بلاط سلاطين بني الأحمر فحول الشعراء ونال بعضهم حظوة، ومنهم محمد بن عبد الله اللوشي[6] الغرناطي (752 هـ / 1351 م) الذي اتصل بالغالب بالله، وكان شاعراً مداحاً، كما

---

(1) جرار، ديوان الحمراء، ص2-3.
(2) رحلة ابن خلدون، ص135.
(3) الموشح: من الفنون الأدبية ويتألف الموشح من أكثر من ستة أقفال وخمسة أبيات، ويقال عنه التام وفي الأقل من خمسة أقفال وخمسة أبيات، ويقال عنه الأفرع، وهو فن حرف أكثر حيوية من الشعر. للمزيد ينظر: السعيد، الشعر، ص408 – 410.
(4) المقري، أزهار الرياض، ج2، ص97-98.
(5) ابن خلدون، العبر، ج13، ص689.
(6) عبد الله اللوشي: هو محمد بن محمد بن عبد الله اللوشي الغرناطي، شاعراً مداحاً في حجور الدولة النصرية وله ادب بلغ الاجادة الغاية، اقبل الزهد أخريات حياته ينظر ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص269 – 272

اتصل بالسلطان أبي الوليد اسماعيل لهُ قصيدة يمتدح فيها مملكة غرناطة، ويبارك فيها نصرها في المعارك مع الأسبان يقول فيها[1]:

ســـــجدت رؤوســـــهم لســـــيفك هيبـــــة

اذا يســـــــرتها للســـــــجود رقـــــاب[2]

ومن شعراء الأندلس أبو البقاء صالح بن شريف النفزي الرندي (ت 684هـ/ 1285م)[3] وأصله من رندة ثم انتقل إلى مالقه مدح سلاطين مملكة غرناطة وأغدقوا عليه الأموال أشتهر في قصيدته النونية في رثاء الأندلس[4].

لكـــل شـــيء إذا مـــا تـــم نقصـــان

فـــلا يغـــر بطيـــب العـــيش انســـان [5]

ومن شعراء مملكة غرناطة البارعين في المدح أبو اسحاق الساحلي المعروف بالطوبجن[6] الذي وصفه ابن الخطيب بأنه نسيج وحدهُ في الأدب نظماً ونتراً، لا يشق لهما في غبار انيق الديباجة، جامع بين الجزالة والرقة[7] ومن هذه الشواهد يتضح أن الغرناطيون برعوا في العلوم اللغوية والأدب، وكان هذا انعكاساً لاهتمام السلاطين بهذه العلوم، ومن الحقوق العلمية الأخرى التي تمتع بها الغرناطيون، هي الاهتمام بتدوين وكتابة تاريخهم، إذ بذر الغالب بالله محمد الأول ابن الأحمر (629-671هـ / 1232–1273م) البذرة الأولى للاهتمام بهذه العلوم قراءة وسماعاً وتعليماً، وكان يقضي معظم وقته في حدائق مملكة غرناطة، يتمتع بقراءة كتب التاريخ أو يحضر من يقرأها أو يقص عليه ما فيها من قصص [8].

وعلينا أن نخصّ بالذكر أشهر مؤرخي مملكة غرناطة، في هذه المدة وهو العلامة الوزير لسان الدين بن الخطيب الذي اغنانا بالعديد من المؤلفات التاريخية، وأشهرها كتاب الاحاطة في أخبار مملكة غرناطة، وهو عبارة عن موسوعة كاملة شاملة بكل ما يتعلق بهذه المدينة الأندلسية من أخبار واوصاف ومعالم، إذ تناول فيه وصفها جغرافياً وتاريخياً منذ ان نزل بها العرب، وعرض تاريخ الدولة النصرية عرضاً كاملاً منذ تأسيسها حتى عصر المؤلف المذكور[9].

---

(1) ابن الأحمر، نثر فرائد السجمان، ص 155 .

(2) عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص 325، 326 .

(3) أبو البقاء صالح بن شريف النفري الرندي ت 684، عاش قسماً من حياته في غرناطة، واتصل ببلاط بين الأحمر واشتهرت قصائده برثاء مملكة غرناطة. ينظر: فرحات، غرناطة، ص144.

(4) المقري، أزهار الرياض، ج ا، ص 47 – 50 .

(5) عتيق، عبد العزيز، الأدب العربي في الأندلس، تح: محمد رضوان الدايه، أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس، مؤسسة الرسالة، (بيروت 1976)، ص325 .

(6) أبو اسحق الساحلي: هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الساحلي من أهل غرناطة، كان والده امين للعطارين في غرناطة، عُرِف جده بالطوبجن كان فقيهاً عالماً (ت 747ه) مدح ابا الحسن المريني، وحرضه على مواجهة ابن تاشفين امير عبد الواد في تلمسان. ينظر: ابن الخطيب الإحاطة، ج1، ص329، ابن الأحمر، نثير فرائد الجمان ص 131-132.

(7) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص329.

(8) ايرفينج، قصر الحمراء، ص96 .

(9) تقي الدين، غرناطة في عصر بني الأحمر، ص 248 .

فضلاً عن تأليفه العديد من الكتب القيمة، المتمثلة بكتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، وهو شامل للدولة العربية الإسلامية والأندلس والمغرب، وكذلك كتاب اللمحة البدرية في الدولة النصرية الذي مدحهُ محققوه، وقالوا: إنه افضل ما كتبه المسلمون في التاريخ لصدقه في رواياته وبعد نظره في ادراك الحقائق والوقائع [1].

ومن مؤرخي مملكة غرناطة في هذه المدة، ابن الزبير مؤلف كتاب صلة الصلة الذي ضم العديد من تراجم علماء الأندلس في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، وهو صلة أو ذيل لكتاب الصلة لابن بشكوال وتسمى صلة الصلة البشكوالية[2].

ومن أبرز مؤرخي عصر مملكة غرناطة خاصة والأندلس عامة، هو علي بن موسى ابن سعيد الغرناطي ت (685 هـ / 1286م) ومن مؤلفاته المغرب في حلى المغرب والمشرق في حلى المشرق، والطالع السعيد في تاريخ بيته وبلده، وله أيضاً كتاب القدح المعلّى في التاريخ المحلّى الذي احتوى القسم الأول منه على الامم القديمة كتاريخ العمالقة والقبط والروم والنبط، أما القسم الثاني فقد اختص بتاريخ الأمة العربية[3] ولابن الحاج النميري الغرناطي[4] (ت 774 هـ/ 1373م)[5] كتاب تضمن معلومات تاريخية وفيرة، ومن علماء مالقة ممن أسهم في رفد حركة التاريخ في مملكة غرناطة، القاضي النباهي صاحب كتاب (المرقبة العليا فيمن يستحق القضا والفتيا) و (تاريخ قضاة الأندلس)[6] .

وللأمير الغرناطي أبي الوليد اسماعيل بن الأحمر (ت 807هـ / 1405م) اهتمام التاريخ وله مؤلف مشهور، وهو روضة النسرين في دولة بني مرين، أما علم الجغرافية فقد برع الكثيرون فيه، وفي مقدمتهم ابن سعيد الذي تمثل نتاجه الجغرافي الغرناطي في كتبه الثلاث بسط الأرض في الطول والعرض الذي احتوى على وصف لأقاليم المعمورة[7] فضلاً عن ذلك نذكر كتاب ابن الخطيب الموسوم بمعيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار الذي أعطى فيه وصفاً للعديد من مدن امارة بني الأحمر ذاكراً فيه مميزات وعيوب كلاً منها[8] وكثيراً ما قام الأندلسيون بالرحلات داخل الأندلس وخارجها ومنهم مَنْ دوّن رحلاته امثال القلصاوي[9] الذي قام برحلته الحجازية وذكر فيها الدافع لها، وهو فريضة الحج وطلب العلم وتأدية العمرة وزيارة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان الغرض من تدّوينها هو التعريف وذكر مشايخهُ الذين تلقى عنهم العلم والتعريف بالرحلة[10]، وتبين أهمية رحلة القلصاوي في احتوائه على ثلاثة

---

(1) ابن الخطيب، اللمحة، ص 13، مقدمة المحقق .
(2) ابن فرحون، الديباج المذهب، ص42 .
(3) الأندلسي، نشوة الطرب في جاهلية العرب، ج2، ص14- 16، مقدمة المحقق .
(4) ابن الحاج النميري: هو إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن قاسم النميري ابن الحاج، ولد بغرناطة 712ه كان اماماً فاضلاً واديباً شاعراً، رحل إلى الشرق كتب عن صاحب بجاية وعن بني مرين، ينظر : ابن الخطيب، الإحاطة، ص 350 – 352 .
(5) المصدر نفسه، ج1، ص 196- 197 .
(6) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، مقدمة المحقق، ص7 .
(7) ابن سعيد، بسط الارض، ص42-97 .
(8) العبادي، مشاهدات لسان الدين الخطيب، ص 12 .
(9) القلصاوي هو أبو الحسن علي بن محمد القريشي (ت 891 ه / 1486م) رحل إلى بسطه واستقر فيها للمزيد ينظر: ابن القاضي، درة الحجال، ج3، ص251 – 252 .
(10) القلصاوي، رحلة، ص 70، مقدمة المحقق، ص 82 .

وثلاثين رجلاً أخذ عنهم القلصاوي في الأندلس قبل الشروع بالرحلة وبعدها، كما انها تسلط الضوء على نشاط هذا العالم وعلاقته ببعض الطلبة والعلماء في مملكة غرناطة[1].

وفي العلوم البحتة لمعت أسماء وأخذت حقها ومساحتها، إذ لم تخل هذه المدة من اسهامات العلماء في علوم الرياضيات والطب والفلك، ومن أشهر علماء مملكة غرناطة في حقل الرياضيات، الطيب يحيى بن هذيل التجيبي[2] (ت 753 هـ / 1352م) الذي برز في الهندسة والحساب، إذ ووصفه أبن الخطيب بأنه خاتمة العلماء فضلاً عن الهيئة والطب[3].

وبرز المقرئ محمد بن محارب الصريحي (ت 750 هـ / 1341م)[4] إماماً في الحساب[5]، ومن مشاهير العلماء في هذه العلوم هو أبو بكر الرقوطي المرسي الذي كان ملماً بالهندسة والعدد والطب[6] وبرع في الطب ابن هذيل أيضاً (ت 753 هـ / 1355 م) أستاذ ابن الخطيب وكان طبيباً في بلاط سلاطين مملكة غرناطة، ودرس الطب في المدرسة التصرية، الف العديد من المؤلفات منها (الإختيار والاعتبار في الطب) ونذكر كذلك ابن الخطيب الذي برع في الطب، وكذلك الطبيب الرقوطي الذي كان يداوي الناس بالمجان (ألف كتاباً في الرؤيا) ومن أطباء الأندلس الذين افادوا الغرناطيين بإسهاماتهم، وألفوا بعض المؤلفات في مجال الطب، العالم محمد بن فرج القربلياني[7] المعروف بالشَّفرة (ت 761 هـ /1360 م)، درّس الطب والجراحة للعديد من الأطباء، امثال ابن السراج، وقد عالج الكثير من المرضى، ومنهم السلاطين ولا ننسى ذكر الطبيب الغرناطي الشقوري الذي عمل طبيباً لأبي سعيد المرسي، ومن الأطباء المشهورين في مملكة غرناطة أحمد الكرني[8] وأحمد بن علي الحميدي (ت 756هـ / 1355م)[9] الذي وُصِف بأنه شيخ الأطباء وطبيب الدار السلطانية اقتصر عمله على المداواة وتدريس الطب[10] وفي علم الفلك برز العديد من العلماء، اشهرهم أحمد بن محمد بن يوسف الأنصاري الحبالي (ت بعد سنة 763 هـ / 1392م)[11]، إذ استطاع هذا الفلكي التقرب إلى سلاطين بني الأحمر والحصول على وظيفة عليا في البلاط السلطاني، ويبدو انه تنبأ بأشياء حدثت فعلاً، إذ أخبر السلطان الغني بالله المخلوع في منفاه بغاس بالعودة إلى الحكم، وقد تحققت نبوءته إلاّ أن السلطان اتهمه بالتعاون مع السلطان أبي سعيد محمد السادس[12].

---

(1) القلصاوي، رحلة، ص 71 – 73 .

(2) يحيى بن هذيل التجيبي: أبو زكريا يحيى بن أحمد بن هذيل التجيبي أرجذوني الأصل من حملة العلوم العقلية بالأندلس وخاتمة العلماء فيها من طب وهندسة، توفى بالفالح 753ه. ينظر: العسقلاني، الدرر الكامنة، ج4، ص412.

(3) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص 196.

(4) المصدر نفسه، ج4، ص390 .

(5) المصدر نفسه، ج 3، ص78 .

(6) المصدر نفسه، ج 3، ص67- 68 .

(7) محمد بن فرج القربلياني: يكنى بأبي عبد الله ويعرف بالشفرة اشتغل بصناعة الطب ثم تصدر للعلاج ورأس به. ينظر ابن الخطيب، الإحاطة، ج 3، ص 137 – 138 .

(8) أحمد الكرني : من أطباء غرناطة قام بتدريس الطب فيها معتمداً على من سبقه من مشاهير الأطباء ، كان حياً سنة (690هـ/1291م)، للمزيد ينظر : العسقلاني، الدرر الكامنة، ج1، ص335 ؛ تقي الدين، غرناطة في عصر بني الأحمر، ص104 .

(9) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص206-207 .

(10) من أهل غرناطة كان حياً سنة 690 ه / 1291م وهو من أطباء غرناطة البارعين درس الطب معتمداً على ما تركه المشهورون في الطب من نصوص.

(11) أحمد بن محمد بن يوسف الأنصاري الحبالي من أهل العدالة وله معرفة بأحكام النجوم. للمزيد ينظر: العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ج1، ص363 .

(12) العسقلاني، الدرر الكامنة، ص 327، 328 .

ان اهتمام السلاطين بالعلم ومنحهم حق تعليم المجتمع الغرناطي كافة، ادى إلى النبوغ والتطور في الميادين العلمية والثقافية كافة وأسهم في وصول العديد من العلماء والادباء والشعراء والجغرافيين والرحالة والمؤرخين إلى بلاط مملكة غرناطة، إذ تمتعوا بحقوقهم كافة في التقريب والجرايات، ومنحوا الألقاب وأصبحت مملكة غرناطة بوجودهم قبله لتوجه طلبة العلم من كافة الاجماع، وبلغت الحركة الفكرية ذروتها في عهد السلطان أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل النصري (733-755ه) وولده محمد الغني بالله (755ه - 793ه)، إذ وصف هذا العصر بأنه عصر النضج والازدهار، وكان عصره عودة الأدب الأندلسي على سابق عهده حيث ظهر فيه أكابر العلماء والمفكرين والكتاب فيه، ومنهم شاعر المريه ابن خاتمة، والوزير ابن الجياب[1]، وابن زمرك، وابن الخطيب، وغيرهم[2].

ومن شعراء مملكة غرناطة في العهد النصري، علي بن إبراهيم المعروف بابن الفخار كان كاتباً وشاعراً (ت 642ه/1244م)، وإبراهيم بن سهيل الإشبيلي الذي كان من أصل يهودي توفى سنة (649ه/1251م)[3].

وكان في قمة المؤثرات التي أثرت وأسهمت وبشكل واضح وملموس في النشاط الفكري والثقافي للأدباء والشعراء، هي الحياة الاجتماعية التي عاشوها في المملكة، وأسهمت بشكل ملحوظ وفعال في إغناء نتاجهم الفكري، مع جوانب الحياة الأخرى وعبروا عنها في أعمالهم حيث كانت مملكة غرناطة تعدُّ الأحداث وعلى الأصعدة كافة، فعلى الصعيد السياسي كانت الملكة تخوض في حروبها مع النصارى خارجياً، وأبناء البيت النصري داخلياً وما صاحب هذا من أحداث فتن وتهجير وغيرها، إضافة إلى الظروف الطبيعية التي أسهمت بشكل فعال في ذلك، إذ الأمراض والأوبئة والجفاف والقحط وغيرها من الأحداث التي أسهمت في توفر مادة شعرية، فضلاً عن أصناف المجتمع الغرناطي ومناسباتهم المتنوعة التي أسهمت في تطور النشاط الفكري والثقافي لمملكة غرناطة[4].

وفي مجال التاريخ نذكر كوكبة من المؤرخين وفي طليعتهم، علي بن موسى بن سعيد الأندلسي المشهور بابن سعيد المغربي، وهو أديب ورحالة (610ه/1213م) الذي توفى بدمشق سنة (673ه/ 1274م) وله كتاب المغرب في حلى المغرب، ومن اللامعين في حقل التاريخ نذكر أبو الحسن علي بن عبد الله النباهي الذي ولد بمالقة (713ه/1313م) وأبو القاسم بن سلمون الكناني الغرناطي قاضي الجماعة بمملكة غرناطة (1365/767م) والقاضي أبو البركات ابن الحاج البلفيقي صاحب كتاب تاريخ المريه، وأبو بكر بن خميس صاحب (أعلام مالقة)، ثم ابن الخطيب صاحب كتاب (الإحاطة في أخبار غرناطة) الذي وضع كتاباً عن مشاهداته أيضاً في المغرب وهو (نفاضة الجراب في علالة الاغتراب)[5].

---

(1) الحسن بن جياب: هو علي بن محمد بن سليمان بن علي بن سليمان بن حسن الأنصاري، يكنى أبا الحسن ويعرف بابن الجياب ولد سنة 673ه حاز على ثقة السلاطين في دولة بني الأحمر، تقلد الكتابة والوزارة لقب بذي الوزارتين. للمزيد ينظر: الإحاطة، ج4، ص125 ؛ المقري، نفح الطيب، ج5، ص434 ؛ الديباج المذهب، ص208.

(2) عنان، لسان الدين حياته وتراثه الفكري، ص28.

(3) المقري، نفح الطيب، ج3، ص522-526.

(4) سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص7.

(5) لقد اهتم الغرناطيون بالتاريخ، وكان اهتمامهم به يكمن في كونه من العلوم العريقة حيث وصفه ابن خلدون بالقول: (أن أعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولتهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يروقه في أحوال الدين والدنيا). المقدمة، ص14؛ فرحات، غرناطة، ص؛ حسون، الأندلس في عهد بني الأحمر، ص195.

وختام بحثنا يمكننا القول: إن الغرناطيين وسلاطينهم كانوا محبين للعلم والعلماء، عملوا على رعايتهم خلال بناء المساجد ودور العلم والمراكز العلمية في أرجاء مملكة غرناطة كافة، وأعطوا حق التعليم للعامة والخاصة، إذ أن المستقبل اللامع والوظيفة الجذابة كانت تنتظر أي شاب في لحظة تعلمه مبادئ الفقه والنحو والأدب والقراءات وغيرها من العلوم، إذ كان الطريق مفتوحاً أمام الناس جميعاً، ليحققوا طموحهم في العمل، ولهذا يقول ابن خلدون: اي شخص في الأندلس يعتقد أنه قادر على أن ينشئ دولة، وأن يؤسس مملكة[1].

[1] ريبير، التربية الإسلامية، ص 104 .

المبحث السادس

حق التسلية والترفيه في مملكة غرناطة

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[1].

إن التسلية والترفيه في أي مجتمع أمرٌ ضرورياً، إذ لهُ جوانب إيجابية عدّة لاسيما تلك التي تتعلق بالرياضة والفنون والفروسية، ولا يخلو أي شعب من الشعوب من هذه الألعاب إلاّ أنها في بعض الأحيان تختلف من حيث الشكل والمضمون ولا تختلف من حيث الغرض منها إلاّ وهو التسلية وترويض العقول والأبدان، وعَرف عن العرب تفننهم في إيجاد الوسائل لقضاء أوقات فراغهم، والغرناطيون حالهم في ذلك حال أهل المشرق كثيرو الاهتمام بكل ما يريح نفوسهم، إذ اعتبروا ذلك من حقوقهم المشروعة، وشمل هذا العامة والخاصة، إذ أن الإنسان الأندلسي عرف كيف يحب وكيف يلهو، إذ كان تواقاً إلى السلام وإلى الحياة الهانئة المترفة، حتى وإن كانت الظروف والسياسة القاهرة تحول دون ذلك[2].

ومن مظاهر التسلية والترفيه، خروجهم إلى المتنزهات لاسيما في أيام الربيع والصيف حيث الطبيعة الخلابة الساحرة التي تتلاقى فيها المروج الخضراء الجميلة بالجبال التي يكمل جمالها الغابات والأرض التي تجري فيها الأنهار ومن أجمل الأماكن فيها هو فحص مملكة غرناطة الشبيه إلى حد كبير بغوطة الشام، إذ وصف ابن الخطيب ولعهم به قائلاً: "ولأهلها بهذه الجنات كلف...[3]، إذ كانوا يقضون فيها أوقاتاً هانئة خاصة في أيام الأعياد والجمع يخرجون إليها بصحبة أهلهم وأصدقائهم، وغالباً ما تصاحب نزهتهم الآلات الموسيقية فيقضون أوقاتاً سعيدة بين ما لذ وطاب مع صفوة أحباب وجمال أتراب" [4].

وكان هذا التقليد من حق الخاصة والعامة، إذ كان للسلاطين في مملكة غرناطة متنزهاتهم داخل وخارج الفحص يقضون أوقات فراغهم فيها، وعَدَّوها فرصة لتوثيق الصلات والصداقات[5] وأشهر هذه المتنزهات هي عين الدمع[6]، إذ وصفت بأنها معتدلة الهواء وعذبة الماء[7]، ومن بين متنزهات مملكة غرناطة المشهورة، متنزه حوز مؤمل الذي يصفه ابن سعيد بأنه أجمل متنزهات مملكة غرناطة ومتنزه نجد، وكان من حق أهل مملكة غرناطة الخروج لمشاهدة الموكب السلطاني؛ ترويحاً عن النفس، إذ كان الموكب السلطاني يسير ويتقدمّه كوكبة من الجند حاملين الرايات الحمراء، شعار بني الأحمر التي تحمل عبارة (لا غالب إلاّ الله) يسير خلفهم قارعي الطبول والعسكر ويعرفون بالساقة وكان عددهم سبعة حالهم في ذلك حال المشرقين تبركاً بهذا العدد[8].

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 32.
(2) أبو غزالة، الإنسان الأندلسي، ص7.
(3) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص117.
(4) المقري، نفح الطيب، ج5، ص99، ج7، ص216.
(5) ابن بطوطة، الرحلة، ج2، ص371.
(6) عين الدمع: أحد شعب جبال سيرا نيفادا تكثر فيها الرياض والبساتين والحدائق البديعة. للمزيد ينظر: ابن بطوطة، الرحلة،ج4، ص361.
(7) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص121.
(8) ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص27-28 ؛ ابن خلدون، المقدمة، ص205.

ومثال على ذلك خروج أهل المرية بجميع فئاتهم الاجتماعية من فقهاء ومشايخ وأعلام ورجال جيش، وكذلك الجاليات الموجودة المتمثلة بالروم آنذاك الذين جاؤا لغرض التجارة؛ إذ شارك الأهالي الفرحة ترحيباً بقدوم (أبو الحجاج)، فنشروا عليه مظلة كبيرة من الحرير ترحيباً به ولتحميه من أشعة الشمس[1].

واعتاد أهالي مملكة غرناطة في مثل هذه المناسبات على أن يكونوا بأبهى صورة حيث مظاهر الزينة وقرع الطبول فرحاً وبهجة، إذ يصف لنا ابن فركون الاستقبال الذي أقامه الشعب لعودة السلطان الغرناطي يوسف الثالث بن يوسف بن محمد بن يوسف الأول، إلى الحكم سنة (811-820هـ / 1409 – 1417م)[2].

ومن حق الغرناطيين على بعضهم التهنئة ببناء الدار[3] أو بقدوم مولود جديد، إذ يتبادلون التهاني في مثل هذه المناسبات ويَعِدُّنها فرصة للتعارف، وزيادة الروابط الاجتماعية، وكان هذا من دواعي فرحهم ولهم عادة إرسال بطاقات التهاني بالمولود الجديد، ومثال على ذلك ما ذكره ابن خلدون عن وصول تهنئة من ابن الخطيب قائلاً: "وكتب لي يهنئني بمولود ويعاتبني على تأخير إعلان الخبر عنه" [4].

ومن المناسبات التي يهتم بها الغرناطيون ويَعِدُّونها مصدراً للهو والتسلية، الأفراح والأعراس التي تقام بين أقاربهم وجيرانهم، إذ يسارعون في تقديم التهاني مشاركين الفرحة متمنين السعادة والحياة الهانئة للزوجين[5].

ومن الأمور التي اهتم بها المسلمون في مملكة غرناطة إعذار أولادهم، إذ اعتادوا على تقديم الطعام والشراب في مثل هذه المناسبات وعَدُّوها حق من حقوق أولادهم عليهم، وكانت هذه المناسبات غالباً ما تظهر السرور على الحاضرين، إذ اعتاد مسلمو الأندلس على هذه المناسبات؛ لأنها من الأمور المشروعة في الإسلام[6].

أما الاحتفال والأعياد الدينية فكانت تشمل المسلمين وغير المسلمين، وكان من حق كل طائفة في مملكة غرناطة الاحتفال بعيدها بالطريقة التي ترغب، إذ كان هنالك أعياد خاصة بالمسلمين متمثلة بعيد الفطر المبارك وهذا الاحتفال يدوم إلى نهاية اليوم الثالث من شوال، وليلة العيد لديهم فيها عادة الخروج إلى المقابر لزيارة أمواتهم[7] وفي صباح العيد يخرج الناس جميعاً لأداء صلاة العيد متجهين صوب المسجد وبعد انتهاء الصلاة ينفض الجمع، إذ ينصرف الناس فرحين حامدين الله كثيراً [8].

---

[1] ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص29.
[2] ابن فركون، الديوان، ص28.
[3] ابن خاتمة، ديوان ابن خاتمة، ص122.
[4] ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته، ص224 ؛ ابن الخطيب، الصيب والجهام، ص360.
[5] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص496.
[6] الحجي، الحضارة الإسلامية في الأندلس، ص24.
[7] عبد الرزاق، الحياة الاجتماعية، أطروحة دكتوراه، ص188.
[8] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص498 – 503.

وفي مثل هذا اليوم وكعادة أهل المشرق توزع زكاة الفطر، وتحدد من قبل العلماء والفقهاء[1] ويُعدُّ العيد مناسبة للتواصل والتزاور بين الأهل والأصدقاء، إذ تتسلى العوائل بقضاء أوقاتاً سعيدة[2].

ويهتم بمناسبة العيد الخاصة والعامة، ويبدو ذلك خلال مظهرهم، إذ يعمدون إلى لبس أحلى الثياب ووضع الزينة والكحل ولبس المجوهرات وغيرها من مظاهر الاحتفال، إذ يلمس العيد وبهجته في قصر الحمراء وفي كل حجرة من حجراته مع استمرار المهنئين على أبوابه[3].

ومن الحقوق التي تمتع بها الغرناطيون الاحتفال بعيد الأضحى المبارك ونحر الأضاحي مع ارتدائهم أحسن ما لديهم وقد أكدَ السلاطين خلال القوانين التي فرضوها ضرورة الاهتمام بالمظهر أيام الأعياد[4].

ومن الأعياد التي يحتفل بها المسلمون في مملكة غرناطة عيد المولد النبوي الشريف، إذ توصف فيه أخلاقه الرفيعة ويكون هذا اليوم دعوة للإقتداء والإهتداء بسيرته[5] وفي هذه الليلة المباركة يجلس السلطان وأعوانه في مكان من القصر، يدعى الشوار، وهو مكان خصص للاحتفالات العامة[6] وكان الشعراء ينشدون القصائد الشعرية الدينية التي تعبر عن حب الرسول والأمنيات والأشواق لزيارته[7].

وكان من حق الغرناطيون الاحتفال ليلاً بعيد النوروز، وبالنسبة لأهل (النصارى) الذمة كانت احتفالاتهم متمثلة بعيد العصير[8] وعيد خميس العدس وعيد المهرجان (النصرة) وغيرها من الاحتفالات الخاصة بهم فضلاً عن الاحتفالات العسكرية، واعتاد أهل مملكة غرناطة على الاحتفال بالنصر، إذ يعبر الغرناطيون عن فرحهم بالانتصار بطرق عدّة، فتعم مظاهر الزينة ويظهرون بأحلى الثياب، وكان للغرناطيين الحق في مثل هكذا مناسبات أن يعبروا عن فرحهم بطرق عدّة، إذ كان الاحتفال يتضمن الغناء والموسيقى، وكانوا مولعين بالذهاب إلى المروج الخضراء والاحتفال في الهواء الطلق خارج أجواء المدينة[9].

إذ ذكر ابن الخطيب شيوع الغناء بينهم كباراً وصغاراً قائلاً: والغناء بمدينتهم فاش حتى في الدكاكين التي تجمع كثيراً من الأحداث[10] وكانت أماكن فحص مملكة غرناطة أماكناً لتجمع محبي الطرب، إذ كان من حقهم قضاء الأوقات السعيدة على جانبي النهر الذي كان مشابهاً لأريكة مريحة لهم[11].

---

(1) الونشريسي، المعيار المعرب، ج1، ص398.
(2) الرجالي، أمثال العوام، ج2، ص178.
(3) عبد الرزاق، الحياة الاجتماعية، أطروحة دكتوراه، ص190.
(4) شبانة، يوسف الأول بن الأحمر، ص117.
(5) ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص395.
(6) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج7، ص551.
(7) ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، ص85-90.
(8) عبد الرزاق، الحياة الاجتماعية، أطروحة دكتوراه، ص205.
(9) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص29.
(10) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص137.
(11) المصدر نفسه، ج1، ص117

لقد كان لبعض الفقهاء موقفاً إيجابياً من الموسيقى والآلات المستخدمة، وعمل هذا على تطور مجالس الشراب فقد وصفها الحميري بأنها: "الأماكن التي يتردد عليها الشاربون"[1]، وعادة تقع على النهر، إذ مارس الغرناطيون حقهم في التمتع والتسلية خلال مجالس الشراب خاصة في الأعياد والاحتفالات فشرب الخمر عندهم وسيلة للترفيه والترويح عن النفس، وساعد اشتهار أراضي مملكة غرناطة بالكروم على التفنن في صناعته، وكانوا يحتفلون عند حصاده[2].

وعلى الرغم من تشدد السلاطين على أصحاب هذه الصنعة إلاّ أن هذا لم يمنعهم، وغالباً ما كانت تعقد بعض مجالس الشراب في القوارب النهرية ويصطحبون معهم المغنيات والراقصات[3].

ومن الحقوق التي تمتع بها الغرناطيون كنوع من التسلية والترفيه، حقهم في مشاهدة الألعاب بأنواعها مثل ألعاب الفروسية وركوب الخيل، إذ كان من بين وسائل اللهو لدى الطبقة الارستقراطية ووصف المقري اهتمامهم بالفروسية والخيل قائلاً: "أحذق الناس بالفروسية وأبصرهم بالطعن والضرب"[4]، إذ كانت من أبرز الاحتفالات فيها، ويشهد ازدحاماً، إذ يجتمع النساء والرجال والصبيان والشيوخ للمتعة والترفيه والتسلية، وعادة ما يكون الاحتفال في الأماكن العامة[5].

ومثال ذلك سباق الخيل الذي حدث سنة (793ه / 1391م) الذي حضره السلطان وأعيان البلد، ألقى فيه الشاعر ابن زمرك القصائد[6] التي خصها لوصف سباق الخيل التي كان محمد الخامس يحرص على مشاهدتها، ولشدة حبهم واهتمامهم بهذه اللعبة؛ فإن الخاصة والعامة عملت على تدريب أبنائها لما له علاقة بوضع البلاد وحالة الحرب والجهاد التي تتطلب التدريب على مثل هذه الفنون، إذ كان الصبيان يتدربون على العمل بالسلاح وتعلم المثاقفة كما يعلم القرآن في الألواح[7].

وأوردت المدونات الأسبانية أن الشعب الغرناطي وبضمنهم الأطفال قد اشتهروا في استعمال القوس والنشاب ورمي السهام إلى درجة أثارت إعجاب أعدائهم[8].

وفي أوائل القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) برع الغرناطيون في لعبة المبارزة، وكان محمد الرابع (725- 733هـ / 1324 – 133م) يرتاد هذه الأماكن ويتردد عليها ليختبر قوته مع الفرسان[9].

---

(1) الحميري، الجزيرة صفة الأندلس، ص187.
(2) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص28.
(3) المراكشي، ، رايات المبرزيين، ص23-55-56.
(4) المقري، نفح الطيب، ج3، ص151، ج4، ص147.
(5) مجهول، نبذه العصر، ص39-43.
(6) المقري، نفح الطيب، ج7، ص174 ؛ عبد الرزاق، الحالة الاجتماعية، أطروحة دكتوراه، ص213.
(7) العبادي، الأعياد في مملكة غرناطة، ص138.
(8) المرجع نفسه، ص139.
(9) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص541 ؛ الطوخي، مظاهر الحياة، ص123.

ولعبة العصي من الألعاب التي مارسها الغرناطيون في مناسباتهم وأعيادهم، وكانت مصدر للتسلية واللهو، وكانت جيان مشهورة بهذه اللعبة وتتمثل اللعبة في انقسام الأشخاص إلى فريقان كل فريق يقارب المئة فارس يهاجم بعضهم بعضاً ويتظاهر بالهزيمة وهكذا يقضون وقتاً مسلياً[1].

ومن الألعاب الشائعة في مملكة غرناطة والتي كانت من مظاهر التسلية واللهو، لعبة الكتف، إذ يمتطون الجياد ويطاردون بعضهم بعضاً[2]، وكذلك لعبة الشطرنج[3] وكانت من الألعاب المحببة، إذ راجت منذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) انتقلت إلى الأندلس بفضل زرياب[4] وبعض النازحين من العراق إلى الأندلس وقد انتشرت بين الخاصة والعامة؛ لأنها من الألعاب الذهنية التي تحتاج إلى الوقت والتفكير[5] ، فقد كره الفقهاء الجلوس إلى من يلعبها لأنها تشغل صاحبها عن الفرائض[6]، إذ عدّها ابن حزم من الألعاب المضرة بالصالح العام[7].

ومن الحقوق التي تمتع بها الإنسان الأندلسي في مملكة بني الأحمر، التمتع بالصيد والقنص، إذ أنها كانت من الألعاب المسلية والشائعة في المجتمع الغرناطي، وقد ولع سلاطين بني الأحمر بها، فكانوا يخرجون في مرتفعات مملكة غرناطة حيث تكثر الحيوانات كالدببة والضباع وذلك لإظهار شجاعتهم جهة وللمتعة والفائدة من جهة أخرى، إذ من جلودها تصنع المفارش وتزين بها الجدران ويظهر حبهم للصيد من خلال النقوش التي نقشت بها جدران قاعة العدل في (قصر الحمراء)، إذ يبين النقش صوراً لفرسان ومناظراً للصيد يطارد فيها دب وخنزير[8].

ومن الطيور التي ولع الغرناطيون في صيدها هي طيور الباز (الصقور) وقد مارس هذه الرياضة الخاصة والعامة وانتقلت إلى بقية المدن الأسبانية[9] ومن الأسلحة الشائعة في الصيد سهم من حديد يسمى الزج[10] الرماح وإشعال النار على الفرائس وفي رسوم البرطل الحمراء مناظر للصيد حيث الفرسان فوق خيولهم يحملون السيوف والدراق والرماح والأسود والنبراة والخيام[11]، إذ يوجد في صالة التريبونال صقور وبزاة تستعد للانقضاض على طير طويل الساق

---

(1) ابن عبدون، رسالة في آداب الحسبة، ص52.
(2) الطوخي، غرناطة الإسلامية في نظر الرحالة الأجانب، ص143.
(3) الشطرنج: كلمة معربة والأصل مأخوذ من الكلمة الفارسية جترتك المحرف من جورنكا وهي كلمة مركبة من جوروتفيني وتعني أربعة ورنكا وتعني العضو فتصبح أربعة أعضاء ويراد بها الجيش والخيل والفيلة والعجلات والرجالة. للمزيد ينظر: الفردوسي، الشاهنامه، ص47.
(4) ترجم في صفحات سابقة.
(5) المسعودي، ، مروج الذهب، ص235.
(6) ابن عبدون، رسالة في آداب الحسبة، ص53.
(7) الأخلاق، ابن عزم، ص21.
(8) ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص246.
(9) سالم، صور من المجتمع الأندلسي، ص71-72.
(10) ابن هذيل، حلية الفرسان، ص230.
(11) محرز، الرسوم الجدارية، ص20-32.

ولم يكن الصيد بالبزاة معروفاً لدى القشتاليين، إذ انتقلت إليها أعقاب غزو الملك سان فرناندوا[1] للوادي الكبير[2].

ومن مظاهر اللهو والتسلية في المجتمع الغرناطي، مجالس الطرب والغناء فمنذ دخول المغني زرياب إلى الأندلس أصبح للغناء أهمية في حياة الأندلسيين، وأصبح للموسيقى منهج معروف لديهم، إذ اهتمت جميع الأطياف به، الفلاح في حقله والعامل في دكانه والفقير الذي لا يملك العمل في بيته[3] وهذا الاهتمام دليل على رقة عواطفهم على الرغم من انشغالهم بالحروب والأوبئة، ولم ينسَ الغرناطيون مرحهم في أحلك الظروف، ولم تسيطر عليهم الكآبة إلاّ عندما أصبح العدو على الأبواب[4].

وأخذت الألغاز والحزورات مكاناً في قلوب الغرناطيين، وعدّوها وسيلة من وسائل قضاء الأوقات والتسلية وعدّت بعضهم رياضة للذهن، قال ابن منظور: "ولغز الكلام واللغز فيه عمر مراده وأضمره على خلاف ما أظهره... واللغز من كلام... واللغز الكلام الملبس وجمعه ألغاز"[5].

وعدّت الحمامات من وسائل الراحة والترفيه، وخاصة بالنسبة للنساء، إذ إضافة إلى الوظيفة الرئيسة لها وهي النظافة والعناية إلاّ أن النساء في مملكة غرناطة اتخذت من الحمامات وسيلة للقاء والتسامر والتفاخر، إذ أن المرأة الغرناطية تذهب إليه مصطحبة أفخر ثيابها وأنفس حليها لتلبسها بعد الانتهاء من الاستحمام، وقد اهتم سلاطين بني الأحمر بهذا الجانب، إذ أنشأ السلطان محمد الثالث (701-708هـ /1302 – 1308م) حماماً وأوقفه على مسجد الحمراء[6].

وختام بحثنا نستطيع أن نلمس مدى تمتع أهل مملكة غرناطة بحقهم في التسلية والترفيه، ومدى اهتمام السلاطين بتهيئة الأجواء المناسبة لهم؛ ليتمكنوا من ممارسة حقوقهم في الترويح عن أنفسهم، إذ اعتمدوا على توفير الخدمات التي تمكنهم من ممارسة حقوقهم في التسلية والترفيه، وأعطوهم حرياتهم في ممارسة الألعاب المحببة لديهم.

---

(1) سان فرناندو: أعظم ملوك قشتالة كانت سيرته أنموذجاً للبطولة النصرانية (سبغت عليه البابوية صفة القداسة): للمزيد ينظر: عنان، دولة الإسلام، ج4، ص599.

(2) الطوخي، مظاهر الحضارة، ص129.

(3) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص137.

(4) ابن الأحمر، نثير فوائد الجمان، ص45؛ عنان نهاية الأندلس، ص451؛ عبد الرزاق، الحياة الاجتماعية، ص251.

(5) ابن منظور، لسان العرب، ج45، ص47-40.

(6) ابن الخطيب، اللمحة، ص50.

الفصل الثالث

الحقوق الاقتصادية

المبحث الأول: **حق الخدمات العامة**

المبحث الثاني: **الحق في حماية الأسواق**

المبحث الثالث: **الحق في الملكية الخاصة والعامة**

المبحث الرابع: **حق العدل الضريبي**

المبحث الأول

حق الخدمات العامة

من أهم الحقوق التي تمتع بها المواطن الغرناطي في أبان حكم مملكة بني الأحمر هي الحق في تهيئة البنى التحتية؛ وذلك لخلق الأجواء المناسبة لهم للعيش بسلام متجاوزين كل محنهم ومشاكلهم الداخلية والخارجية، فكان ابن الأحمر ينصرف في أوقات السلم والهدوء إلى توطيد أركان بلادهُ، ويبدو أن هذه الروح المتفائلة هي التي أبقت شعلة مملكة غرناطة مضيئة طيلة قرنين ونصف، وأولى هذه الخدمات هي الخدمات العمرانية المدنية، وأشهرها قصر الحمراء الذي كان قبيل بني النصر مجرد حصن صغير، وعمل ابن الأحمر بعد فترة قليلة من دخوله مملكة غرناطة (635هـ / 1238م) على إنشائه وجعله مدينة كاملة[1].

والواقع أن قصر الحمراء الحالي هو من إنجازات ثلاث سلاطين، أبو الوليد إسماعيل خامس سلاطين بني الأحمر وابنه أبو الحجاج يوسف سابعهم، ثم ابنه محمد الملقب بالغني بالله، بدأ أولهم ثم زاد فيه الثاني، أما الثالث فقام بتوسيع رقعتهُ وجَمّلهُ وأول ما يستوقفنا فيه باب الشريعة التي من اسمها نستطيع أن نتصور ونحدد ما كان يحدث فيها من إصدار قوانين وتشريعات وإنصاف للمظلومين، إذ كان قضاة المسلمين يجلسون فيها للنظر في قضايا الناس يحكمون بكتاب الله وسنة نبيه ويوّفون حقوق الرعية، وبعد هذا الباب توجد باب أخرى تسمى باب الخمر أو باب الحمراء ويتوج هذا الباب اسم السلطان الغني بالله (797 – 811ه) ابن السلطان أبي الحجاج، ويرجع هذا الباب إلى ما قبل عهد بني الأحمر، إذ أن واجهتهُ الخارجية غاية في البساطة لا يزينها إلاّ زخرفة نباتية شبيهة بما موجود في عصر الموحدين، ووراء باب الحمراء أو باب الخمر تقع ساحة الجب، وتعرف بهذا الاسم حتى اليوم وعلى هذه الساحة تقع قصبة الحمراء من جهة ومن جهتها المقابلة قصر شارلمان الخامس ومن ورائه يقع قصر الحمراء الذي يُعدُّ أجمل ما شيدتهُ يد الإنسان من قصور، وأول أقسام القصر المشور، إذ كان هذا هو المكان المخصص للموظفين الذين يساعدون السلطان في إدارة شؤون مملكته.

وهذا المشور حافظ على سماته العربية من زخارف جصية وفسيفساء خامية، وكذلك شعار بني الأحمر الذي نراه بين أشعرة حكام الحمراء من الإسبان، وعلى جانب المشور تقع غرف ومكاتب موظفو السلطان، ويوجد في المشور مصلى، يدل على الحرص في أداء الصلاة، ويوجد فيه عبارة مكتوبة بالخط الكوفي "أقبل على صلاتك ولا تكن من الغافلين" وإلى اليمين من المصلى نرى ساحة المسجد أو ساحة المشور تتوسطها نافورة صغيرة تمِع الماء من فمها وإلى الشمال من هذه الساحة توجد الغرفة الذهبية وهي المكان المخصص لجلوس الحاجب (رئيس الوزراء) المهيمن على جميع موظفي المشور وإلى الجنوب من هذه الساحة نرى سقيفة أخرى تحنها بابان أيسر وأيمن، سدت معالمها على حد قول الأثريين وفوق هذين البابين طراز من الخشب كتبت عليه بعض الأشعار الجميلة وبعد المشور يأتي الديوان ويتمثل في ساحة البركة ثم

---

[1] الذنون، آفاق غرناطة، ص76؛ مؤنس، رحلة الأندلس، ص189.

قاعة العرش أو السفراء كما تسمى أحياناً، وهذا القسم محتفظ بمظهرهُ القديم، تليها ساحة الريحان التي تزينت جدرانه بشعر ابن زمرك، إذ نقرأ على هذه الجدران[1]:

تبـــارك مـــن ولاك أمـــر عبـــادهُ
فـــأولى بـــك الإســـلام فضـــلاً وانعمـــا
فكـم بلـدة للكفـر صـبحت أهلهـا
وأمســـيت فـــي أعمـــارهم متحكمـــا
وطـوقتم طـوق الأسـار فأصـبحوا
ببابـــك يبنـــون القصـــور تخـــدما
وفتحـت بالسـيف الجزيـرة عنـوة
ففتحـــت بابـــاً كـــان للنصـــر مبهمـــا

وراء ساحة البركة برج عظيم يعرف ببرج قمارش، وفيها قاعة قمارش أو كما تسمى قاعة الحنايا وهي أفخم وأوسع قاعات قصر الحمراء وهي قاعة السفراء نفسها، ولا عجب من هذه الأسماء، إذ أن تسميتها بقاعة العرش يرجع إلى أن عرش سلاطين بني الأحمر كان فيها، وقاعة السفراء؛ لأن سفراء الدول الأجنبية كانوا يستقبلون فيها، وقاعة الحنايا لكثرة ما فيها من حنايا، وقاعة قمارش نسبة إلى بلدة واقعة في إقليم مملكة غرناطة، جاء منها البنائون الذين شيدوا هذا الحصن، وتثير هذه القاعات ذكريات وشجون في النفس، إذ فيها وقعت آخر حوادث تاريخ الأندلس في عهد بني الأحمر شهدت شجاعة السلطان أبي عبد الله آخر سلاطين بني الأحمر (892 – 897ه/1486 – 1491م) يوم حوصر من قبل الإسبان، فخرج لهم بمفرده حاملاً سيفهُ، ثم شهدت ضعفهُ واستسلامهُ يوم حمل مفاتيح مملكة غرناطة إلى فرديناند وايزابيلا، إذ وقفت أمه عائشة الحرة تؤءَنِبهُ وهي تشير بأصبعها إلى مملكة غرناطة، وتقول له: "تذكر إن هذا الملك الذي تسلمهُ اليوم إلى أعدائك قد شيدهُ أسلافك بدمائهم، وعرق جبينهم، قد انتهى اليوم على يديك"، وشهدت هذه القاعة أيضاً كريستوف كولومبس[2] يوم استجاب لطلبه فرديناند وايزابيلا وأمدهُ بالسفن لتحقيق أمنيتهُ في اكتشاف المجهول التي كان من نتيجتها اكتشاف أمريكا[3].

وفيه أيضاً قاعة بني سراج وقد كان لهم شأن مع سلاطين مملكة غرناطة الذين حقد عليهم أبو الحسن عندما انحازوا إلى زوجه عائشة الحرة، إذ دبر لهم مكيدة وأقام في قصره وليمة دعاهم إليها وأوعز إلى رجالهِ أن يستقبلوهم فرادى بحيث لا يعرف اللاحق مصير السابق فصبغت دماؤهم الرخام الأبيض، وتأتي بعد قاعة بني السراج قاعة العدل وتسمى في بعض الأحيان باسم قاعة الملوك أو قاعة المحكمة أو قاعة الصور، وبعد هذه القاعة توجد قاعة الأختين يزين أحد أركانها جرة من الخزف نراها معروضة اليوم في متحف الحمراء وهي تدل على سمو هذه الصناعة في الأندلس، ومن الأبنية الأخرى في داخل قصر الحمراء دار عائشة الذي هو عبارة عن مجموعة من الغرف بعضها فوق بعض يستطيع الناظر من الأعلى أن يستمتع بمنظر طبيعي خلاب فيه نهر جارٍ وجبل عالٍ ووادٍ منحدر إلى سهل منبسط وبساط من سندس أخضر،

---

[1] مرزوق، قصر الحمراء، ص73.

[2] كولومبس: رحالة وفيلسوف استطاع أن يقنع ازابيلا وفرديناند بفتوحات ترفع شأن مملكتهم الفتية بالسيطرة على طريق الهند فأقدم هذان الملكان على تجهيزهُ بالسفن المزودة بالمؤن والرجال. للمزيد ينظر: الزيات، مجلة الرسالة، ج637، ص12.

[3] الشمري، دراسات في تاريخ الأندلس، ص177.

وفيه أيضاً حديقة عائشة التي تسمى أيضاً بحديثة البرتقال، أما الحمام فهو يُعدُّ من الأجزاء التي احتفظت بشكلها القديم الذي يذكرنا بحمامات القاهرة التي ترجع إلى عصر المماليك[1].

وفي عام (738ه/1337م) بلغ عددها خمس قناطر[2]، أما الخدمات العمرانية العسكرية فتمثلت في بناء الأسوار، فالحروب التي تعرضت لها مملكة غرناطة أسهمت في ذلك من أجل الحفاظ على معقل للمسلمين، وقد وصف أسوارها ابن الخطيب قائلاً: "ودارت بالأسوار دور السوار" [3] ولم يقتصر بناء الأسوار على السلاطين، بل عمد الوزراء على إنشائها وشاهدنا السور الذي بناه رضوان النصري وزير السلطان يوسف أبي الحجاج المحيط بربض البيازين[4].

واهتم سلاطنة بني الأحمر ببناء الأبراج، إذ بلغت الأبراج المنيعة فيها حوالي ألف وثلاثمائة برج[5]،أسهم هذا الاهتمام في جعل مملكة غرناطة وأهلها تنعم بالأمن والقوة، إذ تيقن السلطان ابن الأحمر أن هذه الأعمال تعزز قوته وثباته وقت المحن[6] وتحمي دولتهُ من أي اعتداء خارجي، إذ أنشأ سنة (635هـ / 1238م) البرج المسمى برج الحراسة الواقع في الطرف الغربي من الهضبة، والذاهب إلى مملكة غرناطة يشاهد معالم هذا البرج ما تزال قائمة[7].

أما السلطان محمد الفقيه فقد عمل على إنشاء خط دفاعي مكون من مجموعة من القلاع والحصون والأبراج، كما اهتم محمد الخامس بتحصين الحدود الشمالية[8] وعمل السلطان يوسف أبو الحجاج على بناء برج قمارش (بهو السفراء)[9] كما أنشأ أيضاً برج الأسيرة، وكذلك برج الأميرات المليء بالنقوش والدعاء إلى السلطان أبي عبد الله محمد الغني بالله[10] أما الوزراء وبالتحديد رضوان النصري الآنف الذكر فقد عني أيضاً ببناء الأبراج، إذ بلغ عدد الأبراج التي بناها أربعين برجاً تمتد من شرق المملكة إلى غربها[11] ومن تلك الأبراج برج السيدات وبرج الأسنة وبرج مخدع الملكة[12] كان الغرض من هذه الأبراج هو مراقبة ورصد حركات العدو وحماية المزارعين الذين اتخذوها في أغلب الأحيان مخبأً لهم من العدو كلما شعروا بالخطر[13]، وقد وصفها ابن الخطيب يقول: "وزينت السماء الدنيا من الأبراج العديدة بأبراج ذات دقائق وأدراج" [14]، أما الحصون فكادت تكون مدينة فهي مودة بالجند يخزن فيها السلاح والذخيرة، وفيها مخازن عامرة بالحبوب وعلف الخيل حتى وصفت بأنها "دار منعة وكرسي ملك ومقام

---

(1) مرزوق، قصر الحمراء، ص73.
(2) القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص209.
(3) ابن الخطيب، معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار، ص119.
(4) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص509؛ فرحات، غرناطة، ص36.
(5) عنان، نهاية الأندلس، ص422.
(6) ايرفنج، قصر الحمراء، ص94.
(7) عنان، الآثار الأندلسية، ص189 – 190.
(8) فرحات، غرناطة، ص72.
(9) عنان، الآثار الأندلسية، ص196.
(10) المرجع نفسه، ص208.
(11) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص509.
(12) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص509.
(13) سالم، العمارة الإسلامية، ص130.
(14) ابن الخطيب، معيار الاختبار، ص119.

حصانة" [1] لقد كان لهذه القلاع والحصون أهمية في حماية البلاد، فيذكر المقري في أحداث 895ه "إن صاحب قشتالة نزل مملكة غرناطة وطلب من أهلها الدخول في طاعته وإلا أفسد عليهم زروعهم، فأعلنوا بالمخالفة، فأفسد الزرع... ووقعت بين المسلمين والعدو حروب كثيرة، ثم ارتحل العدو عند قنْ أيس منهم ذلك الوقت، وهدم بعض الحصون، وأصلح برج همدان والملاحة، وشحنها بما ينبغي، ثم رجع إلى بلادهِ، وعند انصرافهُ نزل صاحب غرناطة من قنْ معه إلى بعض الحصون التي في يد النصارى ففتحها عنوة، وقتل من فيها من النصارى، وأسكنها المسلمين، ورجع إلى مملكة غرناطة[2]، وفي عهد أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج بنى الحصن السامي عن القدرة في الجبل المتصل بقصبة مالقة، فعظم به الفخر وجل الذكر[3].

ومن الحقوق التي حصل عليها الغرناطيون في مملكة بني الأحمر، التوسع في الخدمات الصحية وبناء المنشآت العمرانية ذات الصلة، إذ عملوا على بناء البيمارستان، وهذا يدل على مدى اهتمامهم وعنايتهم بالصحة العامة، إذ عمل محمد بن يوسف بن إسماعيل (755 – 760هـ / 1354 – 1359م) على إنشاء دار للمرضى، لعلاج المسلمين الفقراء والمرضى من باقي المكونات وكان سلاطين بني الأحمر يعدّون هذه المنشآت أعمال بر واحسان، وقد وصفت بيمارستانات مملكة غرناطة بأنها شبيهة لمثيلاتها في مصر[4]، وبنى السلطان محمد الخامس بيمارستان سنة (767 – 768هـ / 1365 – 1366م) ولما انتزعت مملكة غرناطة من العرب سنة (897هـ / 1491م) حولت إلى دار لسك النقود[5].

ومن الحقوق التي حصل عليها الغرناطيون في مجال الصحة والعناية ببناء الحمامات، إذ عدت الحمامات من المؤسسات الاجتماعية الصحية التي لا تخلو منها أي بقعة إسلامية، إذ تميّز الأندلسيون بصورة عامة بنظافتهم واهتمامهم بمظهرهم وصحتهم وجمالهم، ومثلت الحمامات مركزاً اجتماعياً وحضارياً هاماً وللنساء نصيب أكبر منه، إذ كن يتخذن منه مكاناً ليس للنظافة والعناية فقط وإنما للتسامر واللهو وتغيير الأجواء الأسرية المعتاد عليها في المنزل الغرناطي[6]، واهتم السلاطنة بهذه المؤسسة وجعلوا حماماً أو أكثر في جميع المدن الآهلة بالسكان[7]، ومكان الحمامات غالباً ما يكون بالقرب من المساجد، وفي عهد أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن يوسف ثالث سلاطين المملكة بنيّ الحمام بجانب المسجد الأعظم في الحمراء أوقفه للمسجد[8] ومن الجدير بالذكر أن هذه الحمامات لقت اهتماماً من حيث الصيانة والنظافة لتأمين راحة المستحمين فيها، إذ أنها خصصت فقط لأبناء العامة المنتشرين في الأحياء الشعبية الفقيرة، وذلك لأن الطبقة الخاصة من أمراء وأغنياء بنوا حماماتهم الخاصة في قصورهم[9] وقد وصف لنا عنان الحمامات السلطانية بقوله: "وهو عبارة عن حمامات رخامية عدة تتخللها ابهاء صغيرة،

---

[1] ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص97.
[2] المقري، نفح الطيب، ج4، ص523.
[3] ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص134.
[4] بك، تاريخ البيمارستان، ص288 – 289.
[5] السامرائي، مختصر تاريخ الطب، ص197.
[6] عاشور، دراسات في تاريخ الحضارة، ص296 – 297.
[7] بلباس، الأبنية الإسبانية الإسلامية، ص109.
[8] عنان، الآثار الأندلسية، ص208.
[9] فرحات، غرناطة، ص111.

ومازالت بها أماكن وأحواض ظاهرة، وكذلك أماكن المواسير والصنابير"[1] وحصل الغرناطي أيضاً على حقوقه خلال تمتعه ببناء القيساريات والأسواق للبضائع، إذ حظيت مملكة غرناطة بنصيبٌ وافرٌ منها ولاقت العناية والرعاية والاهتمام من قبل السلاطين، إذ عملوا على حمايتها من السرقة وذلك بتعيين مسؤول عنها لحراستها في الليل ومتابعة وتنفيذ أعمال الصيانة فيها[2] ويذكر ابن الخطيب أسواقها بالقول: "الأسواق المرقومة الأطواق، بنفائس الأذواق"، إذ غصت هذه الأسواق بأنواع البضائع من داخل وخارجها مملكة غرناطة[3].

ومن الحقوق التي تمتع بها سكان مملكة غرناطة اهتمام السلاطين بوسائل العمل المختلفة في البلاد المتمثلة بالآت الصناعة والزراعة من مطاحن وآلات نسيج وأفران وآلات العصر وغيرها، وعُدّت صناعة طحن الحبوب من أهم الصناعات الغذائية آنذاك، إذ وجد أكثر من مائة وثلاثين طاحونة[4]، وذكر الحميري أن هذه الصناعات كانت تقام عند أبواب المنازل[5] أما التجارة فقد كانت مرفقاً حيوياً يعتمد عليه اقتصاد البلاد، لذا اهتموا سلاطين بني الأحمر بالتجارة وقاموا بعدد من التدابير أسهمت وبشكل ملحوظ في تنشيط حركة التجارة فعقدت معاهدات الصلح التي كانت من ضمن بنودها حق التجارة مع البلدان الإسلامية والنصرانية؛ وذلك لتأمين وصول المواد والبضائع إلى مملكة غرناطة، فأقاموا علاقات تجارية مع مصر والعراق وإيران وكشمير ومنغوليا[6] منها المعاهدة التي عقدت بين محمد الفقيه وخايمي الثاني ملك ارغوان (695هـ / 1296م)، إذ اتفق الطرفان دخول التجار في التجارة من كلا البلدين، ويسمح لهم بالبيع والشراء، إضافة إلى حق تقديم التسهيلات وحمايتهم من قطاع الطرق والسراق وإنشاء العديد من المخازن التي تحفظ لهم بضائعهم من التلف شرط دفع الضرائب المتفق عليها، كما منحتهم حق الإقامة في الفنادق على أراضي مملكة غرناطة[7]، واهتم سلاطين بني النصر بإصدار قرارات تنص على حق الحفاظ على مستوى الضرائب المفروضة ورفعها إن لزم الأمر في حالات الحرب والاضطرابات[8].

ولتأمين حق وجود أماكن يستريح فيها التجار من عناء السفر اهتم سلاطين بني الأحمر ببناء الفنادق التي كانت متخصصة لإيواء التجار، وكانت هذه الفنادق مؤثثة بكل وسائل الراحة وتوجد فيها قاعات للعجن والطبخ وحمامات للاستحمام[9]، أما أسماؤها فكانت بأسماء البضائع التي تباع وتخزن فيها كفندق الليمون في مملكة غرناطة أو تسمى بأسماء أصحابها كفندق زائدة بمملكة غرناطة أيضاً، وقد أبدع بني الأحمر في بناء هذه الفنادق وأصبحت تنافس الفنادق في الشرق، إذ قصدها التجار وكانت مركزاً للراحة والأمان لهم، ونتيجة للتطور الاقتصادي فقد بلغ عددها في مدينة المرية (970) فندقاً[10]، إضافة إلى هذه الخدمات والبنى التحتية فقد تمتع

---

(1) عنان، الآثار الأندلسية، ص98.
(2) دكي، غرناطة مثال المدنية، ص164.
(3) ابن الخطيب، معيار الاختبار، ص119.
(4) الحميري، الروض المعطار، ج1، ص133.
(5) المصدر نفسه، ج1، ص183.
(6) زمان، النشاط الاقتصادي، أطروحة دكتوراه، ص161.
(7) الطوخي، مظاهر الحضارة ، ص286.
(8) المرجع نفسه، ص288.
(9) دكي، غرناطة مثال من المدينة، ص172.
(10) أبو مصطفى، تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص308.

الغرناطيون في ظل مملكة بني الأحمر بحقوقهم، إذ بذلت تلك المملكة جهودها في سبيل كل ما يوفر الراحة، وذلك خلال الاهتمام بإيصال مياه الشرب إلى المنازل للاستفادة منها في أعمالهم اليومية، ولم تقتصر هذه الأعمال على السلاطين، بل كان لأصحاب البر والخير دور فيها، إذ عمدوا على تقديم كل ما فيه منفعة للمجتمع كحفر الآبار والعمل على تنقية المياه وغيرها من أعمال البر وفي ختام بحثنا وخلال رحلتنا الصغيرة هذه أوضحنا الدور الذي قام به السلاطين وأهل البرّ من اجل إعطاء الحقوق وتوحيد الخدمات العامة للمواطن الغرناطي التي أسهمت وبشكل فعال في التخفيف من همومهِ وآلامهِ الناتجة من الحروب والاضطرابات المتتالية والأوبئة، إذ تمتع بعض سلاطين مملكة غرناطة بالحس الفني العمراني وبعضهم خدم الجانب الاقتصادي وبعضهم الآخر كان لهُ دور في أعمال البرد والخير ليصلوا في النهاية إلى ضمان حقوق الرعية في العيش بسلام وإن يكن هذا السلام نسبياً بالنسبة للغرناطي، أما المعلم الثاني الذي أنشأ في زمن بني الأحمر فكان القصر الملكي، الي تم أنشاءَه زمن محمد بن محمد الملقب بالغالب بالله، أما الأجنحة والأبهاء فأضيفت في عهد السلطان يوسف بن الحجاج مما أكسبها روعة وجمال[1]، ومن المنشآت العمرانية، المدنية التي عُني ابن الأحمر ببنائها القناطر، وفي مملكة غرناطة العديد من القناطر، منها قنطرة رشيق وقنطرة العود[2]، وقنطرة شنيل الواقعة على نهر شنيل[3].

[1] عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص190.
[2] القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص209.
[3] عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص176 – 178.

المبحث الثاني

الحق في حماية الأسواق

السوق: إن لفظة السوق جاءت من سَوق الناس بضائعهم[1]، وهو يذكر ويؤنث[2]، وهو موضع البيعات التي يتعامل بها[3]، كما أنه الموضع الذي تأتي إليه البضائع والمتاع للبيع والشراء، وجاءت لفظة السوق في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا** ﴾[4]، إذن فهو المكان الذي يجتمع فيه الناس من كل مكان للبيع والشراء، أما تعريفه اصطلاحاً فعرفه ابن خلدون[5] بأنه: (المكان الذي يشتمل على حاجات الناس فمنها الضروري وهي الأقوات من الحنطة وغيرها، ومنها الكمالي مثل الأدم والفواكه والملابس والماعون والمراكب وسائر المصانع والمباني فإذ "استبحر المصر وكثر ساكنه رخصت الأسعار"، والأسواق موائد الله في الأرض فمن أتاها أصاب منها[6]، وهي مرآة الحياة لكل مدينة، إذ أنها تعكس الجانب الاقتصادي والصناعي لأي مدينة ومصر[7].

وتكونت الأسواق في مملكة غرناطة بالقرب من المسجد الجامع[8]، وكذلك بالقرب من القناطر، إذ إن هذه المناطق مناطق حركة للمارة[9]، وأُنشت بعض الأسواق بالقرب من السواحل؛ وذلك لسهولة وصول البضائع إليها[10]، وفي مملكة غرناطة أقيمت الأسواق أيضاً داخل الشوارع وكانت متخصصة، مثال ذلك سوق البزاة[11] وسوق الرقيق[12] وسوق الغزل[13].

ولم تهمل الشريعة الإسلامية هذا المرفق العام الذي تعود فائدته إلى الدولة والأشخاص، إذ وضعت العديد من القواعد التي يراعى فيها حقوق البائع والمشتري، فوضعت قواعد تخص المواطن، وسهلت عليه الحصول على كل ما يحتاج إليه، وكان لكل صنعة أو حرفة سوق خاص بها ولا يجوز تقارب بعض أسواق الحرف، وذلك لأن سوق الخبازين والطباخين والحدادين لا يجوز أن يقرب من سوق البزاة أو أسواق المواد الغذائية، لعدم تجانس التجارتين ومن ثَمّ حصول الضرر بالناس وضياع حقوقهم، وقد أشار الشيرازي[14] إلى حماية الأسواق وعدم مرور أحمال

---

(1) ابن سيده، المخصص، ج3، ص435.
(2) الفيومي، المصباح المنير، ج1، ص296.
(3) ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص167.
(4) سورة الفرقان، الآية: 7.
(5) العبر، ج1، ص453.
(6) الدنيوري، عيون الأخبار، ج1، ص283.
(7) متز، الحضارة العربية، ج2، ص358.
(8) العمري، مسالك الأبصار، ج4، ص120؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص214.
(9) العمري، مسالك الأبصار، ج4، ص118.
(10) الشيخلي، الأصناف والمهن، ص84.
(11) فرحات، غرناطة، ص121.
(12) أرسلان، الحلل السندسية، ج1، ص340.
(13) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص325.
(14) الشيزري: شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد بن بسام المحتسب التنيسي هكذا وصف حاله في كتاب " أنيس الجليس في اخبار تنيس" محتسب من أهل مصر سمي بالتنيسي نسبة إلى جزيرة تنيس في بحيرة المنزلة الواقعة بين بورسعيد ودمياط. للمزيد ينظر : الشيزري، محمد بن احمد، بن جمال الدين الشيال، ص13.

الحطب فيها وتأديب الغشاشين[1]، وكان من العقوبات الشائعة لتأديب الغشاشين هي توزيع المادة على الفقراء[2].

بعد ذلك أخذت الدولة تنظر إلى الأسواق كمصدر للدخل، وكان من الضروري إيجاد أداة إدارية مهمتها الأشراف على الأسواق، فوجدت الدولة (منصب المحتسب) وهو منصب ديني اجتماعي يعني بشكل رئيس بالسلعة ومراقبة معاملات البيع والشراء على وفق مبادئ وتعاليم الإسلام والنظر في الطرقات، وقد عرف ابن خلدون الحسبة، إذ قال: "هي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بأمور يعين لذلك من يراه أهلاً له ويتخذ لذلك الأعوان ويبحث عن المنكرات، ويعزز ويؤدب على قدرها، ويحمل الناس على المصالح العامة [3].

وكان على المحتسب مراقبة هذه الأسواق التي زاد عددها في مملكة غرناطة، وذلك لزيادة الأعداد وكان عمل المحتسب فيها سن القوانين لضمان عدم الغش، فمثلاً له الأشراف على عمل الخبازين ومراعاة عدم عجن الخبز بماء الحمام[4]، وينهي عن خلط البارد بالحار، ويشرف على الأوعية التي تعجن فيها؛ ضماناً للصحة العامة[5]، ويجبرون على ارتداء أزياء خاصة بالمهنة، وكان على المحتسب مراقبة مدى إتقان الباعة بالعمل وخاصة الوجبات الغذائية لكيلا تقدم أو تباع نيئ أو فاسدة[6].

إن تنوع النشاط الاقتصادي في مملكة غرناطة كان له أثره في إنشاء أسواق متنوعة، إذ عُرفت مملكة غرناطة بنشاطها الاقتصادي وزراعتها التي اعتمدت على الأمطار، و كان للفلاحين أثر في ذلك؛ لمعرفتهم بمواقيت الزراعة ونوع التربة الملائمة لكل نوع منها، إذ كانت صفة التنوع هي سمة المملكة[7]، واشتهرت جيان بزراعة شجرة التوت التي تتغذى عليها دودة الحرير حتى عرفت بجيان الحرير، وقد اعتمدت عليها صناعة الحرير في مملكة غرناطة[8]، كما زرعت الحبوب والكروم والعنب والتين والزيتون[9]، كما كان جبلها شلير[10] مستودعاً للنباتات الترياقية والأعشاب التي تستخدم في صناعة العقاقير والأدوية[11] إضافة إلى زراعة الفواكه، ولاختلاف الزراعة دور كبير في بروز العديد من الصناعات، مثل صناعة الأدوية والعطور والبخور والأخشاب وصناعة الزيوت المستخرجة من الزيتون وصناعة النسيج الحريري والكتان والأصباغ المتوفرة طيلة العام، إذ كان للنسيج الحريري أهمية كبيرة، إذ تنسج منه الحلل الموشية، ولأهل مملكة غرناطة دراية بصناعة السجاد، وكذلك صناعة الورق التي كان

---

(1) الشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، الباب الثاني، النظر في الأسواق والطرقات، ص11.
(2) المصدر نفسه، ص11.
(3) المقدمة، ص398؛ مجموعة من المؤلفين، مجلة البحوث الإسلامية، ج38، ص229.
(4) ابن عبد الرؤوف، آداب الحسبة والمحتسب، ص73.
(5) السقطي، في آداب الحسبة، ص20.
(6) ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة، ص20.
(7) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص109.
(8) المغربي، المغرب، ج2، ص451.
(9) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص22.
(10) شلير: هو جبل الثلج المشهور بالأندلس وهو جبل البيرة متصل بالبحر يرى ساكنيه الثلج صيفاً وشتاءً. للمزيد ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص343.
(11) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص22.

لشاطبة[1] باع فيها، وانمازت بصناعة أرقى أنواع الورق، وشاع في مملكة غرناطة بيع وشراء الورق والمتاجرة بها، ومن الوراقين المعروفين محمد بن سعيد الأنصاري[2] (ت 645هـ / 1247م) الذي وصفه ابن الخطيب بقوله: "بارع في الخط والوراقة"[3] ومحمد بن أحمد الأنصاري (ت 705هـ / 1305م)[4] الذي وصف ابن الخطيب خطهُ بالجودة فقال عنه: "وانتسخ الكثير من الدواوين بخط بالغ أقصى مبلغ الإجادة والحسن"[5]، وإلى جانب هذا هنالك صناعة منزلية متمثلة بصناعة الأرائك والصناديق، وصناعة الزبيب مشهورة عندهم وزبيب أشبيلة[6] من أجود أنواع الزبيب والعنب والتين يستخدمان لصناعة الخمور التي يتعاطاها الغرناطيون في أيام الأعياد والمناسبات العامة والخاصة وخمر مالقة مضرب مثل في الجودة[7].

وإلى جانب الزراعة ونذكر إلى اهتمامهم بتربية المواشي المنتشرة على سفوح جبالها وأوديتها، إذ اهتموا بالأغنام والأبقار لاسيما للاستفادة منها في الصناعات الغذائية والجلدية والصوفية[8]، أن إسهامات الثروة الحيوانية في مملكة غرناطة كانت أقل من الزراعة والصناعة ولحكم طبيعة أرضها ومناخها، على الرغم من ذلك اشتهرت بوجود العديد من الحيوانات، أمثال الخيول العربية الأصيلة[9]، وكذلك البغال التي وصفت بأنها فارهة، إذ استخدمت للحراثة والتنقل، وكذلك توجد أنواع من الطيور وبالأخص الباز، إذ تباع في أسواق خاصة ومن الجدير بالذكر أن حي البيازين سمي كذلك نسبة إلى وجود أسواق كبيرة لبيع طيور الباز وهو ما يزال موجود إلى وقتنا الحاضر[10].

وفي مجال التجارة اعطى السلاطين بني النصر الحق لجميع الاصناف والمكونات للعمل فيها؛ لكونها موقعاً حيوياً هاماً، إذ قاموا بسلسة من التدابير في هذا الميدان، لتأمين التجارة داخلياً وخارجياً وكان في طليعة هذه التدابير تأمين طرق التجارة مع دول الجوار النصرانية والإسلامية فعقدوا المعاهدات، إذ ضمنت حقوق التجارة مع البلدان المجاورة[11]، ومثال ذلك السفارات مع

---

(1) شاطبة: مدينة جليلة بالأندلس حصينة لها قصبتان ممتنعتان، وهي كريمة البقعة عظيمة الفائدة طيبة الهواء. للمزيد ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص337.

(2) محمد بن سعيد الأنصاري (ت 645 ه / 1247م) هو محمد بن سعيد بن علي بن يوسف الأنصاري يكنى بأبي عبد الله وعرف بين الناس باسم الطراز من اهالي مدينة غرناطة، كان ضابطاً متفنناً بارع الخط حسن الوراقة، ولد سنة (588 ه / 1192م). للمزيد ينظر ابن الخطيب، الإحاطة، مج 3، ص 27، المراكشي، الذيل والتكملة ج1، ص 210؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 390؛ المكناسي، درة الحجال، ص 163.

(3) محمد بن أحمد الأنصاري: من أهل غرناطة يكنى بأبي عبد الله ويعرف بالمواق كان معلماً لكتاب الله تعالى، كان خطيباً بمسجد الفخارين. للمزيد ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ص 175.

(4) ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص27.

(5) المصدر نفسه، ج1، ص75.

(6) اشبيلية: مدينة جليلة من مدن الأندلس وهي مدينة قديمة وكبيرة غربي قرطبة قريبة من البحر وهي أزلية ويذكر أن أصل تسميتها إشبالي ومعناها المدينة المنبسطة. للمزيد ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص558.

(7) المقري، نفح الطيب، ج2، ص219؛ الطوخي، مظاهر الحضارة، ص312.

(8) الخطيب، الإحاطة، ج3، ص42.

(9) القرطبي، ص178.

(10) المقري، نفح الطيب، ص199؛ فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص142 – 143.

(11) عنان، معاهدات الصلح بين الأندلس والممالك الأسبانية ص 90 – 120.

بلدان الجوار المتمثلة بمصر التي تُعَدُّ المنفذ الوحيد لنشاط مملكة غرناطة مع المشرق[1]، وكذلك علاقاتها مع الممالك الإسبانية المتمثلة بمملكة الأرغوان [2].

إن توافر هذه الإمكانيات الاقتصادية ساعد على ظهور الأسواق، وتنظيم أسواق مملكة غرناطة لا يختلف عن أسواق المدن الإسلامية الأخرى، حيث كانت الأسواق غالباً ما تتخصص ببيع بضاعة معينة، فكان هناك سوق الحدادين[3]، وسوق العطارين[4]، وسوق الحرفيين المعروف بالسقاطين وهو يختص ببيع الملابس المستعملة[5]، كما تباع فيه المجوهرات المستعملة ومن أشهر من عرف بهذه الحرفة محمد بن محمد العراقي[6].

كان من الضروري حفظ حقوق الرعية في هذه الأسواق والقيساريات، إذ أن هذه الأماكن بؤرة لتجمع أصناف عدّة من السكان والفئات المختلفة، إذ ان وجود ضعيفي النفوس والغشاشين والمحتالين حالة طبيعية في مثل هكذا أماكن إضافة إلى اختلافهم من حيث المذهب، لذا وجب على الدولة في مثل هذه الظروف حفظ حقوق الرعية، وذلك لمنع الغش والتدليس، إذ نراها وظفت الاشخاص لمنع مثل هكذا حالات، وكان لكل سوق من هذه الأسواق شخص يراقب سير البيع والشراء والأعمال، وجودتها وتحديد السعر الملائم لها خلال وضع التسعيرة المناسبة على المنتجات، ويدعى هذا بالأمين[7]، يتم تعينه من قبل المحتسب لكل مهنة أو حرفة ويكون بمثابة النائب عنه والممثل له لدى أهل تلك الحرفة، وهذا الأمين يسمى عريفاً ويختار من أهل الصلاح والعفاف والثقة ومن شروط اختياره ان تكون له خبرة في الحرفة التي يعين عليها، إذ يتمكن من كشف الغش الذي قد يحدث في تلك الحرفة ويبقى الأمين على تواصل دائم مع المحتسب ليزوده بأخبار السوق[8]، ومن اللذين امتهنوا مهنة الأمين والد أبي إسحاق الساحلي المعروف بالطوبجي، ومن باب حماية الأسواق ومنع الغش والاحتيال فيها كان صاحب السوق يمتحن الأطباء ومعلمي الصناعات لمعرفة مدى كفاءتهم للمنصب، إذ كان مذهب يشترط في الأسواق إجادة صناعها وإلا منعوه من مزاولة عمله[9]، وإلى جانب ذلك نذكر مراقبة الموازين والمكاييل التي كانت من مهام المحتسب، وضعت هذه الموزين من الحديد أو الحجارة أو الزجاج وكانت الحبوب تباع بالقدح، كما كان هنالك مكاييل للطعام يسمى فتيقة[10] وقد انتقلت هذه المفردة إلى الأسبانية Fanege، أما المعادن فكانت توزن بالأوقية والدرهم[11].

---

(1) الطوخي، مظاهر الحضارة، ص 284.
(2) مملكة الارغوان: حصن منيع بالأندلس من أعمال شنتمرية. للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص154؛ عنان، معاهدات الصلح، ص 118.
(3) مؤلف مجهول ، أيام غرناطة، ص44.
(4) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2، ص286.
(5) دكي، غرناطة، ج1، ص158-159.
(6) محمد بن محمد العراقي: الوادي اشي يكنى بأبي عبد الله معروف بالصون والعفاف دمث الأخلاق ينظم وينشر ويجيد الخط تولي اعمالاً نبيهة. للمزيد ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص171.
(7) الأمين: وهو شخص ينتخبه أصحاب الحرف ويكون مرضياً به من قبل المحتسب، والقاضي وهو المسؤول أمام المحتسب بتنظيم أعمال الصناع وحل العقبات التي توجههم حول كلفة الإنتاج وتحديد التسعيرة. للمزيد ينظر: بروفنسال، أدب الأندلس، ص89.
(8) ينظر: كشف الخفا لعجلوني، ج1، ص134؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص329؛ الطوخي، 277.
(9) القيرواني، النوادر، 58 / 7، 70 / 7.
(10) عنان، ج1، ص139.
(11) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص143.

ولضمان حق التبضع والاستمتاع في اسواق مملكة غرناطة حددت أياماً لافتتاح بعضها، إذ منها ما هو أسبوعي يفتح بالأسبوع يوماً واحداً ويكون ضاجاً بالناس والبضائع، مثل سوق الخميس في وسط مملكة غرناطة والأسواق الأخرى في الأرباض، مثل ربض مالقة وقبرة وقرمونة وسوق الثلاثاء في جيان[1].

احتوت القيسارية بداخلها على نظام متكامل بشقيه القضائي والإداري وهيئة للتفتيش متمثلة بالحسبة[2]، وكانت تخضع لنظام واحد من قبل السلطة المركزية؛ لأنها تدر أرباحاً تعتمد عليها الدولة في إدارة أمورها[3]، وقد عمل فيها المحتسب على منع الباعة والمتسوقين من الدخول بدوابهم وذلك من أجل ضمان انسيابية الحركة فيها[4]، وتنوعت الأسواق في مملكة غرناطة، إذ شملت إضافة إلى هذه القيساريات ما يعرف بالسويقة التي غالباً ما كانت تقع خارج المدن، وكانت هذه لتجارة الملابس المستعملة وبائعي السلع الرخيصة وصانعي الأحذية وصباغي الكتان وبائعي الخردات[5]، وكان فيها الأسواق الأسبوعية التي تفتح مرة واحدة في الأسبوع وسبب قيامها هو حاجة الناس إليها، إذ كان في يوم الخميس سوقٌ لمملكة غرناطة[6] وقرمونة[7]، أما في شوذر من كور جيان فكان فيها سوق يوم الثلاثاء، ويباع فيها زيتها المشهور، إذ كانت تعرف بغدير الزيت[8]، وكذلك توجد في مملكة غرناطة الأسواق الجامعة لإيفاء حاجات الناس[9] والأسواق الموسمية مثل أسواق الحج المؤقتة والأسواق العسكرية[10].

وفي مملكة غرناطة كان السلاطين حريصين على توفير أنواع البضائع كافة مما يحتاج إليه الناس من باقي الأسواق، إذ يجد المتبضع كل ما يحتاج إليه، وقد وصف ابن الخطيب أسواقها قائلاً: "وغصَت الدكاكين بالخضر الناعمة والفواكه الطيبة والثمر المدخر "، ومثال على ذلك أن السلاطين عقدوا الاتفاقيات التجارية مع البلدان الأخرى لأجل ذلك، إذ عقد محمد الثاني الملقب بالفقيه مع سفير جنوه معاهدة احتوت على بنود منها حماية مصالح وحقوق الجنوبيين من جهة وتوفير السلع والبضائع التي يستطيعون المتاجرة بها من جهة أخرى، وكانت سواحل مالقة والمرية والمنكب منطقة تجارية واسعة ومسرحاً للتجار الإيطاليين[11].

واشتهرت مملكة غرناطة بوفرة وتنوع أسواقها التجارية الغنية بالمنتوجات والبضائع، وكان لكل حرفة سوق خاص بها، وكان لهذا التخصص دوراً في ضبط وتنمية النشاط الاقتصادي والتجاري، إذ يسهل للمشتري معرفة مكان مشترياته ولضمان الحصول على أجودها وأنسبها إضافة إلى تسهيل عمل المحتسب[12].

---

(1) الحميري، الروض المعطار، ص453 – 518.
(2) دكي، غرناطة، ج1، ص164.
(3) المرجع نفسه، ج1، ص166.
(4) ابن عبدون، رسالة في الحسبة، ص113، 123؛ الطوخي، مظاهر الحضارة، ص274.
(5) بالباس، المدن الإسبانية، ص450؛ أسامة حمدان، الأسواق، ص125.
(6) لوثينا، وثائق عربية، ص24.
(7) الحميري، الروض المعطار، ص461.
(8) المصدر نفسه، ص351.
(9) الطوخي، مظاهر الحضارة، ص275.
(10) السامرائي، أسواق الأندلس، ص50؛ العبدلي، الأسواق في سلطنة غرناطة، ص128.
(11) فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص127.
(12) الشيخلي، الأصناف، ص80 – 83.

كما أن التخصص ضروري لمعرفة البضائع جيدها من رديئها[1]، وكان لاهتمام السلاطين دوراً في ازدهار الأسواق في مملكة غرناطة ونمو وازدهار التجارة[2] ومن هذه الأسواق سوق العطارين، إذ كانت تجارة العطور أكثر التجارات رواجاً وقد وجدت هذه الأسواق قريبة من المسجد[3]، وكان لمزاولة الفتيات هذه المهنة حافزاً لوضع قوانين حفاظاً على سمعتهن وعدم التحرش بهن ومراقبة أماكنهن بحذر[4].

وقد منع بيع بعض المواد للأعداء من النصارى، وذلك لاحتمال استخدامها بأمور تضر بالمسلمين مثل الشمع[5]، وكانت هنالك أسواق وحوانيت للصيادلة وأسواق للزهور، إذ تشير المراجع أن بنت أبي الجيوش فاطمة[6] اشترت سنة 829ه جميع الزهور الموجودة في السوق، ومن الاسواق المشهورة في مملكة غرناطة، سوق الفخارين في المريه الذي انتجت فيه أجود أنواع الفخار[7]، إذ كانت مالقة والمرية مصدرة لأنواع الفخار المذهب إلى البلاد البعيدة [8]، وسوق الجزارين والقصابين وكان هنالك شارع مخصص، هو شارع الجزارين بجوار البيازين، وسوق الطيور الذي كان في أغلب مدنها[9]، إذ كانت الطيور كالدجاج والحمام والصقور تربى وتباع[10]، وسوق الحصارين لعمل الخوص[11] وحوانيت الصابون، إذ عرف عنهم اهتمامهم بالنظافة، وكانوا يفضلونها على قوتهم اليومي[12]، وكذلك وجد سوق الطوابين بسبب حاجة الناس للسكن، إذ وجدت في المملكة باب عرفت بالطوابين[13] ومن الحقوق التي حصل عليها التجار القادمون إلى مملكة غرناطة توفير كل وسائل الراحة للتاجر المسافر القادم من البلدان كافة، فالمسافر لا يحتاج إلى الماء والزاد وذلك لتوفره على الطريق، في جميع المنازل، وقد ذكر الإدريسي وجود عدداً منها على الطريق أمثال منزل أبان بين قرطبة وأشبيلية[14]، وكان من الطبيعي وجود أماكن يستريح فيها التاجر من عناء السفر حيث تتوافر فيها الراحة مع وجود أماكن لخزن البضائع بهدف تسويقها داخلياً أو تصديرها[15]، إذ أقيمت الفنادق لراحة المسافرين والمتبضعين القادمين من مختلف المناطق من الناس، وكانت تحتوي على غرف نوم مريحة فيها الأثاث وحمامات وقاعات خاصة لإعداد الطعام[16]، وتدار من قبل شخص يسمى الفندقي، وهي على غرار الفنادق في وقتنا الحاضر، إذ يسمح للقاطن فيها بقفلها وفتحها متى شاء[17]، وكانت

---

(1) الكبيسي، أسواق بغداد، ص166.
(2) ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص63.
(3) القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص214؛ بالباس، المدن الإسبانية، ص446.
(4) التلمساني، تحفة الناظر، ص78 – 79.
(5) الشاطبي، فتاوى الإمام الشاطبي، ط2، ص147.
(6) الطوخي ، مظاهر الحضارة، ص277.
(7) العمري، مسالك الأبصار، ج4، ص127.
(8) سالم، تاريخ مدينة المريه، ص 171.
(9) بالباس، المدن الإسبانية، ص455.
(10) فرحات، غرناطة، ص121.
(11) العمري، مسالك الأبصار، ج4، 125.
(12) المقري، نفح الطيب، ج1، ص223.
(13) القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص214.
(14) الإدريسي، صفة المغرب، ص201.
(15) عاشور، دراسات في تاريخ الحضارة، ص300.
(16) بالباس، الأبنية الإسبانية الإسلامية، ص119.
(17) حسن، تاريخ الإسلام، ج4، ص391.

تحتوي على دور عبادة أيضاً ومخابز[1]، ولضمان عدم تلف أو ضياع أو سرقة البضائع الواردة إلى أسواق مملكة غرناطة كان هناك ما يعرف بالخانات التي هي عبارة عن مخازن، لخزن بضائعهم، وفي الخان يوجد طابقين، الطابق السفلي دكاكين وأماكن للدواب، وعلوي مخازن للبيع وأماكن لإيواء التجار[2]، وفي مملكة غرناطة سبعة عشر خاناً انتشرت بالقرب من الحمامات العامة وشاهدنا الخان الذي أقيم حول حمام البيازين[3].

وأولى السلاطين في مملكة بني الأحمر اهتماماً في تعبيد الطرق وتهيئتها أمام التجار والمتبضعين على طول البلاد وعرضها فضلاً الطرق التي أنشاها الرومان[4]، ووضعت الدولة في هذه الطرق الأسواق بِعَدّها مرفقاً من المرافق العامة التي تعود فائدتها على الجميع ورفد العديد من القواعد والآداب والأخلاق العامة التي ينبغي على من يمر فيها أو يقطنها الالتزام بها، وهنا يتضح عمل المحتسب الذي ينطلق من مبدأ لا ضرر ولا ضرار، إذ يقوم المحتسب بالمحاسبة في كل ما يتسبب في إزعاج الناس والمارة، إذ يأمر عماله وأمناء الأسواق بالنظر لكل ما يزعج الناس من نجاسات أو وعورة أو ضيق فيها[5]، إذ كان عمله يتلخص في محاربة الغش والمنكرات والفساد بكل أنواعه؛ ليوفر لأفراد المجتمع حياة هادئة مريحة يحصلون فيها على حقوقهم دون عناءٍ وغبن، ومن الحقوق التي حصل عليها التجار للعمل والتجارة في أسواق مملكة غرناطة، هي التوسط لدى الإسبان، للسماح للمدجنين بالعمل في السلطنة، إذ منحت لهم حرية الخروج مع أموالهم للعمل بالسلطنة، مما أدى إلى تطور أوضاع المملكة الاقتصادية، عُرِف عنهم الجد والمثابرة في العمل[6].

ويقع على عاتق المحتسب تنظيم هذه الأسواق والأشراف عليها ومنع الغش في الكيل والميزان فيها، ومنع اختلاط الجيد بالرديء من البضائع وتحديد الأسعار ومحاربة الاحتكار، وتأمين الحماية على الأسواق والمحلات التجارية، كما له لحق أيضاً بالمحافظة عليها من التخريب والسطو الليلي، ومن حق المحتسب وصاحب الشرطة أن يقوما بالمحافظة على الآداب العامة ومنع اختلاط النساء بالأجانب في الأسواق ومثال على أن صاحب السوق أبا بكر ابن الاشبرون لقي سكراناً من الجند فقبض عليه وحاسبه واشتد في عقوبته[7].

والمحتسب أو ما يعرف بنظام الحسبة نظاماً أشبه بالخدمة الاجتماعية والاقتصادية للسكان، وقد أورد لنا المقري في نفع الطيب وصفاً طريفاً لعمل المحتسب، إذ أنه يضع ورقة التسعيرة على اللحم ولا يستطيع الجزار بيعه بسعر أكثر من ذلك، ولكي يكشف خيانته يدس له صبياً أو جارية، فإذا باع أكثر من ثمنه أو نقص في الميزان فإنه يوجه له عقوبة الضرب أو التجريس[8] وإذا لم يتب عن فعله نفي خارج البلد[1]، وللمحتسب أيضاً الحق في منع بيع بعض المواد للأعداد من النصارى لاحتمال استعمالها بأمور قد تضر بالمسلمين مثل الشمع[2] .

---

(1) المرجع نفسه، ج4، ص292.
(2) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج1، ص232.
(3) بالباس، المدن الإسبانية، ص453.
(4) السيد، تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين، ص281.
(5) الجرسيفي، رسائل في الحسبة، ص122.
(6) أرسلان، الحلل، ج2، ص305.
(7) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص41.
(8) التجريس: الأصل في هذه الكلمة هو الجرس أي التشهير والإعلان أي يعلن أمام الملأ مساوئه وكأنما وضع في رقبته جرساً. للمزيد ينظر: الطوخي ، مظاهر الحضارة ، ص185 .

يتم اختيار صاحب السوق على وفق شروط معينة، إذ لابد من أن يكون نزيهاً عفيفاً ورعاً وعالماً[3] وذلك لكي يكون قادراً نفسياً ومعنوياً على حفظ حقوق الناس في الأسواق، لأن ضعفاء النفوس تضر بالرعية ثم الصالح العام ومن ثَمّ سلب الحقوق وانتشار الفوضى والعناد في الأسواق، ويتم تعيينه من قبل القاضي في العصر الغرناطي[4].

وللمحتسب في مملكة غرناطة أهمية كبيرة حتى أن العديد من المحتسبين انتقلوا إلى القضاء، وكانوا يقومون بعملهم المتضمن حماية الأسواق بأكمل وجه، ونشير إلى أهم محتسبي مملكة غرناطة، وهم أبو بكر بن فتح بن علي الأشبرون (ت 698ه/ 1298م) الذي ولي الحسبة في عهد السلطان محمد بن يوسف، وأبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله اللخمي (ت720ه/1320م)، وأبو الحسن محمد بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري (ت 764ه/1362م)[5].

وهؤلاء لهم في أوضاع الاحتساب قوانين يدرسونها كما يدرسون الفقه[6]، وقد انتقلت وظيفة المحتسب إلى المغرب الإسلامي وما زالت موجودة حتى وقتنا[7].

وإلى جانب ذلك كان هناك نوع آخر من الأسواق يسمى بالقيسارية، وهذه التسمية شائعة حتى وقتنا الحاضر، وأشهر قيسارية مملكة غرناطة تُعَدُّ قيسارية غرناطة وهي السوق الرئيس في مملكة غرناطة اهتم بها سلاطين بني الأحمر وكانوا يعملون على حمايتها من السرقة، ولهذه القيسارية مدير يشرف عليها مسؤول عن حفظ الامن والنظام فيها ليلاً ونهاراً يقوم بفتحها صباحاً وغلقها ليلاً [8]، وتعد القيساريات نوعاً من أنواع الأسواق الجامعة، والقيسارية لها تخطيط على شكل مستطيل طرقها مبلطة بالفسيفساء، وكانت عبارة عن طابق واحد لا تسع إلاّ صاحبها، ويبدو أن القيساريات في مملكة غرناطة كانت ملكاً للسلطان يقوم بتأجيرها للتجار عن طريقاً وكلاءَه، وكانت تلك القيساريات تمثل مستودعات وصوامع، إذ ضمت مختلف البضائع وضمت كذلك الفنادق والخانات التي كانت أماكن يقطن فيها التجار الأجانب من المناطق كافة، وضمت مملكة غرناطة العديد من الفنادق، ومثال ذلك فنادق مالقة والمرية وغيرها[9].

وتوجد بعض الآثار لما يعرف باسم سوق الغلال أو الفندق، وهو مخصص لتجارة الحبوب بأنواعها يقع على مقربة من دار البريد، وهو بناء ضخم نقشت عليه كتابة بالخط الكوفي { قل هو الله أحد } وحول الباحة مجموعة غرف وقاعات، وهذه الغرف أعدت لكي تكون مكاناً لمبيت التجار القادمين من أماكن بعيدة، واستخدمت هذه أيام الافرنج مخزناً للفحم، لذا فقد عرفت بدار الفحم وتحول هذا إلى مسرح لعرض الأعمال المسرحية الكلاسيكية وهو اليوم معمل يقصده السواح والمعجبون بتاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ولكي تضمن حقوق التجار[10].

---

(1) المقري، نفح الطيب، ج1، ص204.
(2) الشاطبي، فتاوى الامام الشاطبي، ص147.
(3) المقري، نفح الطيب، ج1، ص204.
(4) ابن عبدون ، الرسالة في القضاء والحسبة، ص20.
(5) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3، ص202.
(6) المقري، نفح الطيب، ج1، ص203 – 204.
(7) المصدر نفسه، ج1، ص203 – 204.
(8) دكي، جيمس، غرناطة مثال من المدينة العربية في الأندلس، الحضارة العربية في الأندلس، ج1، ص163.
(9) وناس، النشاط الاقتصادي في سلطنة غرناطة، ص176.
(10) فرحات، غرناطة، ص182.

ومن أعوان المحتسب، الجواري والغلمان الذين يطاردون الغشاشين والمخالفين، ومن أعوانه أيضاً العيون ويكون عملهم إيصال أخبار الأسواق بالسرعة القصوى لاتخاذ القرارات في معالجة المخالفات حتى لا يعم الضرر[1] للمواطن وأعوان المحتسب الذين يتلخص عملهم في حفظ الأمن في الأسواق ويسير هؤلاء مع المحتسب[2].

مما سبق اتضح لنا أن حقوق الرعية حفظت خلال الدور الذي قام به السلاطين والفقهاء والمحتسبين والامناء في حماة الاسواق الغرناطية من خلال الاجراءات التي قام بها المحتسبين داخلياً والاجراءات والاتفاقات التي قام بها السلاطين مع رؤساء وملوك البلدان المجاورة خارجياً، التي كان الهدف منها حماية الاسواق وتأمين وصول البضائع وكتب الحسبة خير دليل، إذ نجد مهمة ودور المحتسب تتجلى في منع الغش والتدليس وانزال اقصى العقوبات بالمخالفين من حبس وطرد وتنكيل وتجريس[3]، إذ يعدّ المحتسب المنظم الرئيس للحياة الاقتصادية في الاسواق والمانع لجميع العادات السيئة ومن ثَمّ حماية حقوق الناس وحفظ ممتلكاتهم فيه[4].

---

[1] المقري، نفح الطيب، ج1، 218.
[2] المقري، نفح الطيب، ج1، 218؛ ابن الخطيب، اللمحة، 40-41.
[3] الكبيسي، دور الفقهاء، ص185 – 188.
[4] بروفنسال، أدب الأندلس، ص84 – 85.

المبحث الثالث

الحق في الملكية الخاصة والعامة

قبل الحديث عن حق الملكية العامة والخاصة، لابد لنا من ذكر طبقات المجتمع في مملكة غرناطة لما له من علاقة في توضيح الصورة لدى القارئ، إذ قُسِم المجتمع في مملكة غرناطة إلى طبقات عدة.

أولاً ـ طبقات المجتمع

1- الطبقة الخاصة الارستقراطية: انمازت هذه الطبقة بغناها وامتلاكها للأموال وتمثلت في أفراد الأسرة الحاكمة المتمثلة بسلاطين بني النصر وأشرافهم وحاشياتهم ووزرائهم، إذ ظفروا برغيد العيش، وحازوا على الضياع والبساتين في معظم أرجاء مملكة غرناطة، وكان لهم وكلاء يتدبرون شؤون أملاكهم من أراضي وعقارات[1]، وامتلكوا أجمل الجنائن واقتنت هذه الفئة المجوهرات والحلي النفيسة[2].

2- الطبقة الوسطى: تمثلت هذه الطبقة في كبار التجار والمتوسطين وأرباب العمل والموظفين وأصحاب المشاريع الصغيرة، وعاشت هذه الطبقة في ظروف لم تسمح لها من امتلاك الأملاك الكبيرة والضخمة، كما هو الحال في الطبقة الارستقراطية الخاصة، كانوا في حياتهم اقرب للخاصة من العامة، إذ جمعوا الأموال وشيدوا المنازل الضخمة وارتفعوا عن العامة والغوا مع كبار الملاكين طبقة أعيان المملكة إلاّ أنهم ظلوا دون الخاصة؛ لانهم لم يمتلكوا جاه الرئاسة والسيادة[3].

3- الطبقة العامة:، إذ مثلت هذه الطبقة الأغلبية الساحقة في مملكة غرناطة، وسميت بالعامة لتميزها عن الخاصة والوسطى (أعيان المملكة) ويدخل تحت اسم العامة ذوي المهن والحرف الصغيرة والأجراء والفلاحين وصغار التجار والباعة والعاطلين ممن يستخدمون قوتهم وايديهم للحصول على لقمة العيش، إذ ينمازون بمستواهم المعاشي المنخفض وهم بذلك أكثر عرضة للتأثر بالأزمات الاقتصادية والسياسية، وعلى الرغم من تأثر جميع الطبقات بهذه الازمات إلاّ أن العامة كان لها النصيب الأوفر والأشد وطأة، وذلك بسبب امكانياتها المحدودة[4] وقد نعتهم الرحالة عبد الباسط بأنهم " خيار أهل البلاد واشجع الناس "[5].

ثانياً- الحق في الملكية الخاصة والعامة :

1- الملكية لغة واصطلاح:

---

(1) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص125.
(2) المصدر نفسه، ج1، ص139.
(3) فرحات، غرناطة، ص 128.
(4) خالص، العامة في المجتمع الأندلسي، مجلة العلم الجديد، ص 338.
(5) عنان، رحلة عبد الباسط، ص107- 108.

الملك: احتواء الشيء والقدرة على الاستبداد والتصرف فيه[1]، وملك الشيء ملكاً حازه وانفرد بالتصرف فيه فهو مالك[2].

والملك في اللغة بكسر وتسكين اللام التمليك، يقال بيدي ملكية عقد هذه الأرض وهي مصدر صناعي من الملك، قال الفيروز الآبادي: مَلَكَهُ يملكه ملكاً وملكة ومملكة: احتواه قادراً على الاستبداد به، فالملك لغة: هو حيازة المال مع القدرة على التصرف به وهو قريب من المعنى الشرعي[3].

الملك اصطلاحاً: لقد عرف الفقهاء الملك بتعريفات كثيرة متقاربة، فهو الاختصاص الحاجز[4] أي المانع لغيره من الانتفاع به أو التصرف فيه، ويعرف أيضاً بأنه القدرة على التصرف في الرقبة بمنزلة القدرة الحسية[5].

إن الله تعالى هو المالك الحقيقي، وأن الإنسان هو مستخلف لهذا الملك: **﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأرض خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾**[6].

وقال تعالى: **﴿ آَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾** [7].

2-الملكية في الشريعة:

لم تهمل الشريعة الإسلامية أي حق من الحقوق باختلاف أنواعهم، فقد أذنت للأفراد أن يمتلكون ملكية خاصة وأخرى عامة، وقد تضافرت الأدلة على ذلك ومن الأدلة على إقرار الملكية العامة هي النصوص الشرعية التي جاءت عن النبي، أن النبي (ﷺ) قال: "المسلمون شركاء في ثلاث الماء والكلأ والنار" فهي إشارة لمبدأ الملكية العامة[8].

إذن الملكية العامة مقررة من الله سبحانه وتعالى ورسوله لا يجوز لاحد التصرف فيها مادامت متعلقة بالمسلمين كافة، وهي دائمة ومستقرة بدوام واستقرار مصلحة الشعب وهي حق مستقر من حقوق الشعب بِعَدّها مكونة من افراد[9].

وهنا أضاف الله سبحانه وتعالى المال والملك وما تولد من اكتساب للإنسان، إضافة اختصاص وتمليك لا ينازعه أحد فيها من الناس، وفي السنة النبوية أن النبي (صلى الله عليه

---

(1) الجنيدل، نظرية التملك في الإسلام، ص13.
(2) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط، ج2، ص921.
(3) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص225.
(4) البعلي، الملكية الخاصة وضوابطها، ص25.
(5) المصلح، الملكية الخاصة، ص29.
(6) سورة البقرة، الآية: 30
(7) سورة الحديد، الآية: 7.
(8) السجستاني، سنن أبي داود، 4 / 174.
(9) مجموعة من المؤلفين، النظام الاقتصادي في الإسلام، ص240 .

وآله وسلم) قال في حجة الوداع: (فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا، في شهركم هذا)[1].

إن حاجة الإنسان إلى الطعام والشراب والدواء وسائر أمور المعيشة تدفعه وبشدة إلى التكسب الذي هو سبب الملك، وهذا هو نمط الحياة الذي شرعه الله سبحانه وتعالى في هذه الأرض، ولهذا جاء الحث على العمل والتكسب وترك البطالة والكسل؛ رعاية لمصالح الأفراد والجماعات وبذل الأسباب لإيجاد المستوى المعيشي والصحي والتعليمي والثقافي اللائق بهم جماعة وأفراد[2].

وقد خلق الله جميع ما في الأرض وطلب من عباده السعي لابتغاء الرزق وعمارة الأرض وجعلها سبباً في التقرب إليه قال تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأرض جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إلى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (29) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأرض خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾[3].

وأولى أنواع الملكية في مملكة غرناطة، هي الملكية الزراعية حيث كانت مملكة غرناطة تعج بالبساتين والجنان[4]، مثل جنة العريف[5] وجنة مدرج السبيكة[6]، وضمت مملكة غرناطة ما يقارب الثلاثمائة قرية منها ما كانت ملك مشترك، ومنها ما كان لشخص واحد أو اثنان أو أكثر من ذلك، وتركزت معظم المساحات الكبيرة بيد كبار الملاك من أمراء البيت النصري وكبار الموظفين والوزراء وقادة الجند واللذين يمثلون بطبيعة الحال الطبقة العليا، إذ تمكنوا من امتلاك أجود وأخصب الأراضي، وكذلك تمكنوا من امتلاك المنازل والقصور في الأحياء الفخمة، وقد بنيت القصور على درجة عالية من الفن المعماري الأندلسي، ولاشك في أن هذه الفئة انمازت بغناها، فكانت أملاك السلطان تقدر بما يناهز ثلاثين منيه[7] وكانت تسمى بمستخلص السلطان والمستخلص يعني الأراضي الزراعية والعقارات، وتتمثل بملكيته الخاصة وهي كبيرة جداً، ويعود ريعها إلى خزائنه الخاصة ويصفها ابن الخطيب بقوله: "والبساتين العريضة المستخلصة"[8]، وكانت من ضمن أعمال ومسؤوليات الوزير أو القائد، وأحياناً يسمى والٍ[9]، ويسمى بالوكيل حيث تُوكل إليه إدارتها[10].

---

(1) البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رب مبلغ بالرقم 67، 1 / 209.
(2) العبادي، الملكية في الشريعة، ج2، ص97.
(3) سورة البقرة، الآية: 29-30.
(4) الجنان: الحديقة أو البستان في اللهجة لغرناطية. للمزيد ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص116.
(5) جنة العريف: تقع شمال شرق الحمراء وهي مصيف ومتنزه لسلاطين بني الأحمر. للمزيد ينظر: عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص212-214؛ عنان، دولة الإسلام، ج5، ص258.
(6) جنة السبيكة: يطلق هذا الاسم على البسيط الأخضر الشائع جنوب شرق الحمراء، عنان، دولة الإسلام، ج5، ص116.
(7) المنيه: هي البيت الريفي في الأندلس يزرعها صاحبها لنفسه فيجعل منها حديقة، والقسم الآخر يزرع فيها ما يحتاجه، ينظر، مؤنس، رحلة الأندلس، ص289.
(8) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص115.
(9) ابن الخطيب، الإحاطة، عنان، ج1، ص437؛ الطوخي، مظاهر الحضارة، ص295.
(10) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص296؛ لوثينا، وثائق عربية غرناطية، ص28.

ويجب أن يكون الوكيل من خواص السلطان، حيث كان محمد بن المحروق[1] وكيلاً على أملاك محمد الرابع بن السلطان أبو الوليد إسماعيل (725ه -733ه)، وعمل الوكيل يتضمن إعطاءه تفويضاً ليكون المسؤول الأول أمام السلطان على إدارة أراضيه[2].

ومن الجدير بالذكر أن الوكيل له الحق في بيع أراضي السلطان المستخلصة والمسجلة في سجلات المملكة، حيث تشير الوثائق الغرناطية إلى ذلك[3].

وعلى الرغم من أن سلاطين بني الأحمر وخاصة الأوائل كانوا ميالين إلى حياة التقشف والزهد والابتعاد عن حياة الترف، يصف ابن الخطيب محمد الأول بأنه كان "جندياً ثغرياً شهماً أبياً عظيم التجلد رافضاً للدعة والراحة مؤثراً حياة التقشف والاجتراء باليسير...." [4].

إلا أن الحال لم يدم طويلاً، فلم يكن بالإمكان التغلب على مغريات الحياة الغرناطية لاسيما في القرن الثامن الهجري حيث بدء التحول في حياتهم فمالوا إلى الفخامة وبدؤا بجمع الحلي والمباني والعقارات الفخمة، فكان يوسف بن إسماعيل كلفاً بالمباني جماعاً للحلي والذخيرة[5]، وكان محمد بن يوسف بن إسماعيل (755-760هـ /1354- 1359 م) يميل لجمع كل ما هو ثمين، ويوصف بأنه جواد بالخلع الأثيرة، وكان يسعى لزيادة الأراضي المستخلصة حيث تشير الوثائق الغرناطية إلى أن وكيل السلطان يقوم باختيار الأراضي الخصبة والعقارات الثمينة ذات المواقع الممتاز بأمر وتفويض من السلطان[6].

وإلى جانب ذلك كانت أموال السلطان تزداد خلال مصادرة أموال الموظفين الكبار عندما يتعرضون للعقوبة، فعلى سبيل المثال كان لابن الخطيب ضيعة في بقعة من الجنائن تدعى "عين الدمع في الجهة الجنوبية القريبة من مدينة الحمراء خارج أسوار قصبتها، اشتهرت بجمالها وظلالها الفسيحة، وهي من ساكني كبار موظفي الدولة وخدامها"[7].

عند تعرض ابن الخطيب لهذه العقوبة هرب إلى المغرب، وأثناء هروبه واجه أثر الانقلاب الذي قام به شقيق السلطان محمد بن يوسف (755-760هـ / 1354 – 1359م) وهو إسماعيل بن يوسف، وقتل حاجبه رضوان، وفر السلطان إلى وادي آش فسجن ابن الخطيب

---

(1) محمد بن المحروق: محمد بن أحمد بن محمد الأسعردي أبو عبد الله الغرناطي المعروف بالمحروق ولد سنة 672ه ونشأ محيا في الفضائل وأخذ عن أبي جعفر بن الزبير وشارك في الفضائل وكان شاهداً ثم ترقى إلى أن صار وكيل ابن الأحمر أبي الجيوش ثم أبي الوليد. للمزيد ينظر: التميمي، نظم الحكم والإدارة في الأندلس، عصر بني الأحمر 635-897ه، ص87.

(2) لوثينا، وثائق عربية غرناطية، الوثائق رقم ب 4 – ب 1 ب 16 – 65ب؛ الطوخي، مظاهر الحضارة، ص173.

(3) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص30-31.

(4) المصدر نفسه، ص30-31.

(5) المصدر نفسه، ص100.

(6) لوثينا، وثائق غرناطية، ص32.

(7) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص121-122.

وصودرت أمواله لولا تدخل سلطان المغرب أبو سالم المريني[1] وبذل شفاعته، الأمر الذي دفع ابن الخطيب والغني بالله محمد بن يوسف التوجه إلى المغرب[2].

وتعرض الوزير رضوان النصري، إذ قام السلطان سنة (741ه/1340م) بمصادرة أمواله، وفي هذا يقول ابن الخطيب وكسب ثقات السلطان منزله، فاستوعبوا ما اشتمل عليه من نعمة، وضم إلى المستخلص عقاره وسوغ الخير العظيم غلاته[3].

وإلى جانب المستخلص كان هناك الاقطاعات وكانت على نوعين اقطاعات عسكرية واقطاعات أخرى متمثلة بالهبات، فأما الاقطاعات العسكرية فكانت على نوعين الأول تمثل بإقطاع القادة للعقارات، لغرض تسهيل مهمة توزيع العطاء أي استثمارها والاستفادة من عائدها في توزيع العطاء للجند، وهذا دليل على اهتمام السلاطين بالجند إلى جانب اقطاع الرواتب، وغالباً ما كانت هذه الأرزاق تعطى مشاهرة، أي أنها تدفع أول كل شهر إضافة إلى اقطاع أراضي السكن للجند، ومثال ذك ما فعله السلطان محمد الثالث (701 – 708هـ / 1302 – 1308م) حينما أسكن الجنود بجواره وأجرى عليهم الأرزاق الهلالية [4] .

ويذكر المؤرخون أن المرسوم الذي أصدره محمد الخامس (755-760هـ / 1354 – 1359م) عندما ولى ولده على مشيخة الغزاة[5] في الأندلس كان فيها تأكيداً على ضرورة الاهتمام بالجند وبالغ السلاطنة في اهتمامهم بالجند حتى أنهم أعطوا نوعاً من الاقطاعات كتعويض لذوي الجند المتضررين، وهو أشبه براتب يدفع مشاهرة ولا شك في أن ذلك يعود إلى أسباب تتعلق بمملكة غرناطة التي كانت تعيش في حالة حرب مستمرة مع الممالك النصرانية الإسبانية، فكان لابد من ذلك لئلا ينشغلوا بأي شيء آخر سوى حمايتها[6].

وهناك اقطاعات تسمى الهبات وهبها السلاطين إلى الفقهاء والعلماء والأدباء والشعراء، وفي مناسبات عدة، وهذه تكون ملكاً خاصاً لهم وكان يوسف الأول (733 – 755هـ / 1333 – 154م) ما يقرب جهابذة العلم[7] ويجزل فيهم الهبات في شتى المناسبات[8].

وإلى جانب ذلك كانت الأحباس التي تفرضها الدولة وتضعها في خدمة المساجد والموظفين والعاملين فيها وصرفها كذلك على المؤسسات الخدمية مثل المستشفيات والمدارس[9]

---

(1) أبو سالم المريني: هو أبو سالم إبراهيم بن أبي الحسن المريني المستعين بالله تولى الأمر بعد هلاك أخيه أبي عنان ثائراً على ابنه الذي تولى الحكم صبياً مستعيناً بملك قشتالة بعد أن يئس من عون مملكة غرناطة التي كان لاجئاً بها أيام حكم أخيه أبي عنان (760ه / 1359م) قتل سنة (776ه /1374م) أحمد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج4، ص7-40؛ ابن الخطيب، خطرة الطيف، ص14.

(2) المغراوي، رابح عبد الله، ابن الخطيب، (الأندلسي من الانقلاب إلى الاغتيال) (760 - 776ه/1359-1374م)، مجلة حوليات الأدب والعلوم الاجتماعية، جامعة المغرب، العدد26، (1427ه/2006م)، ص73.

(3) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص511.

(4) الأرزاق الهلالية: أرزاق تدفع للجند كل أول شهر. للمزيد ينظر: ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص85؛ وناس، النشاط الاقتصادي في سلطنة غرناطة، ص74.

(5) مشيخة الغزاة: هي قوات عسكرية أقامها المرينيون قرب غرناطة في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي لمتابعة الدفاع عن ما تبقى من الأندلس (670ه - 1271م /744 – 1374). للمزيد ينظر: فؤاد، خطة مشيخة الغزاة وأثرها على العلاقات بين بني الأحمر وبني مرين، ص7.

(6) وناس، النشاط الاقتصادي، ص74.

(7) جهابذة العلم: الجهبذة كلمة فارسية الأصل والجهبذ هو الناقد أو العارف، وكانوا في غرناطة بمثابة وزير المالية: للمزيد ينظر: العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص214.

(8) فرحات، غرناطة، ص121؛ شبانة، يوسف الأول سلطان غرناطة، ص132.

(9) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص508.

ولم تخصص هذه الأحباس للأراضي الزراعية والعقارات والطواحين وصهاريج المياه فقط بل شملت أيضاً الأراضي التي تحبس لدفن الموتى[1] وكان من يقوم بالأحباس موظف يسمى ناظر الحبس، وكان الحاجب رضوان أبرز هؤلاء في مملكة غرناطة[2].

وانمازت طبقة الوزراء باقتناء المنازل الفخمة، وكانوا يميلون إلى البذخ والترف، إذ تمكنوا من امتلاك الحلي والمجوهرات التي اتخذوها زينة لهم، ومثال ذلك نذكر دار الوزير رضوان وما حوته من كتب وذخيرة وأموال، ويبدو أن الملكية لم تكن مختصة، بل شملت رجالاً ونساء مسلمين وذميون، إذ كان للنساء نصيب وافر من الأملاك، وكانت تتمتع باستقلالية اقتصادية، وقد جمعت المصادر الأندلسية وثائقاً تدل على اهتمام هذه الفئة بالحلي والمجوهرات، إذ حدثنا ابن الخطيب عن اهتمامهن بهذا الجانب، وقد عثر على مجموعتين من الحلي في إقليم المرية، وكانت القلائد والخلاخيل من الذهب الخالص لنساء الطبقات العليا أما العامة فكانت من الفضة[3]، ومثال ذلك السماح للنساء المهاجرات إلى المغرب بحمل ممتلكاتهن من الحلي والمجوهرات [4].

أما طبقة التجار المترفة فملكوا أنواع الأملاك، وألفوا مع كبار الملاكين طبقة (أعيان المملكة) وكان لهم إسهامات اجتماعية تدل على مدى غناهم وامتلاكهم، ومثال ذلك إسهاماتهم في حفل استقبال السلطان أبي الحجاج يوسف الأول سنة (748ه/1347م) في مدينة المرية حيث أهدوا للسلطان مظلة من الحرير[5].

ولم تقتصر الملكية على هؤلاء الفئات، إذ شملت الذمين[6]، إذ كان لهم نصيب وافر في امتلاك الأراضي والاقطاعات وحقول الكروم، وتشير الوثائق إلى امتلاك يهودي في طليطلة حوانيت داخل مركز المدينة، وكان لكبار المالكين من الأمراء القشتاليين الاقطاعات الخصبة في فحص[7] مملكة غرناطة تدار من قبل وكلاء[8].

أما بقية الناس (**العامة**) فقد امتلكوا أراضي صغيرة (المالكين الصغار) لا يتجاوز حدود ملكياتهم إلى الدونم أو الدونمين، إذ كان من حق هؤلاء امتلاك الأراضي الصغيرة، وقد يشترك هؤلاء في الملكية، ويرجع هذا إلى ارتفاع اثمان الأراضي، نتيجة الهجرة الناتجة عن عمليات الاسترداد الإسبانية[9]، وشملت الملكية أيضاً امتلاك الجواري، ومثالنا على ذلك امتلاك الفقيه أبو البركات بن الفخار الجذامي (ت 723ه/ 1323م) لجارية رومية[10].

وظاهرة امتلاك الجواري واقتنائهن لم تكن وليدة هذا العصر، إذ ترجع إلى عصر عبد الرحمن الداخل إذ أشار المقري إلى أنه كان قد استجلب معه الجواري من المدينة المنورة

---

(1) ابن سهل، وثائق في أحكام أهل الذمة، ص26.
(2) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ص132.
(3) ابن الخطيب، اللمحة، ص29؛ الطوخي، مظاهر الحضارة، ص85.
(4) الطوخي، مظاهر الحضارة، ص85-86.
(5) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص292؛ اللمحة البدرية، ص54.
(6) ابن سهل، وثائق في أحكام أهل الذمة، ص26.
(7) الفحص: وهي كل موضع سهلٍ أو جبلٍ بشرط أن يكون مزروع أي منبسط. للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، ج4، ص236.
(8) لوثينا، وثائق غرناطية، ص131.
(9) لوثينا، وثائق عربية غرناطية، ص16؛ وناس: النشاط الاقتصادي، ص77..
(10) لوثينا، وثائق عربية غرناطية، ص6.

وأقامهن في دار عرفت بدار المدينات، وقد شغف السلاطين بهن حباً وأغدقوا عليهن في البذخ[1].

ولم تقتصر ظاهرة شراء وامتلاك الجواري على السلاطين، بل شملت العامة أيضاً حيث ضم البيت الغرناطي النساء والجواري فازداد عدد الأولاد في العائلة الواحدة وسُمي من الأبناء بأسماء ومواطن أمهاتهم، فقيل: ابن الرومية وابن القوطية[2]، وكان لموظفي الدولة أملاكهم الخاصة التي تعود عليهم بريع ضخم، ومثالنا على ذلك، القاضي أبو الحسن بن الحسن الجذامي النباهي الذي اغتصب ماله واملاكه بني اشقيلولة ثم استعاد أملاكه وعاش على فائدتها ما بقي من حياته[3].

ويشير ابن الخطيب على امتلاك نساء مملكة غرناطة للحلي والمجوهرات، ويقارن بينهن وبين النساء المغربيات اللائي يضطررن إلى القيام بعملية استئجارها في المناسبات الاجتماعية[4]، حيث مُلِئت صناديق الطبقة المتوسطة في دولة بني النصر[5].

وثمة شواهد تشير إلى امتلاك المرأة وحريتها الاقتصادية شاهدنا على ذلك الأديبة الشلبية التي كان لها وكلاء يديرون أموالها، وهنالك نصوص تاريخية تشهد بذلك[6] وكان للنساء الضياع والأملاك الخاصة بهن كما ثبت من خلال العقود امتلاك امرأة لفندق حيث كانت المرأة تحصل على الأملاك خلال الوراثة والحبس إضافة إلى عملها[7].

فقد تمتعت بامتلاك الأموال، إذ صرفت الأموال في الأعمال الخيرية سواء على أسرتها أم على الفقراء والمحتاجين أم المرضى، حيث كانت سباقة في ذلك تنفيذاً لأمر الله تعالى وطمعاً في الثواب حيث قال عز من قائل: **﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾**[8].

إضافة ذلك أن نساء البلاط حبسن الأموال لهذا الغرض، وكانت الأموال تنفق في بناء المساجد، مثال ذلك مسجد عجب وهذا دليل على امتلاكهن وتمتعهن باستقلالية اقتصادية[9]، ومن باب حماية الملكية تمتعت مملكة غرناطة بنقد سليم لا يتعرض لشيء من الغش الذي يؤدي إلى الانهيار المالي ومن ثَمّ أسهم هذا في حماية الملكية للأشخاص[10].

أما بقية الناس (العامة) فقد امتلكوا أراضي صغيرة (المالكين الصغار) لا يتجاوز حدود ملكياتهم إلى الدونم أو الدونمين، حيث كان من حق هؤلاء امتلاك الأراضي الصغيرة إذا أشترك هؤلاء في الملكية، ويرجع هذا إلى ارتفاع أثمان الأراضي نتيجة الهجرة الناتجة عن عمليات

---

(1) نفح الطيب، ج4، ص136.
(2) المقري، نفح الطيب، ج4، ص138.
(3) الطوخي، مظاهر الحضارة، ص194.
(4) ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ص32-325.
(5) لوثينا، وثائق عربية غرناطية، وثيقة رقم 66، ص104-106؛ الطوخي، مظاهر الحضارة، ص86.
(6) المقري، نفح الطيب، ج4، ص169.
(7) ابن رشد، فتاوى، سفر، ص1634-1635.
(8) سورة آل عمران، الآية: 92.
(9) ابن عذاري، نصوص عن الأندلس، ص122.
(10) عنان، دولة الإسلام، ص449.

الاسترداد الإسبانية[1]، وشملت الملكية أيضاً امتلاك الموالي والجواري، ومثالنا على ذلك امتلاك الفقيه أبو البركات بن الفخار الجذامي (ت723ه/1323م) لجارية رومية[2].

ومن الجدير بالذكر أن معاهدة المادة الأولى من تسليم مملكة غرناطة قد نصت على ترك جميع بيوت وأراضي وعقارات واملاك الرعية دون ان يلحق بها أي ضرر، وان لا يؤخذ شيئاً يخصهم، وان يبقوا رعايا طبيعيين[3].

وفي ختام بحثنا يمكننا القول: إن الملكية في مملكة غرناطة لم تمنح الفئات أو الطبقات كافة، إذ كان هناك تمايز في ما بينهم، فلم تتمكن العامة من امتلاك أي شيء، وبقي عملها قاصراً في الحصول على لقمة العيش، إذ كانت طبقة العامة هي الطبقة الأكثر ضررٍ وخاصة في مدة الاضطرابات، وشاهد ما ذهبنا إليه ظهور طبقة من الفقراء والمعوزين في مملكة غرناطة التي كانت نتيجة السياسات الاقتصادية الخاطئة التي أثرت على العامة في مملكة غرناطة .

---

(1) لوثينا، وثائق عربية غرناطية، ص16؛ وناس، النشاط الاقتصادي، ص77.
(2) لوثينا، وثائق عربية غرناطية، ص6.
(3) الشمري، دراسات في تاريخ الأندلس، ص303.

المبحث الرابع

حق العدل الضريبي

الضريبة: هي مبلغ من المال تتقاضاه الدولة من الأشخاص والمؤسسات بهدف تمويل نفقاتها على القطاعات المختلفة كالجيش والشرطة والتعليم وغيرها، لتحقيق تدخلها في الحياة السياسية والاقتصادية دون أن يقابل أي نفع لكل ممول بعينه[1].

فرضت في الإسلام منذ بداية بزوغه، وكان لها صور عدّة، منها ما هو شرعي كالزكاة[2]، إذ كانت تؤخذ على وفق نص شرعي، وكانت مختصة بالمسلمين دون غيرهم، وكذلك الخراج[3] والجزية[4] التي كانت تؤخذ على الرؤوس يدفعها غير المسلمون، إن الجانب المالي والضريبي لأي دولة أو مملكة يعد المرآة التي تعكس نظامها، وهو مصدرها الأساس في سد نفقاتها وتنفيذ خدماتها، أما الجانب الضريبي فهو جانب أساس في تأمين الموارد للدول، ولم يقتصر فرض الضرائب في مملكة غرناطة على جانب دون آخر، بل تجاوز ذلك وشمل مختلف الشرائح الاجتماعية، وكان من الضرائب في مملكة بني النصر ما هو شرعي، نصّ عليه القرآن والسنة النبوية وغير شرعي الذي فرضته ظروف الحياة في المملكة، مثال ضريبة التعتيب والمعونة[5]، التي كانت ضريبة غير عادية تفرض عندما تكون خزينة الدولة خاوية، وقد أصبحت هذه الضريبة ثابتة في مملكة بني النصر وكانت تفرض على الأراضي والثروات العامة إضافة إلى ذلك كانت هنالك ضرائب غير شرعية تفرض على سكان المملكة التي كان لها أثر على مختلف فئات المجتمع[6].

اذن الضرائب من واردات الدولة تعرضها على الناس حسب حاجتها وما مّر به من ظروف وانتكاسات من أجل تسديد النفقات، إذ ان الاوضاع السياسية التي عاشتها مملكة غرناطة وفي مقدمتها ما فرض عليها من أدوات ومعدات من الجانب القتالي مقابل حماية أهلها من الهجمات والحروب والغارات المتكررة التي كانت محددة بمدة عشرين عاماً كان لها أثرها في زيادة حجم الضرائب المفروضة على الشعب الغرناطي[7]، إضافة إلى ذلك النفقات العسكرية وما صاحبها من رواتب للجند والتحصينات وبناء المنشآت العمرانية العسكرية، فتلك الأمور استنزفت خزينة الدولة واجبرتها على تعويض النقص الحاصل فيها لفرض ضرائب باهظة على السكان، وأولى أنواع الضرائب، الخراج والجزية والعشور وضريبة تفرض على الاراضي الزراعية مختلفة تبعاً لقربها وبعدها عن محاذات الانهار، فالأراضي القريبة من الأنهار تفرض عليها ضريبة اكثر مما لو ابتعدت عنها والضرائب التي تفرضها على الكروم أكثر من غيرها من

---

(1) حماد، معجم المصطلحات الاقتصادية، ص180 – 181.

(2) الزكاة: هي الزيادة والنماء وتستعمل بمعنى الطهارة فيقال زكا المال، إذ نما وزاد، ويقال زكي العرض طاهرُه، وكل شيء يزداد وينمو فهو يزكو، ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص358.

(3) الخراج: شيء يخرجه القوم من مالهم بقدر معلوم وهي الإتاوة تؤخذ من أموال الناس، ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص40.

(4) الجزية: وهي عبارة عن المال الذي يعقد الكتابي عليه الذمة وهي فعله من الجزاء كأنها جزت عن قتلهُ. للمزيد ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص147.

(5) المعونة: يقرضها السلطان على الجهاد في حالات الهجمات المعادية فيطلب من الرعية المعونة لصد هجمات العدو وهي طارئة. للمزيد ينظر: مجهول، آخر ايام غرناطة، ص37.

(6) الونشريسي، المعيار المعرب، ج5، ص32-33؛ الطوخي، مظاهر الحضارة، ص268.

(7) ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص 367.

المحاصيل الأخرى، وكذلك تراعي عند فرض الضرائب خصوبة التربة، فالأراضي الخصبة تفرض عليها ضريبة أكثر من غيرها من الاراضي ومثال ذلك، اراضي مالقة فرضت عليها ضرائب باهظة وذلك لأنها تنتج انواعاً جيدة من الثمار[1].

ونتيجة ظروف المملكة وحروبها؛ فرضت الدولة ضرائب أخرى مقابل الحماية، أما طريقة جمع الضرائب فكان عامل الضرائب يقوم بها، وقد اختلف اسمه من مدة إلى أخرى في المملكة وشاهد ما ذهبنا اليه الظهير الذي صدر باسم السلطان محمد الغني بالله (755-760هـ/ 1354 – 1359م)، إذ أرسل نائبه إلى بعض الجهات محذراً الناس من التقاعس في الدفع أو التهرب من دفع أعشارهم قائلاً: " ويحذرهم المغيب على شيء من أعشارهم"[2] والى جانب العشور الزراعية كانت عشور التجارة[3]، تؤخذ من التجار الغرباء الذين يدخلون أسواق المملكة وكانت ثقيلة على التجارة، ومن الذين تولوا تحصيل وجمع هذه الضرائب محمد بن عبد الله النميري الذي اختص بأعشار مملكة غرناطة [4].

ومن الجدير بالذكر ان الغرناطيين عانوا كثيراً من الضرائب خلال عهد مملكة بني النصر وتحملوا معاناتهم هذه بصبر وقبول؛ لأنها كانت تصرف على أمور الجهاد ضد النصارى وعَدُّوها اسهاماً منهم من أجل الصمود والتحدي والبقاء لآخر معقل من معاقل الدولة العربية الإسلامية في الأندلس[5].

وترفع هذه الضرائب عند هدوء الاوضاع وشاهد كلامنا ما قاله ابن الخطيب فيها: "ورفعنا عنهم رسم التعريف، نظراً لهم بعين الاهتمام "[6].

أولاً- أنواع الضرائب في مملكة غرناطة

1- ضريبة على الرؤوس: وهي ضريبة فرضت على الأشخاص، وكان على رب الأسرة أن يسددها وقد شكلت عبأً، حتى أن بعض المؤرخون[7] قد وصفها بأنها جزية على الرؤوس أعظم من الجزية التي فرضت على أهل الذمة[8].

2- ضريبة السخرة: حيث ألزمت هذه الضريبة الأشخاص بالعمل في المشاريع العامة، مثل بناء الجسور وشق الطرق[9].

---

(1) بكارة، الحرب والمجتمع في مملكة غرناطة، ص157-158.
(2) ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، ج 2، ص60.
(3) عشور التجارة: فرضت هذه الضريبة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) عندما أمر أبو موسى الأشعري بأن يأخذ من تجارهم مثلما يأخذون من تجار المسلمين ضريبة العشر، وتؤخذ هذه الضريبة من التجار مدة في السنة. ينظر: منز، الحضارة الإسلامية، ج1، ص205.
(4) ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص 209.
(5) الغرناطي، الاعتصام، ص13.
(6) ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، ج2، ص60.
(7) ابن حزم، الرد على ابن النغريلة اليهودي ورسائل أخرى، ص176-177.
(8) التلمساني، المسند الصحيح في مآثر مولانا أبي الحسن، ص284.
(9) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2، ص72.

3- ضريبة المعونة أو التقوية: ضريبة تفرض على المواطن للمشاركة في الحملات التي تقوم بها الدولة ضد القبائل التي لا تدفع الضرائب الواجبة عليها، وكذلك تزويد الجيش بالمؤن وغيرها[1].

4- ضريبة دخول الحمامات والأسواق العامة يكلف المحتسب بجمعها [2].

5- ضريبة اللهو: تفرض هذه الضريبة على الأفراح والمناسبات، والمسؤولون عن جمعها يعرفون بالطراقون، حيث كانوا يتجولون بين البيوت[3].

6- ضريبة الوفاة: ضريبة يؤديها أهل الميت لصاحب المواريث[4].

7- ضريبة زكاة الفطرة: تدفع في رمضان[5].

8- الفطر: ضريبة فرضت على الممتلكات نظير حماية الدولة لها[6].

9- ضريبة الفرضة: فرضت هذه على سكان المناطق الساحلية للإسهام في تحصين الأسوار والإنفاق على أعمال المراقبة[7].

10- ضريبة مفرم الدور: تفرض على أصحاب العقارات ولممتلكات يدفعها الشخص نظير حماية الدولة له، وتقدر بمقدار قدح من القمح للدار، أما المفرم على التجارة فيكون بمقدار 10%[8].

11- ضريبة الإعفاء من الخدمة العسكرية: كانت هذه الضريبة خاصة بالمسلمين، وتعدُّ تعويضاً عن عدم مقدرته للمشاركة في الحروب وكانت ثقيلة جداً [9].

12- ضريبة على التركات: تفرض لانتقال رأس المال من المتوفى إلى ورثته[10].

وإلى جانب هذه الضرائب كانت هنالك ضرائب أخرى في المملكة، منها الضرائب التي تفرض على التجارة البرية والبحرية وكانت تمثل عنصراً هاماً للدخل في المملكة وتسمى (تارطيل) استمرت في عهد بني الأحمر، وكذلك زمن الملكين الكاثوليكيين[11].

وفي مملكة غرناطة كانت أيضاً ضريبة المخزن تؤخذ من الفلاح نتيجة استلامه قطعة أرض يقوم بزراعتها، فيقوم هو بدفع خمس أو تسع أو عشر المحصول حسب جودة الأرض.

---

(1) الونشريسي، المعيار، ص40.
(2) ابن عبدون، ثلاث رسائل في الحسبة، ص49.
(3) ابن الخطيب، الإحاطة، ص82.
(4) المصدر نفسه، ص82.
(5) التلمساني، المسند، ص284.
(6) الونشريسي، المعيار، ص69؛ عنان، ج1، ص115.
(7) الطوخي، مظاهر الحضارة ، ص269.
(8) المصدر نفسه، ص267.
(9) ابن الدلائي، نصوص الأندلس، ص125.
(10) الطوخي، مظاهر الحضارة ، ص269.
(11) الطوخي، مظاهر الحضارة ، ص268.

ثانياً-الآثار المترتبة من زيادة الضرائب في مملكة غرناطة

لقد ترتب على هذه المكوس[1] والضرائب آثار جمة تمثلت بارتفاع الأسعار وغلاء المعيشة، فانهارت التجارة وقلت البضائع وأصبح ثمن البضائع يفوق قدرة ذوي الدخل المحدود، وقد أثر ذلك على هذه الطبقات التي اضطرت في بعض الأحيان إلى بيع منازلها بثمن زهيد[2].

وسببت الظروف السيئة في هجرة جماعية حتى سمي أحد شوارعها أو أراضيها (بحوز الوداع)[3] لكثرة عدد المسافرين من مملكة غرناطة، حيث اعتادوا على توديع أحباءَهم في هذا المكان[4].

وكذلك أثرت الضرائب على بروز ظاهرة الرشوة وشراء المناصب وازدادت أوضاع العامة سوءاً حتى أصبحت تمنح للفقراء وثيقة عرفت بوثيقة العدم[5] كما استحدثت خطة الناظر للمساكين[6]، فحبس بعض الأثرياء قسماً من املاكهم للفقراء والمحتاجين[7].

ترى الباحثة المستشرقة مانويلا مارين أن الحياة الأندلسية المترفة فيها نوع من المبالغة وأن الاستمتاع بالخيرات والملذات لم ينعم بها إلاّ فئة قليلة حيث كانت محصورة بالأمراء والملوك والأغنياء، وكانت نظرة الدولة للعامة تتمثل بِعَدّها مصدراً رئيساً للضرائب، وقد عبر أحد المؤرخين عن ذلك بالقول: "الرعية كانت مصدراً للمال وأداة لأداء الضرائب"[8].

وقد للوساطة دورٌ كبيرٌ في إعفاء قسماً كبيراً من المتنفذين من الضرائب والمكوس، ومثال ذلك أن الفقيه ابن رشيد استغل مكانته ليرفع عن والد أبي عبد الله الحسني[9] ضريبة عقارية، ويصدر هذا الإعفاء بظهير رسمي، ومثال الظهر الذي أصدره محمد الأول (635-671هـ / 1241–1272م) بخصوص إعفاء رجل يدعى بأبي بكر بن مهيب اللخمي[10]، (ت 645 هـ / 1247م) جاء فيه: "والمحاشات من اللوازم والمعاوز والمغارم " ولم يشير ابن الخطيب إلى سبب هذا الاعفاء، وكذلك أصدار السلطان أبو الحسن علي بن سعد (857-868هـ /

---

(1) المكوس: جمع مكس ما يأخذه أعوان الدولة من أشياء معينة عند بيعها أو عند إدخالها الدولة وهو الضريبة التي يأخذها الماكس أو العاشر والمكس: هو المال الذي يؤخذ على التجارة التي تمر بثغور الدولة. للمزيد ينظر: زلوم، الأموال في دولة الخلافة، ص107.

(2) الطوخي، مظاهر الحضارة ، ص267.

(3) حوز الوداع. للمزيد ينظر: المقري، نفح الطيب، ج10، ص230.

(4) حوة فطيمة: تنظيم بيت المال عند الأدارسة والمرابطين والموحدين، ص303.

(5) وثيقة العدم: وهي وثيقة تثبت فقر صحبها يستطيع خلالها الحصول على المساعدات والصدقات من الناظر للمساكين، للمزيد ينظر: ابن عبدون، ثلاث رسائل في الحسبة، ص12.

(6) ابن رشد ، مسائل ابن رشد (الجد)، ص281.

(7) بوتشيش، مباحث، ص170؛ مارين، فن العيش الأندلس، ص56.

(8) الشنتريني، ابن بسام، الذخيرة، ج1، ص622.

(9) أبو عبد الله الخشني، قدم الأندلس فسمع من ابن أيمن وقاسم بن أصبغ وأحمد بن عبادة ومحمد بن يحي بن لبابة واستوطن بعد ذلك قرطبة، قال ابن عفيف كان حافظاً للفقه، متقدماً فيه، له كتاب الاتفاق والاختلاف في مذهب مالك وكتاب الفتيا، وتاريخ الأندلس وتاريخ الأفريقيين للمزيد ينظر: سير أعلام النبلاء، ج16، ص166.

(10) أبو بكر بن مهيب النحمي: أديباً شاعراً شريفاً عالي الهمة وهو الذي عقد الصلح بين ابن الأحمر وابن الرحيمي أسفرت وساطته عن تسليم المدينة لابن الأحمر. ينظر الإحاطة، ج2، ص 418- 426.

1353-1463م) ظهيراً آخر لتاجر من القاهرة بأن " لا يؤخذ منه شيئاً يلزم التجارة من المغارم " وربما كانت الوساطة والقرب من السلاطين السبب في هذا الاعفاء[1].

ومن الجدير بالذكر أن الضرائب والمكوس أثرت كذلك على العلم، وذلك لارتفاع تكاليف العيش وعدم مجانية التعليم، وكان الطلبة في الأندلس يقرؤون بالأجرة، الأمر الذي أدى إلى هجرة الكثير من العلماء طلباً للعلم وأصبحت الرحلة إلى المشرق حلم وأمل لكل طالب علم في مملكة غرناطة ووقعت الكثير من المقارنات بين مملكة غرناطة وحواضر العالم الأخرى المتمثلة بمصر المملوكية[2] حيث نتج أن خفت نور الحضارة الأندلسية ليتحول إلى غيرها من المناطق[3].

وقد نظر بعض الفقهاء نظرة استياء لها؛ لأنها كانت خارجة عن الشرع، ومثال ذلك الفقيه أبو سعيد بن لب[4] والقاضي ابن حمدين[5] الذي عمل على إلغاء القبالات وضريبة المعونة، وقد لاقى نتيجة عمله هذا حب واحترام الناس كذلك كان للقاضي عياض[6] موقفاً من الضرائب حيث قام بإلغاء العديد من الضرائب في منطقة الجزيرة الخضراء[7].

في حين أجازها بعضهم بِعَدّها أنها وضعت لقضاء مصالح الناس، حيث استطاع سلاطنة بنو الأحمر من اقناع بعض الفقهاء بشرعية الضرائب غير الشرعية أمثال ابن إسحاق الشاطبي[8] (ت790ه/1388م)، الذي كان يرى أنها وجدت للصالح العام[9].

وأجازها بالقول: "فإنا إذا قررنا إماماً مطاعاً مفتقراً إلى تكثير الجنود لسد حاجة الثغور وحماية الملك المتسع الأقطار وخلا بيت المال وارتفعت حاجة الجند إلى ما لا يكفيهم، فللإمام إذا كان عادلاً أن يوظف على الأغنياء ما يراه كافياً لهم في المال إلى أن يظهر مالاً من بيت المال ثم إليه النظر في توظيف ذلك على الغلات والثمار وغير ذلك، وإنما لم ينقل مثل هذا عن الأولين في العصور الإسلامية الأولى لاتساع بيت المال في زمنهم بخلاف زماننا فإن القضية فيها وجوه أخرى، ووجه المصلحة هنا ظاهر، فلو لم يفعل الإمام ذلك بطلت شركة الإمام وصارت دياره عرضة لاستيلاء الكفار"[10]، وقد وصفها ابن الخطيب بقوله "والمكوس التي تطرد البركة وتنفيها"[11].

---

(1) عنان، رواية عصرية عن المغرب والأندلس، ص 108.
(2) ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ص336.
(3) الطوخي، مظاهر الحضارة، ص321.
(4) أبو سعيد بن لب: عالم مسلم أندلسي كان مفتي غرناطة وخطيب الجامع الأعظم والمدرس بالمدرسة النصرية، له شروح فقهية عدة وأرجوازات ورسائل مخطوطة. للمزيد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ط31، ج21، ص261.
(5) ابن حمدين: من أكابر أهل قرطبة وأحد قضاتها يسمى بأمير المؤمنين بعد هلاك ابن تاشفين، ودعي له في الخطبة على أكثر منابر الأندلس، توفى سنة 548ه. للمزيد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ط29، ج2، ص243.
(6) القاضي عياض: عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض الدوجي الأندلسي السبتي المالكي، أستقضى سبتة مدة طويلة حمدت سيرته فيها ثم نقل إلى غرناطة فلم يطول بها، حاز من الرئاسة والرفعة ما لم يصل إليه أحد. للمزيد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ط29، ج20، ص212.
(7) الجزيرة يقال بها جزيرة أم حكيم وهي جارية طارق بن زياد مولى موسى بن نصير بينها وبين قلشانة أربعة وستون ميلاً وهي على ربوة مشرفة على البحر منيعة سورها حجارة، وبها أقام الحضر الجدار وخرق السفينة. للمزيد ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص223.
(8) الشاطبي: الإمام المسند أبو محمد عبد الله بن علي بن أحمد بن علي اللخمي الأندلسي: الشاطبي: سبط الحافظ عبد البر ولي قضاء أغمات، توفى سنة 532ه. للمزيد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ط28، ج20، ص92.
(9) الطوخي، مظاهر الحضارة، ص218.
(10) الشاطبي، الاعتصام، ج2، ص121.
(11) ابن الخطيب، معيار في مشاهدات، ص91.

وكان قسم من الضرائب يجبى بصورة عرضية، من بينها ضريبة المنازل الآنفة الذكر، إلاّ أن الجزية التي تؤديها مملكة غرناطة كل عام هي الدافع وراء أغلب الضرائب وكان السكان يدفعونها برضى لأنهم يرون فيها تأميناً لحياتهم[1].

إلا أن هناك بعض الحالات التي أدت إلى حدوث ثورات واضطرابات، منها الثورة التي قامت في حي البيازين أثر زيادة الضرائب على الرعية من قبل السلطان أبي الحسن (868 – 887هـ / 1463 – 1482م) ، فثاروا ضده وعزلوه وأعلنوا البيعة[2] لابنه أبي عبد الله[3] بدعم من بني سراج [4].

إلا أن هناك شروط يجب مراعاتها في فرض الضرائب، إذ يجب أن تُجبى بالرفق والعدل وأن تتناسب مع القدرة التكليفية للأشخاص، وأن تفرض على الجميع دون تمييز بينهم، وقد نصّ الإسلام على ضرورة العدل في فرض الضرائب وأن لا تفرض إلاّ بوجود حاجات حقيقية وضرورية، مثل التحصين والدفاع ورد العدو وسد نفقات المرافق العامة، وكذلك يجب مشاورة أهل الرأي في فرض الضرائب، إن تشريع الضرائب في مملكة بني الأحمر في مملكة غرناطة كان أمراً طبيعياً تبعاً للظروف التي مرت بها الدولة، لأن الفترة موضوع البحث كانت مليئة بالكوارث والحروب والأوبئة والجفاف ناهيك عن مبلغ الجزية الذي فرض على سلاطين بني النصر من قبل حكام قشتالة، إذ كانوا قادرين على إقناع السلاطين بشرعية حياتها[5].

كان الموظف المسؤول عن جمع وجباية الضرائب يطلق عليه اسم العامل، وقد يتغير اسم عامل الضرائب من وقت لآخر، ففي عهد محمد الثاني كان يسمى بمتولي الخفارة وكان له سلطة عظيمة فكان يقوم بجباية الضرائب والقضاء على التسيب والإهمال فيها[6]، وفي عهد محمد الثامن عرفوا بخدام الجباية، وبعد ذلك أصبح يعرف بصاحب الزكاة والمواريث، ويطلق هذا على العامل الذي يجمع زكاة الضريبة الخاصة بالمواريث[7]، أما ضريبة المخزن فكان يشرف على تحصيلها شخص مكلف بتحصيل الزكاة على المخزن يسمى المشرف[8].

وكانت الضرائب في مملكة غرناطة تُجمع مقابل وصل يثبت هذه الجباية أمام المسؤولين عنها يدفع عنه مبلغ مقدر من قبل السلطة العليا المسؤولة عن الجباية[9]، ويضمن هذا الوصل حق الأشخاص لكي لا يضطر إلى دفعها مرة أخرى.

وخلاصة القول: إن الضرائب والمكوس في مملكة غرناطة لم تسلم منها أي طبقة اجتماعية إلاّ في بعض الحالات التي تعفى منها الضرائب لأسباب خاصة، وإن هذا الوضع جعل

---

(1) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص140؛ اللمحة، ص27.
(2) ينظر، عنان، نهاية الأندلس، ص118.
(3) أبو الحسن، علي بن سعد بن علي بن يوسف (المستغني بالله) بن محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف من بني نصر المنحدرة من قبيلة الخزرج القحطانية عرف عند الأسبان بمولاي الحسن.
(4) فرحات، غرناطة، ص48.
(5) الطوخي، مظاهر الحضارة، ص265 – 266.
(6) النباهي، نزهة البصائر؛ الطوخي، مظاهر الحضارة، ص263.
(7) دي، لوثينا، وثائق عربية غرناطية، وثيقة رقم 64، ص109.
(8) الطوخي، مظاهر الحضارة، ص263.
(9) المصدر نفسه، ص269.

الفقهاء يصف حالتها في الأندلس بالقول: لا يوجد في الأندلس درهماً يقع حلال ولا دينار طيباً يقع على أنه حلال[1] وأن هذا العبء الضريبي كان سبباً رئيساً في تغيير الكثير من الأوضاع في الأندلس فكان له تأثير على المستويات كافة، ومن ثَمّ أدى إلى هجرة العديد من العلماء والفقهاء والأدباء إلى مراكز اقتصادية وثقافية جديدة، إذ أثرت على مستوى التعليم وأدت إلى صرف العديد من الطلبة عنه، وظهور زعامات أصبح لها ثقلها الاجتماعي، وأثرت على المستوى المعاشي للمواطنين، إذ صاحبت ارتفاع أسعار المواد حتى وصل بالرعية إلى بيع ثيابهم لتوفير ثمن مأكلهم.

إضافة إلى أن الضرائب في مملكة غرناطة تعددت وشملت كل أصناف المجتمع الغرناطي لاسيما الفلاحين، وشملت أيضاً أهل الذمة وتمثلت في ضريبة الخراج لقاء حماية الدولة، إذ أشرف على جمعها القومس، كذلك كانت الفئة المشمولة المولدون الذين فُرضت عليهم الزكاة لدخولهم الإسلام مقابل إعفائهم من دفع الجزية والخراج.

---

[1] ابن حزم، رسائل ابن حزم، ص176-177.

الخلاصة والاستنتاجات

بعد إكمال بحثي الموسوم (حقوق الإنسان في الأندلس عصر مملكة غرناطة (635 – 897هـ / 1238 – 1492م) توصلت إلى جملة من النتائج والاستنتاجات، أهمها:

1- ان الحقوق السياسية في مملكة غرناطة انتهت وسيست وذلك خلال توريث الحكم إلى الأبناء، إذ لم يعط السلاطين في مملكة بني الأحمر الحق للعامة في التدخل في الحكم والسياسة، وذلك خوفاً من أن يؤول الأمر لغير أفراد البيت النصري، أي أن مسألة الحقوق السياسية في مملكة بني النصر تكاد تكون شكلية وقد تمثلت في البيعة.

2- قربت السلطات في مملكة غرناطة بعض طبقات المجتمع في تولي الوظائف العليا والادارة وابعدت العامة عن مثل هذه الوظائف، إذ سلبت حقوقهم واعتمدت على أجناس معينة من عليه القوم للقيام بالوظائف العليا، مما ساعد على ظهور طبقة ارستقراطية بعيدة عن الشعب وهمومه.

3- حفظت مملكة غرناطة الحقوق في الحرية والمساواة والعدل، وسُمِحت بأبداء الرأي إلاّ أنها عجزت عن ذلك في مدة الاضطرابات السياسية والكوارث الطبيعية.

4- اعطى السلاطين في مملكة غرناطة أهل الذمة حقوقهم، ولم تسلبهم أي حق من حقوقهم، إذ أعطتهم حق حرية القيام بالشعائر الخاصة بهم، وكان لهم كنائسهم الخاصة وحماماتهم ومقابرهم.

5- اهتمت مملكة غرناطة بحق رعاية كبار السن والأيتام والأرامل وذوي الاحتياجات الخاصة أهمية بالغة، وذلك خلال قيامهم بالرعاية الاجتماعية والصحية سلاطين وفقهاء وعلماء وذلك بأنشاء الدور لهم والإسهام في أعمال البرّ التي تحفظ ماء وجوههم.

6- اهتم السلاطين في مملكة غرناطة بحقوق الأسرى، وذلك خلال عمليات افتكاكهم وعقد المعاهدات وتنفيذ لذلك والقيام بالتبرعات وأعمال البرّ لتوفير أموال افتكاكهم.

7- اهتمت مملكة غرناطة بالعلم والعلماء، وذلك خلال تعزيزهم وأعطائهم الحريات وبناء المدارس والمراكز التعليم الأخرى المتمثلة بالكتاتيب والمساجد والمدارس والاربطة، وأعطت حق التعليم للعامة والخاصة.

8- احترمت مملكة غرناطة حق الملكية الخاصة من عقارات وأموال إلاّ أن هذا لم يكن سياسة ثابتة بدليل مصادرة الأموال في أوقات الاضطرابات السياسية والانقلابات.

9- أُعِطيت المرأة الغرناطية في مملكة غرناطة حقوقها كاملة، إذ مارست نشاطاتها الاجتماعية والثقافية والعلمية والسياسية دون مساس بدليل ما وضعه الفقهاء من فتاوى لضمان حقوقها.

10- يتمتع العبيد والجواري في مملكة غرناطة بحقوقهم، إذ أصبح العديد منهم ذو حظوة وأصبح الجواري زوجات للمسلمين وأمهاتاً لأولادهم، ومنحنّ حقوقهن كافة في المملكة.

11- منحت مملكة غرناطة حقوق الناس الدينية في العبادة وقيام الشعائر والاحتفالات والعطل، ولم تضيق على مذهب من المذاهب على الرغم أن من المملكة كانت على المذهب المالكي، إذ نجد العديد من المذاهب والطوائف فيها يمارسون شعارهم بحرية تامة.

12- مثلت مملكة غرناطة أنموذجاً للانسجام والانصهار الفكري والثقافي والحضاري وللأطياف كافة.

13- أعطت مملكة غرناطة الحق للتجار، ومنحتهم الامتيازات، إذ كونوا طبقة أعيان الدولة، وكان هذا بالغ الأثر في ازدهار وتطوير تجارة غرناطة، وذلك خلال تقديم التسهيلات والخدمات الداخلية والخارجية.

14- اعطت مملكة غرناطة الحق للعامة في العمل والتكسب في جميع المجالات الزراعية والصناعية والتجارية، وظهرت طبقة من الأجراء والحرفيين والصناع، إذ أسهموا في ازدهار غرناطة الاقتصادي، واقترنت اسماءهم بأسماء الحرفة والصناعة التي احترفوها.

15- حرصت مملكة غرناطة على الاهتمام بالبنى التحتية خلال إعطائها حقوق المواطنين، وذلك بأنشاء العديد من المباني، كالمساجد والقصور والدور والقناطر والأبنية والأبراج والأسوار فحفظ ذلك حقوقهم الدينية والامنية والمدنية.

16- أعطى السلاطين مملكة غرناطة حق الرعية في التسلية والترفيه خلال توفير المباني الجميلة والشوارع والحدائق والمتنزهات وحلبات السباق لممارسة حقهم في التسلية والترفيه.

17- كانت مسالة الحقوق في مملكة غرناطة تتأرجح، وذلك حسب حالة البلاد واستقرارها، إذ أُعطيت في بعض الأحيان وصودرت في أحيان أخرى، فالاضطرابات والانقلابات والحروب والأوبئة لم تكن في حالة ثابتة، وكان هذا التأثير على الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية .

ولو تفحصنا معاهدة التسليم العلنية المبرمة بين عبد الله الصغير والملك فرديناند لوجدناها تحوي على العديد من الحقوق التي حرص سلاطنة بني الأحمر على توفيرها للرعية إلاّ أن حالة غرناطة المتأرجحة بين الثبات والهزيمة، وبين الأمن والقلق، وبين الهدوء والاضطراب أسهمت في انتهاك هذه الحقوق ومصادرتها ومن ثم سقوطها للابد.

قائمة
المصادر
و
المراجع

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

أولاً- المصادر

- **ابن الابار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر الأندلسي (ت: 658هـ / 1159م)**

1. التكملة لكتاب الصلة، الناشر عزت العطار الحسيني، مطبعة السعادة، القاهرة، 1375هـ / 1956م.

2. الحلة السيراء، ج1، تح: حسين مؤنس، القاهرة: 1338ه/ 1963م.

- **ابن الأحمر، إسماعيل بن يوسف بن محمد (ت: 807هـ / 1306م)**

3. نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان، تح: محمد رضوان الداية، دار الثقافة للطباعة والنشر، بيروت، 1387م.

- **الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس (ت: 560هـ / 1164م)**

4. صفة المغرب وأرض السودان والمغرب والأندلس، دار صادر للطباعة والنشر، 1402ه/ 1982 م.

5. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطبعة عالم الكتاب، ط1، بيروت: 1988م.

- **الأزدي، أحمد بن إبراهيم بن يحيى**

6. تحفة المغترب في بلاد المغرب، تح: فرنا نوردي لاجرانخا، ج1، منشورات المعهد المصري للدراسات الإسلامية، 1394ه/ 1974م.

- **الأصفهاني، أبو فرج**

7. الأغاني، ج5، تح: سمير جابر، مطبعة الاستقامة، ط1، بيروت: لا. ت.

- **الإمام مالك، أبو عبد الله ملك بن أنس الأصبحي الحميدي (ت: 179هـ)**

8. الموطأ، رواية يحيى بن يحيى الليثي، ت: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1979م.

- **البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله (ت: 256هـ /869م)**

9. صحيح البخاري، كتاب الجامع المسند الصحيح، تح: محمد إبراهيم بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، القاهرة: 1422هـ.

- **البرزلي، أبي القاسم بن أحمد التونسي البلوي**

10. فتاوى البرزلي، جامع مسائل الأحكام، تقديم: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م.

- **ابن بسام، محمد بن أحمد المحتسب (ت: 626هـ / 1263م)**

11. نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تح: حسام الدين السامرائي، مطبعة المعارف، بغداد: 1968م.

- **البيروني، محمد بن أحمد**

12. الاثار الباقية دون القرون الخالية، لين، د. مط، 1923م.

- **التنبكتي، أحمد بن أحمد بن عمر آقين (ت: 1076هـ /1626م)**

13. نبل الابتهاج بتطريز الديباج، مطبعة عباس بن عبد السلام، ط1، القاهرة: 1351م.

- **التنوخي، أبو علي المحسن بن علي،**

14. الخروج بعد الشدة، تح: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، 1978م.

- **الجرسيفي، عمر بن عثمان بن العباس (ت: في القرن 6 هـ / 12م)**

15. رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، تح: ليفي بروفنسال، نشر ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة: 1955م.

- **ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد (ت: 456هـ / 1063م)**

16. فضائل الأندلس وأهلها، نشر بعنوان وأهلها لابن حزم وابن سعيد والشقندي، تقديم: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ط1، بيروت: 1968م.

- **الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت: 900هـ / 1494م)**

17. الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مطبعة هيدلبرغ، ط2، بيروت: 1984م.

- **الحنبلي، ابن العماد عبد الحي أحمد بن محمد العكري (ت: 1089ه/ 1678م)**

18. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبد القادر الأرنؤط – محمد الأرناؤط، دار بن كثير، دمشق: 1985م.

- **ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل النصيبي (ت: 380ه/ 990م)**

19. صورة الأرض، ليدن، ط2، 1387ه/ 1967م.

- **ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله الاشبيلي (ت: 529هـ / 1134م)**

20. قلائد العقبان ومحاسن الأعيان، تح: د. حسين يوسف خريوش، مطبعة المنار، ط1، الأردن، 1410هـ / 1989م.

- **الخشني، أبو عبد الله محمد بن الحارث (ت: 361)**

21. قضاة قرطبة وعلماء أفريقية، تح: عزت العطار، مكتبة الخانجي، القاهرة: 1994م.

- **ابن الخطيب، أبي عبد الله محمد بن سعيد بن أحمد السلماني (ت: 776ه)**

22. كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تر: محمد كمال شبانه، مراجعة: حسن محمود، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة: د / ت.

23. الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 1973م.

24. ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تح: محمد عبد الله عنان، ج1، مكتبة الخانجي بالقاهرة، (1980م)، المطبعة العربية الحديثة.

25. الإحاطة في أخبار غرناطة، تقديم يوسف علي الطويل، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 2003م.

26. اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تصحيح: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة: 1347هـ.

27. حضرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف، تح: أحمد مختار العبادي، (نشر ضمن كتاب مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، مطبعة جامعة الإسكندرية، الإسكندرية: 1958م.

28. أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، تح: ليفي بروفنسال، دار المأمون، بيروت: 1956.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن عبد الرحمن (ت: 732 - 808هـ / 1332 – 1406م)

29. مقدّمة ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، ط1، 1401ه/ 1981م.

- ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن حسن (ت: 633هـ / 1335م)

30. المطرب في أشعار المغرب، تح: إبراهيم الأيباري وحامد عبد المجيد، المطبعة الأميرية، القاهرة: 1955م.

- ابن الدلائي، أبو عبد الله محمد الحاج بن محمد بن أبي بكر (ت: 1082هـ / 1671م)

31. نصوص الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنوع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، ت: عبد العزيز الاهواني، معهد الدراسات الإسلامية في مدريد.

- الدمشقي شيخ الربوة، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب (ت: 727هـ /1326م)

32. تحفة الدهر في عجائب البر والبحر، نشر هوافيتز، لايبزك: 1923م.

- الدنيوري، ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت: 276هـ)

33. عيون الأخبار، طبع أوفست، مصر: 1952م.

-

- الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، (ت: 660هـ /1261م)

34. مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، إخراج دائرة المعاجم في لبنان، مكتبة لبنان، بيروت: 1986م.

- ابن رشد

35. فتاوى ابن رشد، تح: المختار بن طاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، 1987م.

36. مؤلفات ابن رشد، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت – لبنان: 1998م.

- الزجالي، يحيى عبيد الله (ت 694ه)

37. أمثال العوام في الأندلس، مستخرجة من كتاب: ري الأورام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام، تح وشرح ومقارنة: محمد بن شريفة، المملكة المغربية، لا. ت.

- ابن أبي زرع الفاسي، أبو الحسن بن علي بن عبد الله (ت 726هـ/1325م)

38. الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تح: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.

39. الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينة، طبعة الرباط، 1972م.

- الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر

40. الجغرافيا، تح: إسماعيل العربي، نشر المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت: 1970م.

- السبكي، أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت: 771هـ)

41. طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناحي ود. عبد الفتاح محمد الحلو، ط2، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1413هـ.

- السجستاني، أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير (ت: 275هـ/899م)

42. سنن أبي داود، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت: دار ابن حزم، 1997م.

- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن الشافعي (ت 952هـ)

43. الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، ت: حامد عبد المجيد وطه الزيني، ط1، وزارة الأوقاف في مصر، القاهرة، 1986م.

44. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج9، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لا. ت.

- ابن سعد محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (ت 230هـ)

45. الطبقات الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتاب العلمية، ط1، بيروت: 1410ه/ 1989م.

- ابن سعيد الغرناطي

46. تقريب الأمل البعيد في نوازل أبي سعيد، تح: حسين التازي وهشام الرامي، دار الكتب لعلمية، بيروت – لبنان، 1424هـ / 2004م.

- **ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى الأندلسي الغرناطي (ت: 685هـ / 1286م)**

47. المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف. القاهرة: 1963م.

48. اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، تح: إبراهيم الأيباري، دار الكتاب اللبناني، ط2، بيروت: 1980م.

- **السقطي، أبو عبد الله محمد بن أبي محمد المالقي (ت: في القرن 6 هـ / 12م)**

49. آداب الحسبة، تح: ليفي بروفنسال، المطبعة الدولية باريس: 1930م.

- **السمعاني، عبد الكريم بن محمد (ت: 565هـ / 1166م)**

50. أدب الإملاء والاستملاء، طبع بعناية ماكس ويلز، ليدن: 1371هـ / 1952م.

- **ابن سهل، أبو الاصبغ عيسى بن سهل (ت: 486هـ / 1093م)**

51. وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس، مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى، تح: محمد عبد الوهاب خلاف، طبع المركز العربي للدول الأعلام، القاهرة: 1980م.

- **ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت: 458هـ / 1065م)**

52. المخصص، تح: خليل إبراهيم جفال، ج3، دار إحياء التراث، بيروت: 1417هـ / 1996م.

- **الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي (ت790هـ /1388م)**

53. الاعتصام، دار المعرفة، بيروت: 1408هـ.

- **الشيزريي، عبد الرحمن بن علي بن نصر بن عبد الله (ت: 589هـ / 1193م)**

54. نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تح: السيد البار العريني، دار الثقافة، بيروت: د. ت.

- **ابن أبي صاحب الصلاة، عبد الملك بن محمد (ت: 594هـ / 1198م)**

55. تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تح: عبد الهادي التازي، دار الحرية للطباعة، بغداد: 1979م.

- **الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميره (ت: 599هـ / 1202م)**

56. بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، مطبعة روخس، مدريد: 1302هـ / 1884م.

- **الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف (ت: 520هـ /1126م)**

57. سراج الملوك، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة: 1994.

- **الطليطلي، محمد بن إبراهيم بن بصال**

58. المقنع في علم الشروط، تح: فرانشيسكو ساداباء المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، سلسلة المصادر الأندلسية، مدريد، 1994.

- **ابن بطوطة، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي (ت: 779هـ / 1377م)**

59. تحفة النظار في غرائب الأمصار (الرحلة)، بيروت، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1424هـ / 1377م.

- ابن عاصم الغرناطي، أبو يحيى محمد بن عاصم (ت: 857هـ / 1453م)

60. جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، تح: صلاح جرار، دار البشير للتوزيع والنشر، عمان: 1989م.

- عبد الرؤوف، أحمد بن علي (ت: في القرن 6هـ / 12م)

61. رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، تح: ليفي بروفنسال، نشر ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، مطبعة المعهد العلمي للآثار الشرقية، القاهرة: 1955م.

- ابن عبدون، محمد بن أحمد بن عبد التجيبي (ت: في القرن 6 هـ / 12م)

62. رسالة في القضاء والحسبة، تح: ليفي بروفنسال، نشر ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للاثار الشرقية- القاهرة، (1374هـ /1955م).

- ابن عذاري المراكشي كان حياً عام (712ه/ 1312م)

63. البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تطوان، الناشر: أميروس هويس، محمد بن ثابت، دار كريماس للطباعة، 1380ه/ 1960م.

- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة (ت571ه)

64. أعلام مالقة، تح: عبد الله المرابطي التوغي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت: 1999م.

- العسقلاني ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي الشهير أبي حجر (ت852ه)

65. الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ط2، تح: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1382-1972م.

- العمري، شهب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت: 749هـ / 1348م)

66. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أشراف: فؤاد سزكين، تح: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، 1971م.

- ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد المالكي (ت: 799هـ / 1396م)

67. الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، مطبعة عباس بن عبد السلام، ط1، القاهرة، 1351هـ.

68. الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تح: مأمون بن محي الدين، الخبان، مطبعة دار الكتب العلمية

- ابن الفرضي، (ت: 351هـ /403 – 962م)

69. تاريخ علماء الأندلس، ج1، تح: إبراهيم الأيباري، دار الكتاب المصري، القاهرة:

1989م.

- **ابن فركون، أبو الحسن بن أحمد بن سليمان بن أحمد القريشي**

70. ديوان بن فركون، تقديم: محمد بن شريفه، المطبعة الجديدة، ط1، المغرب – الدار البيضاء: 1408ه/ 1987م.

- **الفقي، عصام الدين عبد الرؤوف**

71. تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 2017.

- **القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت 544 ه)**

72. ترتيب المدارك وتعريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك، تر: محمد سالم هاشم، بيروت، دار الكتب العلمية، 1998م.

- **القرطبي، ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف (ت 469هـ)**

73. المقتبس في أخبار بلاد الأندلس، تح: عبد الرحمن علي الحجي، بيروت، 1965م.

- **القزويني، زكريا بن محمد بن محمد (ت: 682هـ)**

74. آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، 1380ه/1960م.

- **الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: 817هـ)**

75. القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بأشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت: 2005.

- **ابن القاضي، أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي (ت1025هـ /1616م)**

76. ذيل الوفيات الاعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال، تح: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، 1971م.

- **القلصادي، أبو الحسن علي بن ممد (ت: 891هـ / 1489م).**

77. رحلة القلصادي، تح: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس: 1987م.

- **القلقشندي، شهاب الدين أحمد بن علي (ت: 821هـ / 1418م)**

78. صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تح: محمد حسن شمس الدين، دار الكتاب العالمية، ط1، بيروت: 1987م.

79. قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تح: إبراهيم الأيباري، دار الكتاب اللبناني، ط2، بيروت، 1402هـ / 1981م.

- **ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر بن القوطية (ت: 367ه/ 977م)**

80. تاريخ افتتاح الأندلس (367ه/ 977م) تح: إبراهيم الأيباري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1410ه/ 1989م.

- **القيرواني، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن (ت 386ه)**

81. النوادر والزيادات على ما في المدونة من الأمهات، تح: عبد الفتاح محمد الحلو وآخرين، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1990.

- الكاساني أبو بكر بن مسعود بن أحمد (ت587هـ)

82. بدائع الضائع في ترتيب الشرائع، تح: علي معوض، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986م.

- الكناني، أبو سلمون أبي محمد عبد الله بن علي بن عبد الله (ت: 741ه/ 1340م)

83. العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام، منشور بهامش كتاب تبصرة الحكام، المطبعة البهية، ط1، مصر: 1320هـ / 1884م.

- اللخمي، ابن هشام (ت: 577هـ / 1181م)

84. ألفاظ مغربية من كتاب أبي هشام في لحن العامة، تح: عبد العزيز الأهوائي، مجلة المخطوطات العربية، القاهرة، 1377هـ / 1957م.

- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: 273هـ)

85. سنن ابن ماجة، كتاب الأحكام، باب المسلمون شركاء في ثلاث، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة:

- المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي (ت 474هـ / 1096م)

86. رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم وسير من اخبارهم وفضائلهم واوصافهم، ط2، تح: بشير البكوش، مراجعة: محمد الطروسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م.

- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت: 450ه/ 1085م)

87. الأحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة، 1989.

- مؤلف مجهول من كتاب القرن (9هـ / 15م)

88. آخر أيام غرناطة، وهو كتاب نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر، تح: محمد رضوان الداية، دار حسان للطباعة والنشر، ط1، دمشق: 1984م.

- مخلوف، محمد بن محمد بن عمر بن علي بن سالم (ت ق 9ه)

89. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، د. ت، د. ط، 1349هـ.

- المسعودي، علي بن الحسين (ت: 346هـ / 957م)

90. مروج الذهب، تح: مهدي محي الدين، دار الفكر، ط5، بيروت: د ط، د ت.

- المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت: 1041هـ / 1634م)

91. أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1361هـ / 1942م.

92. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر يرها لسان الدين ابن الخطيب، تح: إحسان

عباس، دار صادر، بيروت: 1968م.

- **المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدي (ت: 845ه/ 1441م)**

93. السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت: 1997م.

- **المكناسي، أبو العباس أحمد بن محمد (ت 1025ه)**

94. جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، ج1، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط: 1974.

- **ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (ت 711هـ /1311م)**

95. لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، (1414ه، /1994م).

- **مؤلف مجهول (ت ق 10 ه)**

96. نبذة العصر في انقضاء دولة بني النصر، تح: محمد رضوان الداية، دار حسان للطباعة، ط1، دمشق: 1405هـ / 1984م.

- **التادلي**

97. ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح: أحمد التوفيق، الدار البيضاء، الرباط، 1997م.

- **القيرواني ، ابن الجزار**

98. سياسة الصبيان وتدبيرهم، موقع مخطوطات الأزهر الشريف، تح: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984.

- **ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت: 626هـ / 1228م)**

99. معجم البلدان، دار صادر، بيروت: د / ت.

- **اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر (ت: 292هـ / 904م)**

100. معجم البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت: 1422هـ / 2001م.

ثانياً- المراجع:

- **باشا ، أحمد تيمور**

101. إعلام المهندسين في الإسلام، مؤسسة هنداوي، 2012م.

- **شحلان، أحمد**

102. الضروري في السياسة، مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، سلسة التراث الفلسفي العربي، مؤلفات ابن رشد، مركز الوحدة العربية، بيروت- لبنان، 1989م.

- **عبد العزيز، أحمد**

103. قضية السجن والحرية في الشعر الأندلسي، مطبعة الإنجلو المصرية، ط1، القاهرة: 1990م.

- **الالباني، ناصر الدين**

104. صحيح مسلم، سلسلة الاحاديث الصحيحة، ج2.

- **الأهوائي، أحمد فؤاد**

105. التربية في الإسلام، دار المعارف، د. ط، مصر: 1968م.

- **بدوي، عبد الرحمن**

106. موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، 1993.

- **البعلي، عبد الحميد محمود**

107. الملكية وضوابطها في الإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة، د.ت.

- **بلغيث، محمد الأمين**

108. الحياة الفكرية بالأندلس في عهد المرابطين (479-539هـ /1085-1144م)، جامعة الجزائر، 1427هـ /2006م.

-

- **بنشريفه محمد**

109. آخر شعراء الأندلس، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1995م.

- **البياض عبد الهادي**

110. الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك الإنسان في المغرب والأندلس، دار الطليعة، بيروت: 2008م.

- **البيومي، محمد رجب**

111. علماء في وجه الطغيان، الدار القومية للطباعة والنشر، لا. ت، لا. ط.

- **الجنيدل، حمد العبد الرحمن**

112. نظرية التملك في الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت: د.ت.

- الحجي عبد الرحمن

113. التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 92 – 897هـ، دار القلم، بيروت، 1431ه – 2010م.

- الحسيني، قاسم

114. الأندلس الإنسان والمكان، مطبعة بني أزناس، ط1، الرباط: 2007م.

- حوة فطيمه

115. تنظيم بيت المال عند الادارسة والمرابطين والموحدين، 2016.

- حور، محمد إبراهيم،

116. الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الاموي، دار القلم، الامارات العربية، 1989م.

- الخالدي، خالد يونس

117. اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس، رسالة جامعية، 1429ه/2008م.

-

- خديجة قروعي

118. ظواهر اجتماعية مسيحية وإسلامية في الأندلس، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق: 1433هـ / 2012م.

- خطاب محمود شيت

119. الأندلس وما جاورها وجزر البحر الأبيض المتوسط قبل الفتح الإسلامي وفي أيامه، منار للنشر والتوزيع، دمشق: د. ت.

- خليل السامرائي، عبد الواحد ذنون وناطق صالح

120. تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2000م.

- أبو خليل شوقي،

121. الإسلام في قفص الاتهام، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1418ه،-1998م.

- دكي، جيمس

122. غرناطة مثال من المدينة العربية في الأندلس، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى الخضراء، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 1999م.

- ربحي مصطفى عليان

123. المكتبات في الحضارة الإسلامية، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، عمان: 1420ه/ 1999م.

- عنان، محمد عبد الله

124. نهاية الأندلس وتاريخ العرب المستنصرين، وهو العصر من كتاب دولة الإسلام في الأندلس، ط3، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1966م.

- الزحيلي، محمد

125. تاريخ القضاة في الإسلام دار الفكر، ط1، دمشق: 1995م.

- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس

126. الأعلام، دار العلم للملايين، ج7، ط5، بيروت: 1391ه/ 2002م.

- سالم، سيد عبد العزيز

127. تاريخ العرب وحضارتهم وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، مؤسسة دار رضوان للنشر والتوزيع، عمان: 2012.

128. تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة الاسطول الأندلسي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1984م.

- السامرائي، فاروق

129. حقوق الإنسان في القرآن الكريم، بحث منشور في مجموعة بحوث مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت: 2002م.

- سامعي، إسماعيل،

130. تاريخ الأندلس الاقتصادي والاجتماعي، مركز الكتاب الاكاديمي، 2018.

- السراج، محمد بن أحمد الوزير (ت: 1149هـ / 1736م)

131. الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب هيلة، الدار التونسية للنشر، تونس: 1970م.

- السرجاني، راغب

132. قصة الأندلس، مؤسسة أقرـ مكتبة الفنون والاداب، مصرـ القاهرة، 1436ه/2014م.

- شبانه محمد كمال

133. يوسف الأول بن الأحمر سلطان غرناطة، مطبعة الرسالة، القاهرة: 1968م.

- شكيب، ارسلان

134. خلاصة تاريخ الأندلس، دار الحياة للطباعة والنشر، بيروت: 1983م.

135. الحلل السندسية في الأخبار والاثار الأندلسية، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2012م.

- **الشمري، يوسف كاظم**

136. دراسة في تاريخ الأندلس، دار العلوم العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1435ه/2014م.

- **الشيخ عبد اللطيف أحمد**

137. التوثيق لدى فقهاء المالكية بأفريقية والأندلس من الفتح الإسلامي إلى القرن الرابع عشر الهجري، تقديم: عز الدين بن زغيبة، المجمع الثقافي، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، أبو ظبي، 1425ه/ 2004م.

- **طعيمه الجرف**

138. نظرية الدولة، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة: 1973م.

- **الطوخي، أحمد محمد**

139. مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997م.

- **عارف، رفاه تقي الدين،**

140. غرناطة في عصر الأحمر الحياة العلمية والثقافية، 2015م.

- **عباده كحيلة**

141. تاريخ النصارى في الأندلس، دار الحديث، القاهرة: د. ت.

- **عبد الرحمن رشك شنجار**

142. أوربا في كتب البلدانيين العرب والمسلمين، دار الشؤون الثقافية، بغداد: 2008م.

- **عبد العزيز الاهوائي**

143. أمثال العامة في الأندلس، اشراف عبد الرحمن بدوي، دار المعارف، مصر، 1962م.

- **التازي ، عبد الهادي**

144. المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي، الدار البيضاء نشر الغنك، 1992م.

- **عبد الواحد ذنون**

145. دراسات أندلسية، ج1، دار النفائس، بيروت: 1999م.

- **الغزي، كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي (ت: 1351هـ / 1932م)**

146. نهر الذهب في تاريخ حلب، دار العلم، ط2، حلب: 1419هـ / 1998م

- **القاسم علي بن محمد أبو**

147. روضة القضاة وطريق النجاة، ج1، تح: صلاح الدين الناهي، مطبعة أسعد، بغداد: 1390ه/ 1970م.

- **قصي طارق**

148. العيارون والشطار في العصر العباسي، مكتبة الواعظ علوم أهل البي، 2013م.

- **القهوجي، علي عبد القادر الشاذلي، فتوح عبد الله**

149. علم الإجرام وعلم الأعقاب، دار المطبوعات الجامعية، 2002م.

- **كحالة عمر رضا**

150. معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت: 1993م.

- **كحيلة عبادة**

151. تاريخ النصارى في الأندلس، ط1، د. م، 1993م.

- **مجمع اللغة العربية بالقاهرة**

152. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة، القاهرة: 2011م.

- **عنان ، محمد عبد الله**

153. لسان الدين بن خطيب، حياته وتراثه الفكري، ط1، مكتبة الخانجي، مطبعة الاستقلال الكبرى، د.م، 1968.

- **محمد كامل ليلة**

154. النظم السياسية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1975م.

- **مرسي، أحمد سعد،**

155. تطور الفكر التربوي، عالم الكتب، ط3، القاهرة، 1395هـ / 1975م.

- **المصلح، عبد الله،**

156. قيود الملكية الخاصة في الشريعة الإسلامية، دار المؤيد، السعودية، 2011م.

- **المعموري، محمد عبد الله**

157. المستعربون في الأندلس، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، 1441ه/2020م.
دراسة في أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، (92-541ه/701-1146م).

- **مكي الطاهر أحمد**

158. دراسات أندلسية في الأدب والفلسفة، مطبعة دار المعارف، ط3، القاهرة: 1407ه/ 1987م.

- **مؤنس، حسين**

159. رحلة الأندلس حديث الأندلس الموعود، الدار السعودية للطباعة والتوزيع، السعودية،

1963م.

- **الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد (ت 1315هت/1898م)**

160. الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناطر، الدار البيضاء، د. ط، 1954م.

- **النبراوي ، نجلاء سامي**

161. جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية للطفل بالأندلس (ق: 4 – 10هـ / 15 – 16م) كلية الآداب قنا، جامعة جنوب الوادي، د.ت .

- **هلال فؤاد**

162. خطة مشيخة الغزاة وأثرها على العلاقات بين بني الأحمر وبني مرين.

- **وجيه كوثراني**

163. حقوق الإنسان في الفكر العرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2002.

- **وناس، زمان**

164. النشاط الاقتصادي في سلطنة غرناطة، النشاط الاقتصادي في سلطنة غرناطة (635-897هـ / 1238-1492م)، ط1، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، 2012م.

- **يوسف شكري فرحات**

165. غرناطة في ظل بني الأحمر (دراسة حضارية)، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر، بيروت: 1402هـ / 1982م.

166. غرناطة في ظل بني الأحمر، دار الجبل، بيروت: 1993م.

ثالثاً-المراجع المعربة:

- **آدم متز،**

167. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تر: محمد عبد الهادي أبو زيدة، دار الكتاب العربي، ط4، بيروت: 1387هـ / 1967م.

- **اشباخ، يوسف**

168. تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، تر: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1996م.

- **باروخا، خوليو كارو**

169. مسلمو مملكة غرناطة، تر: جمال عبد الرحمن، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة:

2003م.

- **بروفنسال، ليفي،**

170. أدب الأندلس وتاريخها، تر: محمد عبد الهادي شعيرة، المطبعة الاميرية، القاهرة، 1951م.

- **بلباس ليويولدو توريس**

171. الأبنية الأسبانية الإسلامية، تر: علية إبراهيم العناني، مجلة المعهد المصري للدراسات، العدد الأول، السنة الأولى، مدريد، 1372هـ / 1953م.

- **خوليان، ريبير**

172. التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية، تر: الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1994م.

- **ديورانت، وليام جميس،**

173. قصة الحضارة، تر: زكي نجيب محمود، دار الجبل، بيروت، 1988م.

- **كالفرت البرت فريدريك**

174. غرناطة وقصر الحمراء وصف لمدينة غرناطة القديمة وقصرها الإسلامي، تر: أحمد ايبش، هيئة أبو ضبي، أبو ضبي، 1965م.

- **لوثينا، لويس سيكودي**

175. وثائق عربية غرناطية من القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد: 1961م.

- **هونكا زيغريد**

176. شمس العرب تسطع على الغرب، تر: فاروق بيضون، كمال الدسوقي، مراجعة: مارون عيسى الخوري، دار الجبل، بيروت، 1993م.

رابعاً - البحوث والدوريات

- **أحمد عبد العزيز،**

177. مجلة المؤرخ المصري، دراسات وبحوث في التاريخ والحضارة، جامعة القاهرة، العدد (50)، 2017م.

- **أشرف سمير توفيق،**

178. الفكاكون في عصر بني النصر بالأندلس، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية

المصرية، جامعة المينا، العدد (11)، ج2، 2021م.

- **بلهواري فاطمة،**

179. أطباء الدار السلطانية في عصر بني الأحمر، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، مج (5)، العدد (9)، وهران: 2019.

- **التميمي، عبد الجليل**

180. رسالة مسلمي الأندلس إلى السلطان سليمان القانوني، مجلة الأصالة، العدد (3)، الجزائر 1541هـ - 1975م .

- **حسين أمين**

181. المسجد المعهد الأول للتعليم في الإسلام، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مصر، 13881ه/ 1968م.

- **دنش، عصمت عبد اللطيف**

182. طقوس الجنائز في الأندلس من خلال كتب التراجم والنوازل، مجلة دراسية أندلسية.

- **الزبيدي، وآخرون**

183. الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والاقراء والنحو واللغة، مجلة الحكمة، 1424ه/2003م.

- **سالم، سيد عبد العزيز**

184. العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها، مجلة عالم الفكر، المجلد (8) العدد (1)، 1977م.

- **سعيدان عمر**

185. العلاقات الإسبانية الأندلسية في القرن الرابع عشر الميلادي وسقوط غرناطة، منشورات سعيدان، ط1، سوسه، تونس، 2003م.

- **صلاح خالص**

186. العامة في المجتمع الأندلسي، مجلة المعلم الجديد، مج23، ج5، مطبعة المعارف، بغداد: 1380ه/ 1960م.

- **العاني، رياض أحمد عبيد**

187. الأحوال العامة في غرناطة، بحث منشور، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج (17) العدد (9)، تكريت: 2010م.

- **العبادي، أحمد المختار**

188. الأعياد في مملكة غرناطة، مجلة المعهد للدراسات الإسلامية في مدريد، مدريد: 1970م.

- **السعدون، همسة صالح عبد القادر**

189. الخدمات العامة في غرناطة، مجلة الأستاذ، العدد (213)، بغداد: 2015.

- **محمد بن شريفه**

190. وقائع أندلسية في نوازل القاضي عياض، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، العدد (264)، 1987م.

- **مرزوق، محمد عبد العزيز،**

191. قصر الحمراء، القاهرة، دار القلم، 1963م.

- **المغراوي، رابح عبد الله**

192. ابن الخطيب الأندلسي من الانقلاب إلى الاغتيال، مجلة حوليات الأدب والعلوم الاجتماعية، الكويت، 2000م.

خامساً- الرسائل والاطاريح

- **أمين يحيى فوزي،**

193. نظام السلطنة في الدولة العباسية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب – جامعة الموصل، 1982.

- **بكارة، حنان،**

194. الحرب والمجتمع في مملكة غرناطة خلال عهد بني الأحمر (626-897هـ / 1232-1492م)، أطروحة دكتوراه، الجزائر، 1441-1442هـ / 2020 -2021 م.

- **التميمي، عباس جبر**

195. نظم الحكم والإدارة في الأندلس، عصر بني الأحمر (635-897هـ /1238م)، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، 1994م.

- **الدراجي، عدنان خلف سرهيد**

196. التأثير الحضاري المتبادل بي الأندلس الإسلامية واسبانيا النصرانية خلال عصر سلطنة غرناطة (635-897هـ /1238-1462م) أطروحة دكتوراه، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العراق، بغداد، 2012م.

- **ربوح، عبد القادر**

197. الأجناس ودورها في المجتمع الأندلسي ما بين القرن (94 هـ)، دراسة تاريخية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة الجزائر، الجزائر: 2006م.

- **زبار ، علي كاظم**

حقوق الإنسان في الأندلس منذ الفتح إلى نهاية عصر الطوائف، جامعة بغداد، ابن رشد، 2020م

.

- **الساعدي، رشا حسن زغير**

198. الهبات والهدايا في الأندلس منذ عهد المرابطين حتى سقوط غرناطة، دراسة تاريخية، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الآداب، جامعة بغداد، بغداد: 2017م.

- **السامرائي، يونس عبد الحميد**

199. السفارات في التاريخ الإسلامي حتى قيام الدولة العباسية، رسالة ماجستير (غير منشورة) القاهرة: 1396ه/ 1976م.

- **عبد الرزاق، زاهدة عبد الله**

200. الحياة الاجتماعية في الأندلس خلال عصر مملكة غرناطة، دراسة تاريخية رسالة ماجستير (غير منشورة)، الجامعة المستنصرية، بغداد: 1997م.

- **عبد الزهرة، رقية علي**

حقوق الإنسان

في الأندلس في عصري المرابطين والموحدين 484 – 632هـ/ 1092 – 1233م .

- **عبد القادر، بو حسون**

201. الأندلس في عهد بني الأحمر، دراسة تاريخية وثقافية، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر، بلقايد، تلمسان: 2013م.

- **العبدلي، أسامة حمد محمود**

202. الأسواق في سلطنة غرناطة (635-897ه/1238-1492م)، رسالة ماجستير، جامعة سامراء، 2022م.

- **المناجعة، عبد صباح حمدان**

203. المجاعات والأوبئة والأمراض والكوارث الطبيعية في الأندلس من الفتح إلى سقوط غرناطة، دراسة تاريخية، جامعة مؤتة، الكرك، 2014م.

- **الهروط، عبد الحليم**

204. الرسائل الديوانية، رسالة ماجستير في اللغة العربية، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 1994م.

ملحق (1)

الأشكال

ت	الشكل	المصدر

ت	الشكل	المصدر
.1	الحلي والمجوهرات في عهد بني النصر	مقتبسة من الطوخي: أحمد محمد، مظاهر الحضارة، ص440 .
.2	صورة قديمة للمدرسة اليوسفية في غرناطة	مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات العدد (42) .

ت	الشكل	المصدر
.3	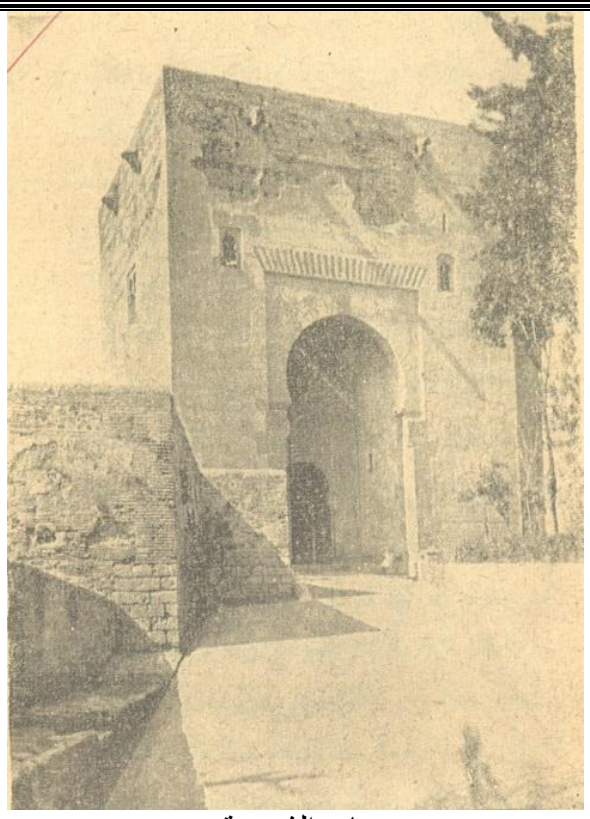 باب الشريعة	مرزوق، محمد عبد العزيز، قصر الحمراء ص23.
.4	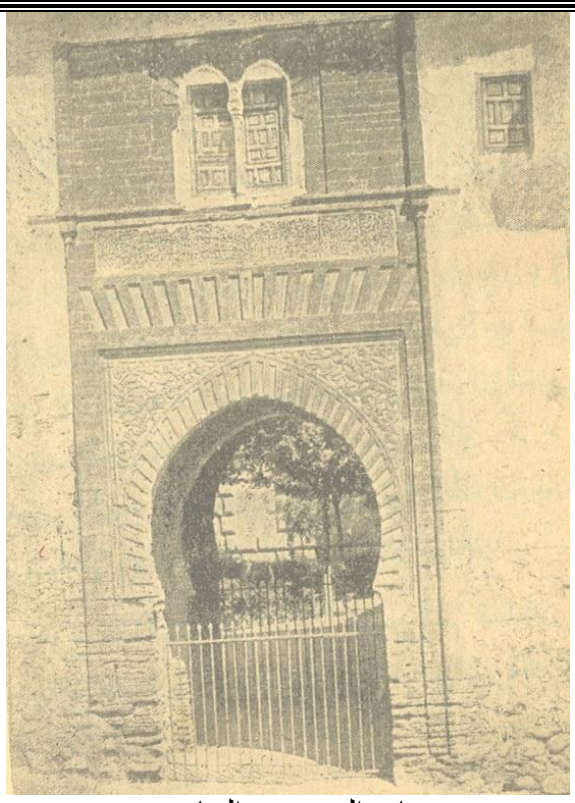 باب الخمر من الخارج	مرزوق، محمد عبد العزيز، قصر الحمراء ص34.

ت	الشكل	المصدر
.5	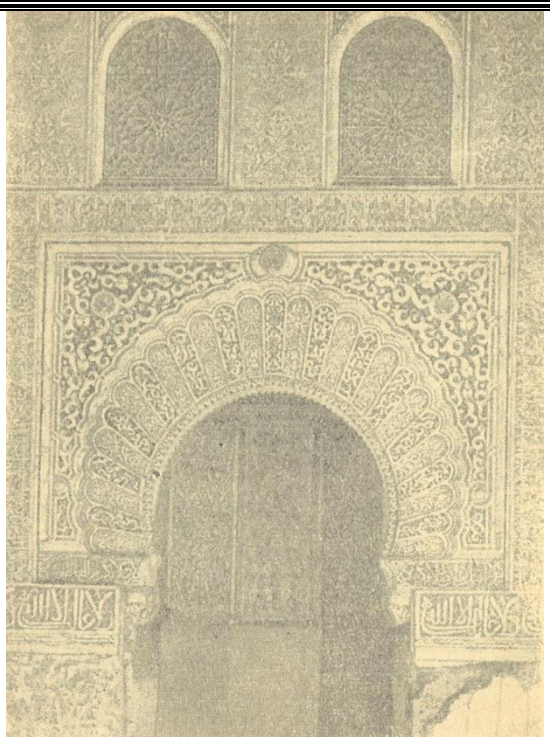 محراب مصلى المشور	مرزوق، محمد عبد العزيز، قصر الحمراء ص43.
.6	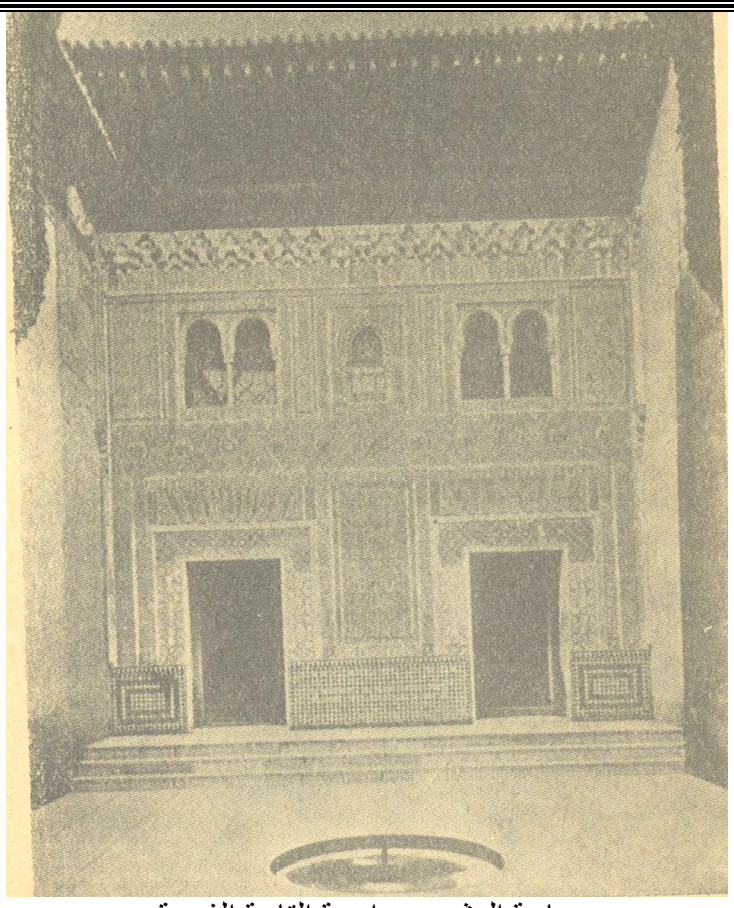 ساحة المشور وواجعة القاعة الذهبية	مرزوق، محمد عبد العزيز، قصر الحمراء ص44.

ت	الشكل	المصدر
.7	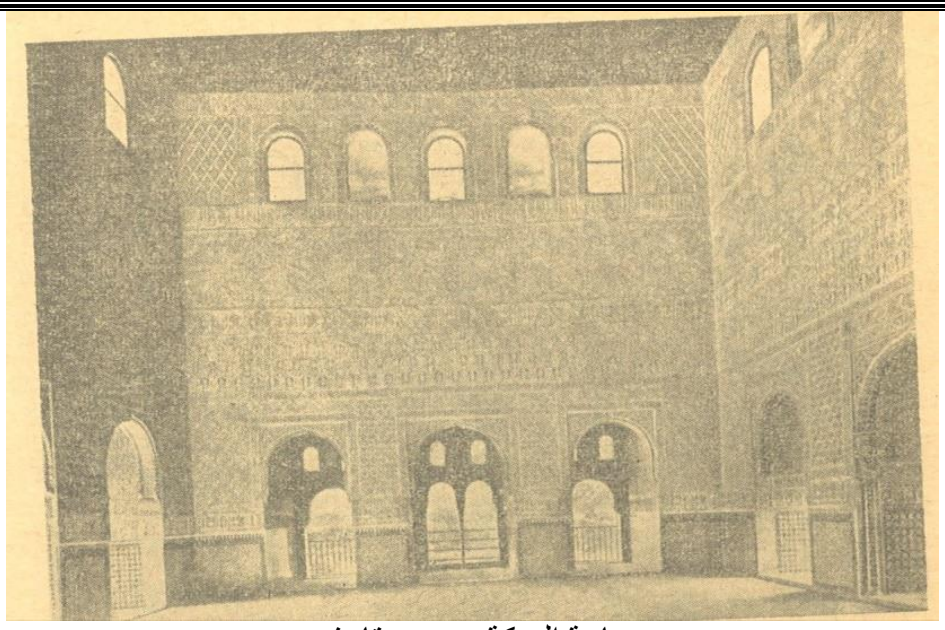 ساحة البركة وحصن قارش	مرزوق، محمد عبد العزيز، قصر الحمراء ص49.
.8	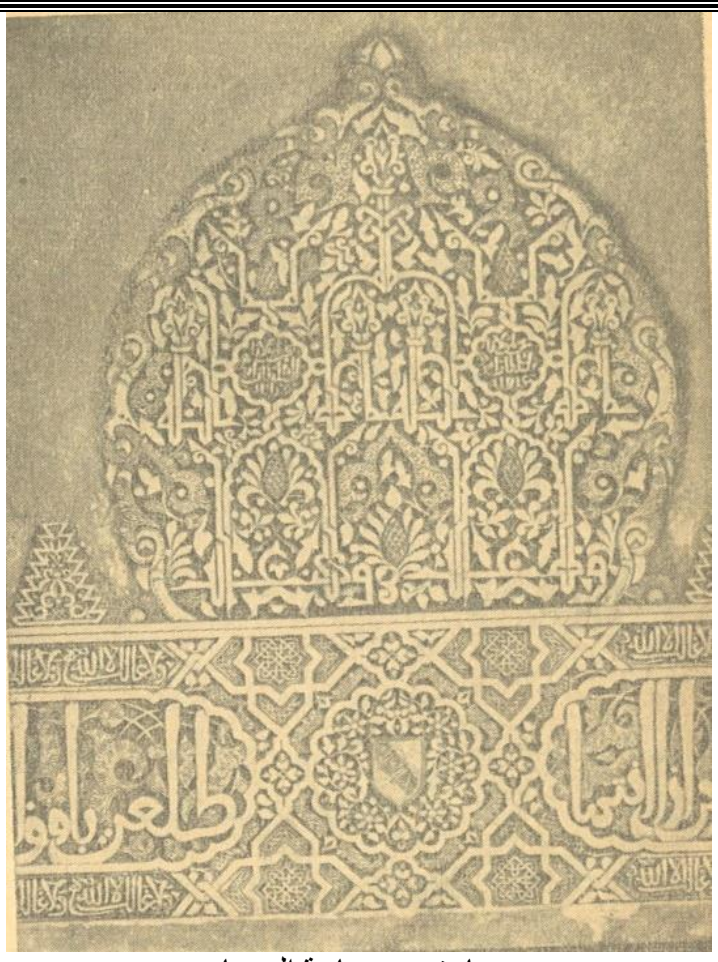 زخارف من ساحة الريحان	مرزوق، محمد عبد العزيز، قصر الحمراء ص52.

ت	الشكل	المصدر
.9	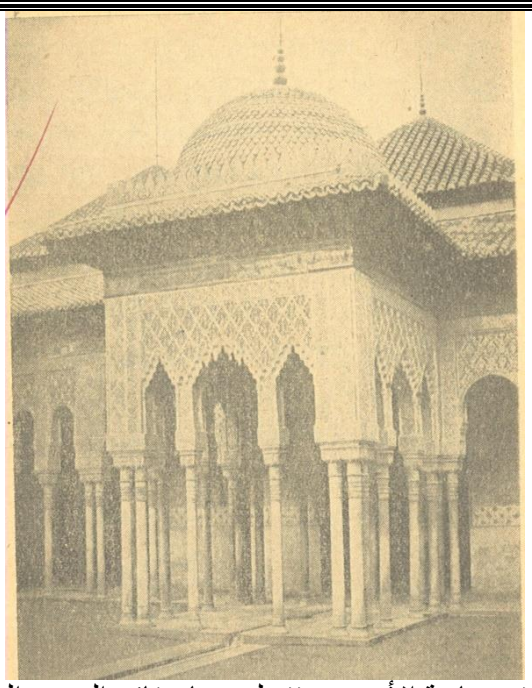 احد الجوسقين في ساحة الأسود، وتتجلى هنا ستائر الجص المخرم، ورشاقة الأعمدة	مرزوق، محمد عبد العزيز، قصر الحمراء ص65.
.10	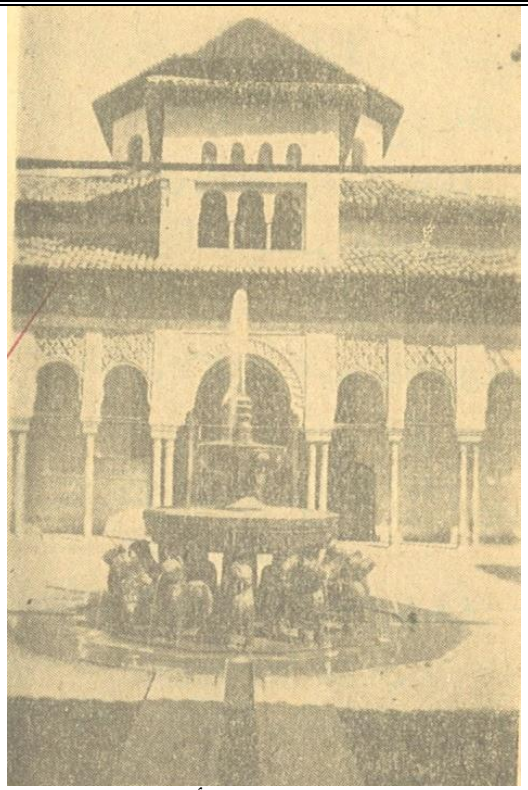 نافورة ساحة الأسود	مرزوق، محمد عبد العزيز، قصر الحمراء ص68.

ت	الشكل	المصدر
.11	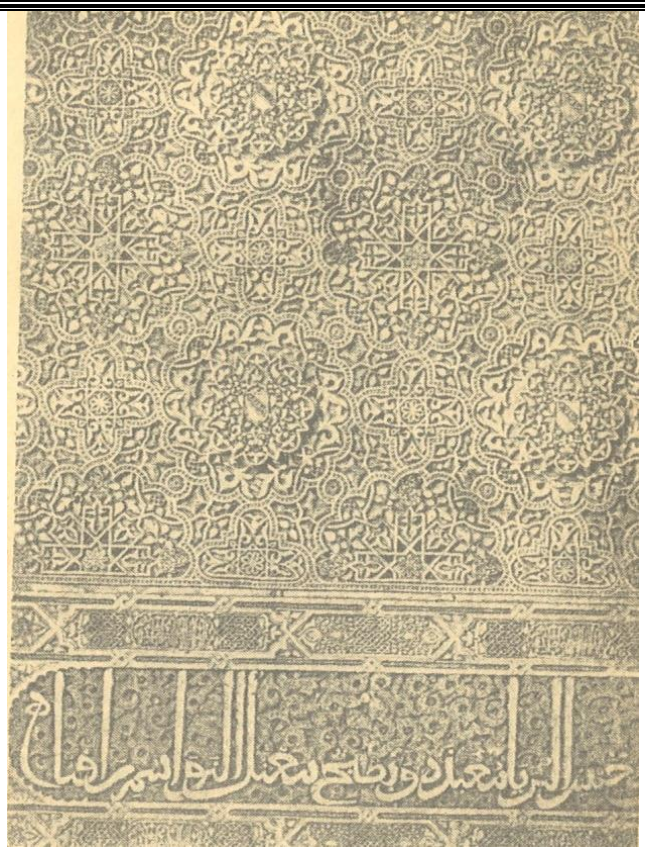 قاعة بني سراج	مرزوق، محمد عبد العزيز، قصر الحمراء ص74.
.12	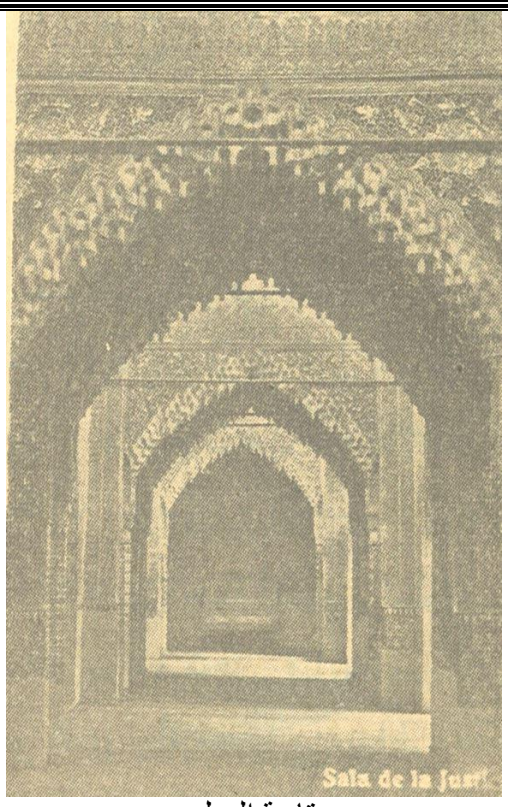 قاعة العدل	مرزوق، محمد عبد العزيز، قصر الحمراء ص80.

ت	الشكل	المصدر
.13	 منظر في سقف قاعة العدل	مرزوق، محمد عبد العزيز، قصر الحمراء ص81.
.14	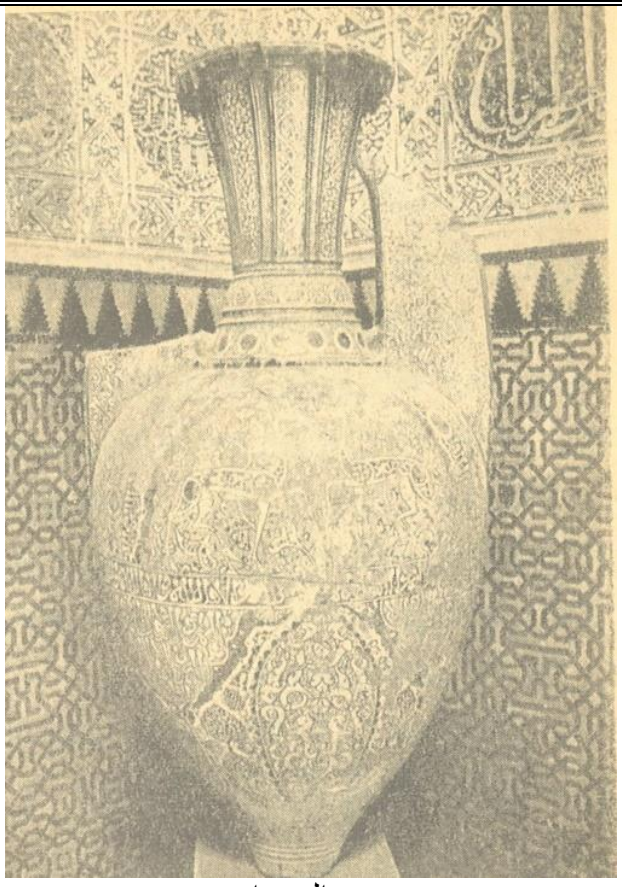 جرة الحمراء	مرزوق، محمد عبد العزيز، قصر الحمراء ص91.

ت	الشكل	المصدر
.15	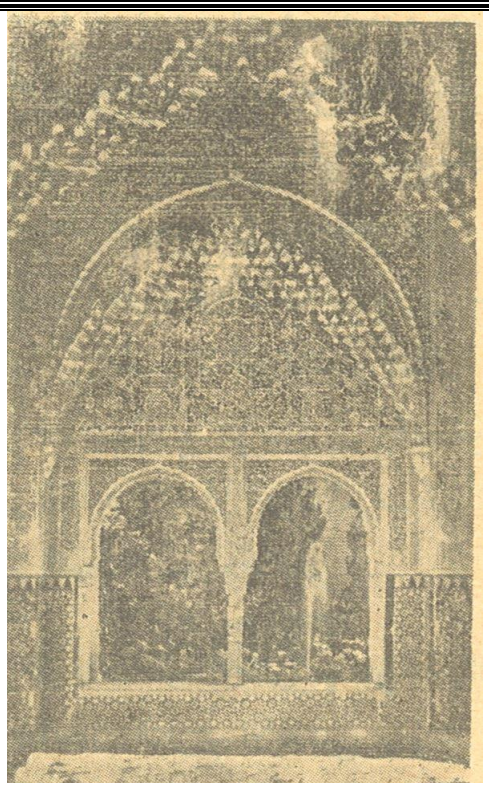 عين دار عائشة	مرزوق، محمد عبد العزيز، قصر الحمراء ص96.
.16	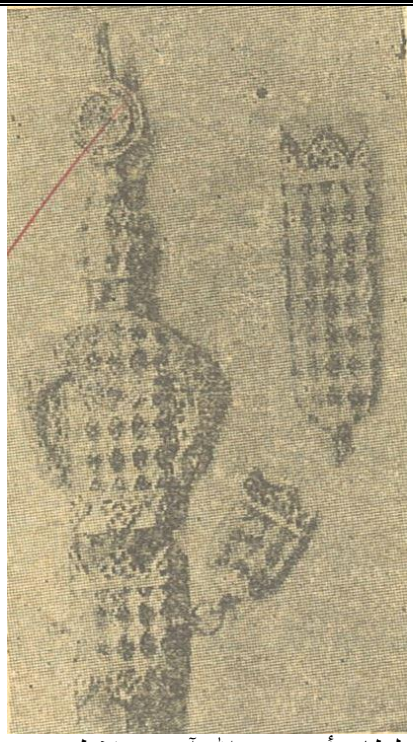 سيف السلطان أبي عبد الله آخر سلاطين بني الأحمر	مرزوق، محمد عبد العزيز، قصر الحمراء ص100.

Ministry of Higher Education & Scientific Research
University of Babylon
College of Education

Human Rights in the Kingdom of Granada

(635-897 AH / 1237-1492 AD)

To the Council of the College of Education University of Babylon in partial Fulfillment of the requirements to the Master's degree in the of islami history

A dissertation Submitted by

Lamia Salem Ali Abbas

Supervised by

Prof. Dr. Mohammed Abdullah Al-Mamouri

1445 AH 2023 AD

Introduction

Praise be to Allah, who revealed to His servant the Book in order to explain everything, and showed the servants their rights, their money, and what they owe of worldly matters, religion, prayers and peace be upon His servant and Messenger Muhammad and his good and pure family, and thanks to Him for the countless blessings bestowed upon us, and the Almighty, who taught man with the pen, taught man what he did not know, and made him a caliph on earth, to judge with truth and justice, the Almighty said: ﴿**God commands you to perform trusts to their people and if you judge among people to judge justly, God is blissful to preach to you, God was hearing and seeing**﴾. [1]

Islam has raised the status of man and laid down general rules for respecting his rights and freedoms, as human rights are legitimate and oneness rights inherent in the conscience of the nation, and they are natural rights and in all political, social, cultural and economic fields that work to protect man from loss.

The duration of the subject of research (635 – 897 AH / 1238-1492 AD) is the duration of the rule of the last Arab Islamic family, a family Bani al-Ahmar, whose rule was concentrated in the Kingdom of Granada, the last stronghold of Muslims in Andalusia, as this kingdom was able to withstand for two and a half centuries, and its steadfastness was often controversial, so it was necessary to monitor the relationship of this family and its sultans with the parish and the extent of its provision and giving it the legitimate rights for the Granada citizen, as it came The subject of human rights in the Kingdom of Granada (635 AH-897 AH) as a space-time limit for the subject, and I faced difficulties in writing this research, foremost of which is the scarcity of sources and the lack of information in this aspect, which required me to research hard in order to reach employment that serves the research material in a manner consistent with the unity of the subject and then form a historical idea of this social topic, which is important to historical stages.

The nature of the study required that it be divided into an introduction, introduction, three chapters, a summary and conclusions, and the introduction

---

[1] An-Nisa, verse: 58.

included a brief overview of the subject, its importance and space-time limits, and the most important difficulties it faced, it included four points: the first and second singled out the Kingdom of Granada in terms of naming, location, borders and the founder of the Kingdom, while the third dealt with the definition of right and man idiomatically, The latter showed human rights in Islamic law, the first chapter was entitled political human rights in the Kingdom of Granada, and included five sections: the first the right to choose the king, the second the right to participate in senior administrative positions, the third section focused on the rights of dhimmis, and the fourth section the right to justice and freedom of opinion and expression, The fifth section is security rights.

The second chapter was entitled Social and Cultural Rights, and included five sections, the first is the rights of Granada women, the second section is the right to care and social and health solidarity, the third section is the right of the family and the child, the fourth section is the rights of prisoners and prisoners, and the fifth section is the right to entertainment and entertainment.

The third and final chapter came entitled Economic Rights included in the first section: the right to services and infrastructure, and in the second section: the right to protect markets, the third section dealt with the right to private and public property, while the fourth and last section dealt with the right to tax justice, and finally the research included a set of results and the most important findings of the study.

1- Political rights in the Kingdom of Granada ended and were politicized during the succession of power to the sons.

2- The Kingdom of Granada preserved the rights to freedom, equality and justice, and allowed opinion but was unable to do so during the period of political turmoil and natural disasters.

3- The sultans in the Kingdom of Granada took care of the rights of the prisoners, during the processes of their dismantling, the conclusion of treaties and the implementation of this, and the carrying out of donations and acts of charity to provide the funds of their dismantling.

4- Granada women in the Kingdom of Granada were given their full rights, as they practiced their social, cultural, scientific and political activities without prejudice to the evidence of the fatwas developed by jurists to guarantee their rights.

5- The Kingdom of Granada granted people's religious rights to worship, rituals , ceremonies and holidays.

6- The Kingdom of Granada was keen to take care of the infrastructure while giving it the rights of citizens.

7- The question of rights in the Kingdom of Granada fluctuated, depending on the state and stability of the country.

In this study, I benefited from a variety of sources in history, geography, translations, classes, books of calamities, hisbah and literature, some of which were contemporary or semi-contemporary, and other recent references to complete this research.